رواية
رائعة العذاب
عمرو يس
مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

جميع الحقوق محفوظة @ دار مشاعر غالية للنشر الإليكتروني

http://rwayatmash33rghalia.blogspot.com

- اسم العمل الأدبي:رائعة العذاب
- نوع العمل الأدبي :رواية
- المؤلف: عمرو يس
- تصميم الغلاف :سفانه العبيدي
- تنسيق وتصميم داخلي: سفانة العبيدي
- تدقيق لغوي :نهى محمود السيد
- إصدار :يونيو ٢٠١٦
- إشراف عام : أسامة الوحش
- الناشر : دار مشاعر غالية للنشر الإليكتروني

لنشر أعمالكم إليكترونيا يمكنكم التواصل معنا عن طريق إرسال أعمالكم لحساب الفيسبوك الآتي : مشاعر غالية للنشر الإليكتروني

دار مشاعر غالية للنشر الإليكتروني تقدم خدمات النشر الإليكتروني مجانا وإلى الأبد بهدف نشر الثقافة والمعرفة ، وتشجيع المواهب الشابة عن طريق الإنتشار الواسع على صفحات الإنترنت .

ملكية العمل الأدبي الوارد بهذا الإصدار على مسئولية المؤلف بإقراره أنه من نتاج فكره وبقلمه هو ، والدار غير مسئولة عن أي إقتباس أو نسخ أو تعديل قام به المؤلف على المادة المنشورة .

رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

رائعة العذاب

رواية

عمرو يس

إلى تلك الأرواح التي هاجرت هذا الكوكب

واختارت كوكب الجوزاء

إلى تلك النجوم المتناثرة في سماء حياتي

وإلى ذلك الكوكب الدري

بل إلى كل أحلامي الضائعة التي كثيراً ما

حاولت أن أمسك بها

فـــــــ انسابت من بين أصابعي

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

إلى أبي و أمي الطيبين الذين كثيراً ما تحملوني وضحوا لأجلي

إلى زوجتي الحبيبة وملهمة قلبي إلى أبنائي محمد ومعاذ

أشكركم على تضحياتكم من أجل أن يظهر هذا العمل، أشكر تحملكم كثرة صمتي وشرودي، أشكركم على تفجير الإلهام في صدري

ولكم جميعًا

أهدي روايتي

عمرو يس

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

مقدمة

في حياة كل إنسان قوى كثيرة تدفعه وتتجاذبه بين ما يريد وما يريده الواقع ويفرضه عليه، وكم من إنسان عاش مجبورًا على حياة لم يحلم بها، بل ولم يتخيل يومًا أن يحياها ويأخذ فيها دور البطولة، ولأن أغلبنا هو هذا الإنسان، ولأن الجواذب لنا كثيرة فلا يجدر بنا اللوم المجرد لكل التصرفات التي تصدر من غيرنا، فربما كان هناك فصل في رواية حياته لم تقرأه أو لم تستوعبه أو ربما كان هناك إحساس خفي بين سطور حياته لم تتذوقه، فلا تلوم ... ودع كل المجريات تمر على مخيلتك كحلم جميل أو ككابوس مخيف ... ولكن لا تترك لمخيلتك أن تتعلق إلا بما تراه مناسب، ودع ما تراه مخالفًا ودع اللوم، والله يدري ما لم يكن لو كان كيف كان يكون؟

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

ما أصعب الماضي وما أقساه ... فيلم قصير كثيرًا ما يعاد أمام عيوني ... كثيرًا ما يشعرني كم أنا ظالم ومظلوم!!

قالها وحيد وهو مسترخي على سرير صغير في غرفة مكتبه الملحق بمنزله وهو يشعل سيجارة يتناول منها عدة أنفاس عميقة، قالها مسترجع أمام عينيه شريط من ذكريات الماضي، الماضي القريب والبعيد، وحيد شاب في أوائل الثلاثينيات ..... وسيم رغم ضعف بنيته ..... أنفه مستقيم ... ذو شعر ناعم .... هادىء الملامح، عيناه معبرتان كأنهم كتاب مفتوح .

يتذكر أول لقاء كان بينه وبين زوجته - تلك المرأة البيضاء متناسقة القوام ذات الشعر الذهبي والعيون الملونة - وكيف كان اللقاء سريعًا وخاطفًا في حفل زفاف إحدى أقاربه، كيف رآها كالنسمة تحمل البهجة، أخبرته نفسه أنها يومًا ما ستكون زوجته، ملامحها البريئة ... وعيونها الصافية ... كثيرًا ما غرق فيهما بعد ذلك، يتذكر كم كانت بريئة وصافية، هادئة إلى حد بعيد، لأنها لم تعرف في الدنيا رجل سواه، يتذكر كيف اقترب منها وكم كانت تغرد العصافير كلما التقاها أو نظر إلى تلك العيون الصافية الهادئة .

كما يدور الآن في مخيلته صورة أمه ألفت هذه المرأة الحديدية، ذات الوجه المستدير ... ذو الأنف الصغير ... عيونًا حادة ... وجه لا يعبر إلا عن الغضب، يحدثها في خياله.. كم أفتقدك منذ أن كنت أعيش معك في بيتٍ واحد! حتى في تلك اللحظات التي كنت أرتمي فيها بين يديك متسولًا منك حضنًا دافئًا! .... يااااه يا أمي كم أحبك! وكم أنتِ قاسية! وعلى كثرة اللقاء ما شبعت منك يومًا، بيدك ودون أن تدري كتبتِ على قلبي الشقاء .. كثيرًا ما بحثت عنكِ في عيون كل النساء وما وجدتك، امرأة أنتِ يا أمي بقلب رجل! ... رجل صلب وعنيد وقاسي .

ويستمر محدثًا نفسه في محاولة مكابدة الماضي وكبح جماح ثورته في الذاكرة والتي كأنها استجمعت كل قوى عندها؛ وراحت تهاجمه بكل ما تحمل من مشاهد ومعاني اختزنتها لسنوات طويلة، لا يا أبى صدقني الأم لا يعوضها أي شيء في الدنيا حتى حنانك أنت، نعم أنت حبيبي وأقرب صديق لي ولكن صدقني حفرة في القلب وجرح لم يندمل يومًا .. ولم يكف أنينه .. لم يستسلم تحت ضربات تضحياتك المتوالية، اغتنيت بك عن الصديق ولكن أمي لن يعوضها في قلبي إلا امرأة، وليس رجل حتى وإن كان يحمل في صدره قلب امرأة .

ويل لمن يسقط بين يدي ذاكرة مستبدة تقلب له عمره في بضع ساعات، تأتي منها بأقسى ما فيها ... تحاكمه ... تذكره بما أنفق عمره كله محاولًا الهرب منه، وتضعه بين مطرقة أحلامه وسندان تجاربه!!

صدر ضيق...الحياة كخرم إبرة...عيونًا زائغة لا ترى إلا ما تعرضه الذاكرة في لمحات خاطفة سريعة، تدخل زوجته غاضبة قاطعة عليه هذه اللحظات العصيبة والتخيلات، ثم بصوت غاضب :

- ابنك طاهر بيضرب أخوه قوم اتصرف معاه .

- يا طاهر تعالى متضربش أخوك .

- ده الي قدرت عليه ؟؟!!

وحيد بنظرة مبتسمة : تعالى يا طاهر .

تنصرف زوجته ويبدو عليها أنها غير راضية عن هذا اللين في العقاب، وحيد يقّبل طاهر صاحب العيون الصافية كوالدته ذو الأربعة أعوام وهو يداعب خصلات شعره الحريري.

وحيد : طاهر حبيب بابا ليه بتضرب أخوك ؟؟ مش إنت بتحبه ؟ يلا تعالى معايا وصالحه، يلا يا طاهر بوس أخوك، وإنت يا أحمد بوسه، وإنت كمان تعالى يا زياد خليك مع أخواتك، ثم يرفع الاثنين - يحملهم إلى غرفة الأم – أهم ولادك اتصالحوا وبقوا بيحبوا بعض أكثر منك، وترتفع ضحكاته مع احمرار وجهها الغاضب...

يدق هاتف وحيد ..

يلا انزل يا طاهر علشان أشوف مين عاوز بابا ..

كان الاتصال من صديقه فهد، ذلك الشاب الرياضي ذو العضلات المفتولة أسمر البشرة، شعره مجعد تضيق عيونه إذا ضحك، يبدو في حيويته كأنه أحد أبطال المصارعة، يرد وحيد على هاتفه فبادره فهد:

- وحيد عاوز أقابلك حالًا.

- خير أيه الموضوع ؟!

- لأ لازم أشوفك هعدي عليك بعد ساعة.

- هستناك.

*****

يا ألفت افتكري إنك أنثى، سبحان الله نبرة صوتك كإنك راجل!! وبشنب!

قالها سامي لزوجته، ذلك الرجل الخمسيني صاحب الجسد الممتلىء، جميل القسمات والذي يحتفظ بمظهر أصغر من عمره الحقيقي ربما بعشر سنوات .

- أنا صوتي كده والا إنت اكتشفته بعد تلاتين سنة !!

- لأ لكن كنت فاكر إنه هيتغير، لكن مفيش حاجة بتتغير إلا أوراق النتيجة ومن غير نتيجة .

- ماشي يا فيلسوف.

- أيوه يا امرأة سقراط كنت عارف، ومش عارف النهارده أدعي على مين؟، الله يسامحه اللي كان السبب، عملها ومات آه والله، الله يسامحه .

- أه أنا راجل وإذا كان عاجبكوا .

- طيب ماهو هنعمل أيه حظنا الأسود بقى.

- والله أنا اللي حظي أسود مش عارفة أنا اتجوزت ليه أصلًا؟ كنت قعدت عند أمي أحسن - متنهدة - لا زوج نافع ولا ابن مريح بلا نيلة .

- نيلة ؟! في ست تقول لجوزها نيلة ؟!!

- ما قولتلك بقى أنا مش ست أنا كنت عاوزة أطلع راجل لكن النصيب بقى.

- لأ متقلقيش أنتِ طلعتِ راجل فعلًا ناقصلك بس شنب.

- ومين قالك الشنب كمان موجود أهو مش شايفه؟؟

- آه شايفه..

*****

- وحيد أنا مسافر.

- مسافر !!

- جاتني فرصة سفر لبلد عربي، بإذن الله الأمور هناك هتبقى أحسن من هنا .

- أحسن من هنا ؟! لكن أنا هنا يا فهد.

- أرجوك افهم أنا عندي مشاكل كتيرة هنا، ومحتاج فلوس علشان أقدر أكمل، محتاج فلوس يا وحيد أرجوك افهم .

- وإنت شايف إن الفرصة دي اللي هتخليك تكمل؟ تكمل فين يا فهد؟ أنا أعرفك أكتر من نفسي لو سافرت مش هترجع أنا لو كنت سافرت كنت هعمل كده .

- من إمتى والمسافات بتفرق بينا؟ يا صاحبي لينا طرقنا ونعرف إزاى نتقابل وندوب المسافات.

- سافر يا فهد مش همنعك أو بمعنى أوضح معنديش اللي أمنعك بيه .

- يا وحيد أنا عارف إنه صعب عليك و عليا أنا كمان، دي أول مرة نبعد فيها عن بعض من يوم ما اتقابلنا، لكن يا صاحبي ممكن يكون البعد ده علشان لقاء منفترقش بعده أبدًا، أنا رايح أحقق الحلم يا وحيد وقدامي أهداف محددة .

- بس أنا ولأول مرة مش شايف اللي إنت شايفه، لأن آفات الفراق بدأت على طول، إنت دلوقتي متفرد بالرؤية، يلا احكيلي شايف أيه علشان أنا مش شايف حاجة.... شايفك بس بتبعد... وأنا بتغرب....

- إنت عارف إنك الشخص الوحيد اللي معرفش أهوّن عليه أو أغير حالته... بس إنت لازم تفهم إني محاط بظروف فاشلة هنا وواقع بحاول أغيره .

- هتاخد مراتك ؟

- لأ هسافر لوحدي.

- كويس يمكن تبقى أيقونة اللقاء ده لو إنت عاوز .

- احنا مش محتاجين لحد يجمعنا .

-بس إنت مش هترجع... صدقني مش هترجع يا صديقي .

- إنت اللي هتجيني وفي واقع أحسن من هنا بكتير وبكرة أفكرك .

- يمكن إنت شايف اللي أنا مش شايفه، مش بقولك إنت دلوقتي بتشوف لوحدك .

- وحيد إنت بتصعب كل حاجة ليه ؟

- سيبك، هتسافر إمتى ؟

- بعد يومين .

- يومين ؟!!!واضح إن أنا اللي بحاول أصعب كل حاجة، قوم يا فهد سافر دلوقتي يلا قوم ... شوفت أنا متساهل ازاي .

- هتضيع الوقت في الكلام الفارغ ومش هعرف أقولك اللي أنا عاوزه .

- آه أضيعه، أصل كنت فاكر إن الوقت كله ملكنا .

- يا وحيد صدقني أنا شايف مستقبل أحسن... مستني بس نخطفه سبني أخطفهولك أنا.

- أخطفه يا فهد بس إوعى تتوه هناك .... لأني مش هكون معاك ... أو جنبك.

تمر اللحظات بطيئة كئيبة بين الروح الواحدة المتفرقة على جسدين تنازع أحدهم الهواجس وتنازع الأخر الأمنيات، ما أجمل أن يكون لديك صديقًا يشعر بك! ... يتقمصك! ... يلبس إحساسك ويلمس جراحك بيد شافية ... ناعمة ... رقيقة .

*****

يا طاهر أنا بحبك إنت وأخواتك وأتمنى إني أشوف فيكم اللي عجزت عنه، كنت أحب أكون أنا وإنتوا في عالم تاني غير ده ... عالم يستحق إنه يشوف أجمل ما فيكم ... يستمتع بيكم وتستمتعوا بيه .... مش يعيش على دم كل اللي يحاول يساعده أو يغيره للأحسن، إنت فاهم حاجة يا طاهر؟ ينظر ابنه إليه ويضحك بخجل.

وحيد ضاحكًا : عارف إنك مش فاهم حاجة وعلشان كده بتكلم معاك !!

لو كنت فاهم يا طاهر عمري ما كنت كلمتك إلا عن روعة الحياة وأد أيه جميلة ومشرقة، وأد أيه مستنيك أمنيات تحققها، قرب مني يا حبيبي وسبني أكلمك قبل ما تكبر وتشوف الدنيا على حقيقتها، مش زي ما كنت بحكيلك عنها .

*****

- هو لازم كل ما نقعد مع بعض نتخانق ؟!

- إنت على طول بتتهمني إني مش فهماك مع إن الحقيقة إني فهماك كويس جدًا وهو ده سر كل مشاكلنا، إنت عاوز تظهرلي نفسك بصورة جميلة على عكس الحقيقة والواقع .

- وإيه اللي يضايقك في كده؟! إيه المانع إني أتجمل قدام ست من المفترض إنها مراتي ومن المفترض إنها أنا، أيه المانع حتى إنك تجامليني وتقوليلي زي ما بنقول للأطفال إنت كويس وهتبقى أحسن إن شاء الله، أيه المشكلة في كده ؟!

- وهو أنت طفل ؟

- أنا راجل عجوز عنده ميت سنة مصاب بكل أمراض الشيخوخة وكلها مأثرتش فيا ذي الممرضة اللي عايشه معايا في الزنزانة دي، ملهاش هم غير إنها تفكرني أد أيه أنا إنسان فاشل وغير جدير حتى بالحياة .

- أنا قلتلك قبل كده إنك فاشل ؟؟!!!

- وهو لازم تقوليها صريحة؟ لما منقدرش نقعد مع بعض نتكلم لمدة نص ساعة فإنت بتقوليلي إني فاشل ... لما مقدرش أخليكي كل دنيتي فأنا فاشل ... لما أخسر قضيتي في إصلاحك لما متحاوليش تساعديني ولا تبيني اهتمام لكل محاولاتي إني أغيرك، إني أخليكى مرايتي، لما يحصل كل ده فإنتِ بتقوليلي إنت فاشل ألف مرة .

- يعني في النهاية أنا السبب برده ؟!!

- استغرابك ده هو اللي بيوصلني للجنون، تعالي أقولك سر أول مرة تسمعيه في حياتك تعالي.

تقترب متململة من حديثه وطريقته ... هاه؟

البيت ده لما حاربت علشان أبنيه كنت فاكر إنه الجنة اللي هاخدك ليها علشان نستريح فيها من الدنيا ... نكتفي فيه ببعض، عملت كل حاجة علشان البيت ده يبقى حضن أشوف الأمل بيرقص في كل حته فيه، اطمني أنا مش جي احكيلك حكايات أبو زيد الهلالي ذي ما بيعمل المهاويس اللي بيضحوا غصب عنهم وبعدين يملوا الدنيا زعيق إنهم ضحوا ولازم الناس تشيلهم من على الأرض والا يعملولهم تمثال، لا يا حبيبتي أنا بس بفكرك بجهد راجل من المفترض إنك عاوزة تكوني معاه وتاج على راس قلبه، مش مجرد جسم بيتحرك قدامه، هو أنتِ النهارده بتعاقبيني وبتعاتبيني على إني خليتك كل الناس؟! أنتِ بتعاقبيني إني اكتفيت بيكِ من الدنيا؟! اللي مزعلك إني عوزك زوجة وصديقة وحبيبة؟! عارفه ... تعالي معايا أوريكي حاجة...

يأخذها وحيد من يديها مندفعًا بها نحو الحمام.

تعالي امسكي المساحة دي واتفرجي عليا، أمسك وحيد بدلو الماء وراح يصب ما فيه على الأرض وينظر إليها ..

يلا نشفي الأرض، تنظر إليه مندهشة وتقوم بتجفيف ما أوقعه من ماء، وحيد يصب مرة أخرى يلا نشفي، وكلما جففت الأرض يقوم وحيد بصب الماء ثم صار أسرع وأسرع من محاولاتها حتى أغرق كامل أرضية الحمام ..... ينظر إليها .... فهمتِ حاجة؟؟

تنظر إليه بنظرات لا توحي بأي شيء وكأنها الفراغ.

- احنا بنغرق يا حبيبتي، بنغرق رغم كل محاولاتي لتنشيف أرض البيت ده، عاوزة تصوير أبلغ من كده لدورك في البيت وحمايته من الإنهيار ؟؟ اتفضلي...

يفتح الصنبور الموصل بخرطوم إلى أرضية الحمام فيندفع الماء بصوت الحشرجة وينساب حتى يكاد يخرج لباقي المنزل فيغرقه، ثم ينصرف وحيد إلى غرفته تاركها أمام الماء المنهمر من الصنبور ولكنها تسرع خلفه بعد أن أغلقته...

- هو إنت لازم تكلمني بالألغاز علشان تقولي في الأخر إني مش فهماك ؟

- لا أبدًا لا ألغاز ولا حاجة كل اللي حصل ده يتلخص في جملة واحدة قالها واحد معقد زيي (متى يبلغ البنيان يومًا تمامه إذا كنت تبني وغيرك يهدم)؟

- وطبعًا أنا اللي بهدم ؟ قالتها بنبرات حادة مستنكرة.

- يا حبيبتي مش مهم مين اللي بيهدم .. مش مهم مين الجاني .. المهم إن احنا نعترف إن في حياتنا حد بيهد ونقاوم وإلا هنغرق كلنا.

- طيب إن شاء الله !!

*****

- ألو.. إزيك يا عم سامي أنا هسافر النهارده.

- والله وحشني يا فهد ربنا يوفقك وترجع بالسلامة، هو وحيد معاك ؟

- لأ هنتقابل بعد ساعة، كنت عاوز أشوفك قبل ما أسافر .

- إمتى ميعاد الطيارة ؟

- على تسعة بالليل بإذن الله.

- هشوفك بإذن الله في المطار.

- شكرًا يا عم سامي.

- متقلش كده إنت ابني وكفاية إنك حبيب حبيبي.

ينهون المكالمة بضحكات غامرة على انتظار اللقاء في المطار.

- يا وحيد اتأخرت ليه ؟ قولتلك تيجي بدري.

- ساخرًا : سامحني إنت عارف أنا بحب أجي متأخر علشان ألاقي الكل مستني.

- أنا كلمت عم سامي وهيقابلنا في المطار.

- تمام.

- مالك يا وحيد ؟

- بفكر في اللي جاي ... تفتكر خلاص كده هنبقى أغراب والا ممكن نتقابل تاني ؟

- متفكرش في الكلام ده أنا مش أول واحد يسافر في الدنيا، المهم عاوز أوصيك بشوية حاجات، خد الورقة دي فيها كل ديوني هبعتلك لما استقر فلوس علشان تسددها.

- متقلقش، ها في حاجة تاني؟

- لأ يلا نشرب الشاي.

- يااااااه يا فهد الغرفة سيئة ومش مترتبة زى ما اتعودت عليها، كأني شايف الذكريات عمالة تتنطط حواليا، فاكر يا فهد اللي حصل هنا؟ ... وهنا؟ ... وهنا؟

يلف وحيد حول نفسه وهو يشير بيده إلى أماكن متفرقة من الغرفة...

- طبعًا فاكر وفاكر كل لحظة هنا وبره... كنا مجانين، قولي عامل أيه مع مراتك ؟

- الحمد لله مفيش جديد.

- تعرف إنت فعلًا صعبان عليا، مش عارف إنت عملت فينا كده ليه ؟

- أنا معملتش فيك حاجة، أنا عملت في نفسي بس والا إنت عاوز شماعة .

- لأ إنت عملت فيا وفيك؛ قلتلك منتجوزش دلوقتي وإنت صممت .

- كنت فاكر إنها هتتغير وتبقى مراتي وصاحبتي وتريحني منك .

- ضاحكًا : إلا إنها بقت مصيبتك .

- وإنت بتشتكي من مراتك في أيه أنا مش فاهم ؟

- مش عارف أحس بيها .

- واتجوزتها ليه يا فالح ؟ وبعدين إنت شايف إن المدة القصيرة دي كافية للحكم عليها ؟

- اتجوزتها علشان ترتاح إنت ويرتاح كل اللي حواليا.

- ارتاح !! وأنا قلتلك اتجوزها ؟ ثم قولي أمور واضحة أيه الي مضايقك من المسكينة دي ؟

- ولا حاجة يا وحيد حاسس إني اتجوزتها مجاملة، الوقت بيجري لازم نتحرك علشان أكون في المطار بعد ساعة بالكتير .

- تعرف لازم أسأل أبويا ليه سماني وحيد ؟ كأنه كان عارف إني هكون لوحدي معظم فترات حياتي ؟

- لأ بيتهيألي كان يقصد وحيد من نوعك وسبني أقولك إني كل ما كنت بروح حديقة الحيوانات كنت بدور عليك في الأقفاص وأقدر أقسملك إني ملقتش هناك ولا حيوان واحد يشبهك إنت هتبقى إضافة للحديقة .

- حديقة الحيوانات يا متغطرس ده على أساس إني هصدقك؟ إنك روحت حديقة الحيوانات وسابوك تخرج، يا فهد لو مكنتش شوفت هناك أي حيوان يشبهني فأنا شوفت هناك ألف حيوان يشبهك يا أيها المتغطرس الصغير .

- بكره تفتقد الحيوان الي مش عجبك ده، ومش هتصل بيك هسيبك كده وحيد طريد شريد.

وتتعالى ضحكاتهم...

- وحيد مازحًا : يلا يا غطروس ننزل هلاهيلك شنطة العربية لأني بفكر فعلًا أسيبك وأروح أنام .

- قولي فعلًا هتحس إن ناقصك حاجة ؟

- طبعًا، هفتقد الطفل اللي مبلاقيش نفسي إلا معاه، هفتقد كمان تحليلاتك السريعة يا فهد، إنت صاحبي الوحيد مش عارف ليه إنت تسافر فتغرب أنا، تغلط إنت واتحاسب أنا، مش عارف ليه دايمًا بتهرب بعملتك وأنا ادفع الفاتورة كاملة .

- لأنك حبيبي لازم تدفع، أنا شايف مستقبل مشرق قدامي متفائل قوي و بسرح في حياتنا بعد الراحة، أصعب حاجة إن الفلوس تبقى الحاكم على اللي إنت عاوزه ومش عاوزه، وأنا مش عارف أنفذ طريقتك بتاعة الاستغناء دي لكن شايف إن الفلوس تملى جيبي الأول وبعدها أحدد أنا عاوز أيه ومش عاوز أيه.

- يعني هتبقى صديقي الغني اللي هتفنن في ابتزازه وسرقته، إنت عارف أنا أحب دايمًا أشارك في كل الأمور، لازم ابقى إيجابي .

- وإيه ايجابيتك في سفريتي دي وإنت كل ما تلاقي فرصة تفضل تقطمني.

- هابتزك يا فهد مش كفاية عليك الإيجابية دي ؟!

- وتبتزني ليه ده إنت تأمر وأنا أنفذ .

- بس أنا فقير والفقراء عندهم داء خطير، الفقر مرتبط دايمًا بالكبرياء، كأنه سلاحهم في مواجهة اللي ميقدروش يشتروه فبيعملوا نفسهم مش عاوزينه، أنا أفضل أبتزك .

- ممكن نكمل كلامنا في طريقنا للمطار ... يالا بينا...

ينطلق الصديقان إلى سيارة وحيد وينطلق وحيد بسيارته حاملًا فهد وحقائبه وأحلامه إلى المطار.

وفي المطار.

- إزيك يا عم سامي ؟

- بخير .. فاجئتنا إنت بسفرك ده يا فهد .

- والله يا عمي الجري ورا لقمة العيش.

- بإذن الله تتوفق في سفرك، كأني بودع ابني التاني، يا فهد أنا أبوك وليا حقوق عليك .

- طبعًا وبإذن الله أول ما اوصل هطمنك.

- مالك يا وحيد ؟

- أبدًا مستني تخلصوا فقرة البؤساء دي وادخل معاكوا في الفقرة التانية، يا فهد حافظ على وزنك كرشك أمانة بين إيديك .

- متخافش يا صاحبي ده في عنيا .

يصل فهد ووحيد وعم سامي إلى بوابة الوزن في المطار.

موظف الأمن : من فضلكم المسافر فقط يدخل من البوابة.

- يلا يا وحيد لازم أمشي.

يحتضن الصديقان بعضهم في مشهد يبدو وكأنهم حبيبين على موعد فراق، الدموع تملىء عيونهم والكلمات تتبعثر من حولهم يهمس كل منهم في أذن صديقه بوصيته ونصائحه كأن أرواحهم توأم في جسدين، فهد لأول مرة تفيض عينيه بالدموع في لحظة وداع فكثيراً ما مر بلحظات الوداع هذه ولم يتوقف فيها.

- يا فهد خلي بالك من نفسك وافتكر دايمًا إنت سافرت ليه وسبتني، وافتكر إننا على ميعاد ربما لو اجتهدت تخليه قريب وممكن تخليه مجرد حلم ميتحققش أبدًا إلا في خيالنا، أوصيك يا فهد إني أشوفك تاني، مش عارف يا أخي أنا بردان كده ليه؟ كأني كنت بتغطى بيك .

- حاضر يا وحيد، مع السلامة أنا لازم أمشي.

- وأنا ... مش هتسلم عليا .

- يحتضنه فهد ... حبيبي يا عم سامي..

*****

يخرج وحيد وأبيه من قاعة المطار إلى الشارع الفسيح..

- هون عليك أنا عارف إنه صاحبك وأخوك اللي خلفته ليك الأيام لكن هي كده الدنيا، لازم تساعده إنه يلاقي نفسه ويحقق طموحاته، فاكر لما كنت عاوز تسافر وكام مرة حاولت، حتى وإنت طفل صغير، فاكر لما جبت إعلان للهجرة واتحايلت عليا أقدم لك فيه، وأنا قلت لك إنك لسه صغير، ولما تكبر ممكن تسافر لأخر الدنيا، لكن إنت لما كبرت مسبتنيش يا وحيد وفضلت معايا .

وحيد سارح في خياله يتذكر كل أيامه الجميلة مع صديقه الوحيد وكيف كانوا يجلسون بالساعات يتحدثون لا يملون، يتذكر كيف تقابلوا وكيف استطاعوا أن يتشبثوا ببعضهم في منعطفات الحياة الخطيرة .

- يا وحيد هون عليك ... مراتك وعيالك عاملين إيه ؟

- الحمد لله بخير..

- حاول متدققش في أخطائها البسيطة... كلنا مليانين عيوب، وهي ما دامت بتجهز لك أكلك وبتربي عيالك خلاص متقفش معاها في الأمور البسيطة.

- تجهز الأكل!! يا لها من زريبة، آه بتجهز الأكل أقول لك كمان على حاجة تبهرك ؟ بتغسل الهدوم وإوعى تندهش لو قلتلك إنها كمان بتصحيني الصبح للشغل، أيه رأيك شايف هي أد أيه رائعة !

- سامي ضاحكًا : اتريق يا سيدي، أنا أقصد إنك عارف إن دي إمكانياتها خد منها الجميل ومتعكرش على نفسك الدنيا .

- هو في حد عاوز يعيش تعيس ؟ ولو كان في.. إنت شايفني الشخص ده ؟

- أه لما تبقى عاوز تتكلم معاها في كل حاجة يبقى إنت بتدور على التعاسة، هو في حد عاقل في الدنيا يكلم مراته في كل حاجة، ثم إننا قلنا لك إن دي إمكانياتها نعملك أيه بقى ؟!

- ولأن دي الحياة اللي تستحقها اللي في إمكانياتها.

- يا ابني عاوز أشوفك فرحان وسعيد، لازم تفهم إني بتقطع لما بشوفك على طول في التعاسة دي، حاول تسعد نفسك.

- وأنا معرفش ابقى سعيد لوحدي، السعادة أصلًا واحدة ست أشاركها أحلامي وطموحاتي، طيشي وجنوني، راحتي وهدوئي، السعادة إنك تقسم كل حاجة على اتنين إني أبدأ الضحكة وهي تكملها أزرف الدمعة فتمسحها، إني أفكر فى الفكرة فتفهمها، حياة تختلف كثيراً عن حياة البهايم، وحياة الأكل والنوم.

- ماشي يا فيلسوف.

*****

عاد وحيد إلى بيته شارد الذهن، دخل إلى غرفة مكتبه التي دائمًا ما تبدو مظلمة وغير مرتبة، بذلك المكتب المختفي تحت أكوام الكتب والسجادة الزرقاء القاتمة، وصوت بندول الساعة المنتظم، أشعل سيجارة وتلقف كتاب من مكتبته المكتظة بالكتب، كان الكتاب يتحدث عن الرأسمالية أهداه له صديقه فهد قبل فترة فراح

يقلب صفحات الكتاب باحثًا عن صديقه بين تلك الأوراق المهترأة الصفراء بل أخذ يقرأ بضع سطور منها ويناقشها على أنها رأي فهد الشخصي أليس هو من اختارها لتكون في مكتبتي وبين يدي الآن، ولكن الحقيقة لم تكن في سطور الكتاب ولا محتواه بل كان يبحث عن شيء يخبره أن صديقه لازال يحيط به وأنهم لم يفترقا.

كان يحاول أن يدفع أشباح الفراق إلى أخر خيالاته إلى حيث لا ترى عينه، وكأنه موقن أن اللحظات الأخيرة في المطار كانت أخر عهده باللقاء، وكأنه من قلة أفراحه أصبح يقاتل كل شيء يحاول أن ينتزع منه هؤلاء الذين يلونون له الدنيا بتلك الألوان الزاهية، تتضارب في رأسه الظنون يبحث في مخيلته عن شريك، يتطرق فكره إلى زوجته تلك القابعة في الفراش والتي تغط في نوم لا يحظى به إلا أصحاب العقول الخاوية ولكنه يطردها سريعًا من مخيلته لأنها ليست صاحبة تلك المرحلة وربما أنها لن تكون صاحبة أي مرحلة، ولكن هل يكمل وحيد في الدنيا وحيدًا ؟

لم يدري بنفسه إلا والساعة تقترب من العاشرة صباحًا فقد نام كما هو بملابسه فنهض سريعًا وأخذ دشًا دافئًا، وراح يجهز لنفسه إفطارًا كما اعتاد في أيام أجازته، كان وحيد دائمًا ما يتأخر عن عمله بسبب انشغاله في السهر ليلًا مما يعيقه عن الاستيقاظ مبكرًا إلا في أيام العطلات كان يدب فيه نشاطًا غير عادي فيستيقظ مبكرًا حتى وإن أنهك نفسه بالسهر !!

وظل في مكتبه يتململ بين القراءة والكتابة، كان كثيرًا ما يحب أن يدون خواطره وما ينوي فعله في المستقبل القريب والبعيد، فلما جاء المساء رأى أن ينزل إلى الشارع فكان جو الغرفة يخنقه..

*****

حنين لزوجها

أنا زهقت وتعبت وخلاص مليت... حنين امرأة جميلة ورقيقة في النصف الأخير من العشرينات، بيضاء ممشوقة القوام عيونها الزرقاء تبدو كموج البحر، شفاهها بلون الفراولة ولكنها بطعم الشيكولاته، ولها ميول فنية.

ينظر إليها زوجها بفتور، ذلك الشاب الثلاثيني ذو الشعر الأكرت والعيون الضيقة الزائغة، أنفه طويل وشفاهه تكاد لا تظهر من فمه، دائمًا ما يشعرك بوجهه وحاجبه المرسوم كخط عريض غير مفصول فوق عينيه أنه مستيقظ للتو من نومٍ عميقٍ.

- عاوزة أرجع الشغل، أنا قاعدة في البيت بكلم الحيطان وإنت بترجع من شغلك متأخر، وبعدين تقعد تاكل وبعدين تنزل لأصحابك...وأنا أفضل لوحدي...أنا حاسة إني عايشه لوحدي .

- دايمًا تهولي كل حاجة ما أنا قاعد معاكِ أهو، والا إنتِ مش واخدة بالك؟؟

- واخدة بالي إننا من ساعة ما رجعت متكلمناش خمس دقائق، إنت قاعد مع التليفزيون مش معايا .

- اعتبريني قاعد معاكِ ... يلا اتكلمي .

تقوم في غضب ودموعها تترقرق في عينيها ... عمرك ما هتفهم.

رفع طارق الذي كان يلعب مع أخته تسنيم في أرض الغرفة وأجلسه على بطنه .... يمازحه وهو يهدهده، ترتفع ضحكات طارق لتملىء جو الغرفة، ما أجمل بسمات الأطفال لأنها صادقة، ولكنها لا تمحي ما تعلق بالعين التي رأت دموع حنين وهي تنسحب من الغرفة لتتقلب على الشوك وحدها في سريرها الناعم .

حنين تحدث خيالها :

هكذا هو الزواج يا أبي ؟؟ كنت تعلم كل هذا ورغم ذلك زوجتني ؟؟ أنا أعيش وحيدة أكلم نفسي وجدران غرفة صامتة، ابحث عن حبيب مجهول لم يخلق إلا في خيالي !!

- حبيبتي ما يبكيك ؟؟ يقترب منها ذلك الخيال ويجلس على ركبتيه تحت قدميها ... يمسك بيدها يقبل باطن كفيها، لا تبكي يا عمري ... ألم أقل لك مرارًا أن دموعك هذه أغلى عندي من عمري ؟ هكذا تسكبين عمري على الأرض يا عمري ؟

تجفف دموعها وتنظر إليه معاتبة .. أنت من أسقطها .

- حبيبتي وهل ينتحر إلا مجنون ؟؟ حبيبك مجنون...مجنون بك...بك وحدك ... تعالي ادخلي حضني...

- تدري لا أريد أن أخرج منه أبدًا، فكلما تركتني يجرحني حتى الهواء ! لماذا تتركني وحيدة ؟ وأين تذهب ؟!

يمسك رأسها بكلتا كفيه وينظر إلى عيونها لا يتكلم.. يبتسم... يغازل بأصابعه خصلات شعرها المنسدل، تحتضنه وتنام على كتفه ... يرفعها مرة أخرى وينظر إلى عيونها... هل ظننتِ أني تاركك ؟؟ هكذا ظنك بي !!

تحتضن هي كلتا يديه بيديها وتبتسم إنت حبيبي.. جزء مني إنت خُلقت لي أنا وحدي .

- وهل تركتِ لي شيء يا عمري في نفسي أملكه ؟؟

يدخل زوجها الغرفة مندفعًا : حنين إنتِ نمتِ ؟

جاءت كلماته لتوقعها أرضًا ولترغمها على النزول إلى واقع الدنيا وحياة الناس، تخطفها من تلك الفجوات الزمنية وتفجر فقاعات الأحلام الطائرة !!

تبخر حبيبها، وكأنها تمسك الهواء ... تعود إلى الواقع بمنتهى السرعة والفظاظة ... تنتابها الدهشة والسخرية.. تنظر إلى زوجها نظرات شاردة... تائهة... وكأنها تبحث عن شيء، بل هي فعلًا تبحث عن شيء... عن ذلك المجهول الذي يتسلل إليها كلما ألم بها هم أو حزن.

- حنين إنتِ مش سمعاني؟ إنتِ نمتِ ؟؟!

- عاوز أيه ؟

- قومي حضريلي هدومي وطلعي جاكت تقيل، الليلة شكلها برد وممكن تمطر، يلا قومي أنا رايح الحمام .

يخرج زوجها ولا تقوم حنين .. إنها تحاول جمع شتات صورة فارقتها منذ ثواني.. حلمًا ورديًا عابث في مخيلتها ... تطارد أحلام تراها تفر وتهرب .

*****

ينزل وحيد من منزله لا يدري وجهته، ولا إلى أين يذهب! قد أخذ معه ورقة وقلم باحثًا عن مكان هادىء يجلس فيه لتنتابه حالة الكتابة، فالكتابة حالة تشبه المس لا يستقيم صاحبها على حال، فأخذ يمشي باحثًا عن مكان يلهمه، وكان له في كورنيش النيل ما تمنى، جلس وحيد على كافيتيريا تطل على النيل الهادىء تخالط عينه أضواء المراكب السائرة بأنوارها الملونة وصخبها البعيد.

- تطلب حاجة يافندم ؟

- أه أطلب واحد بني أدم على بسطة ... عندك ؟

- يضحك الشاب الواقف أمامه : لا يا فندم لكن عندي مشروبات فريش جميلة جدًا.

- إنت خريج إيه ؟

- أنا بكالوريوس هندسة مدنية.

- ما شاء الله رائع وإيه الصينية دي بقى ؟ ظروف البلد والا أيه؟

- والله حضرتك هي أكيد أفضل من البطالة وأنا بصراحة وعدت حبيبتي إني في خلال سنه لازم أروح اتقدملها ومفيش أي فرصة غير دي .

- هي كانت زميلتك في الجامعة ؟

- أه وبنحب بعض من أول سنة أولى ادعيلنا ربنا يجمعنا ببعض .

- والله خايف ادعيلك ابقى بدعي عليك يا .. إنت اسمك أيه ؟

- أنا أخوك ياسر.

- شوف يا ياسر أنا مش عاوز أعقدك خصوصًا إنك شاب مكافح، وأنا شايف في عنيك أمل وعزيمة وتقريباً هما دول الي إنت محتاجهم وإنت ماشي في الدنيا علشان تقدر تكمل كإنسان، الأمل هو اللي هيخليك تصحى كل يوم الصبح، والعزيمة هي اللي هتحققلك الأمل الي صحاك من النوم، لكن الجواز يا ياسر محتاج تروي، افتكر أنا اسمي وحيد افتكر كلامي يمكن تحتاجه في يوم من الأيام، الصبر عمره ما كان وحش فأوعى تستعجل، إنت بتكافح هنا علشان أنثى وأنا كمان الي جابني هنا أنثى، بس أنا بهرب منها وإنت بتدور عليها !!

- أنا أسف جدًا يا أستاذ وحيد، لكن أنا بقالي فترة واقف وحضرتك مطلبتش حاجة وكده أنا ممكن أتأذي .

- طيب اختارلي حاجة على ذوقك أنا هقعد أكتب فخلي اختيار المشروب عليك وشربه عليّ أنا.

- زي ما تحب.

وانصرف الفتى الوسيم ياسر وهو يفكر في هذه الكلمات البسيطة التي سمعها للتو من وحيد، هل هذا الرجل تألم لدرجة جعلته ينظر إلى الدنيا كلها بمنظار أسود أو ربما هو مجروح يخشى على كل من يقابلهم من الجراح أن تصل إلى قلوبهم فجراح القلوب لا تندمل، وعلى كلًا فهو أوكل لي مهمة اختيار مشروبه، فسأختار له برتقال طازج عله يذهب بعض ما في نفسه .

*****

يا ألفت عاوزك تطلبي من وحيد يجي هنا، واقعدي معاه أظنه محتاج ليكِ الفترة دي.

- فهد سافر زي ما قال ؟

- سا فر وودعناه من يومين، ووحيد متأثر جدًا بسفره متنسيش إنه صديقه الوحيد.

- ولسه ابنك عامل مشاكل مع مراته ؟

- زي ما هو، ابنك راجل حالم عاوز يصلح الدنيا، لا بيرتاح ولا بيسيب اللي حواليه يرتاحوا.

- أنا من البداية نصحته وقولتله إن الجوازة دي متنفعهوش، الفروقات يا سامي بينهم كبيرة، قلت له إنت عاوز واحدة تفهمك لكن اتشبث برأيه وقالي إنه بيحبها، وهو الحب يفتح بيت !

- الي حصل حصل وهو دلوقتي أب لثلاثة أطفال مش لاقي طريقة أقنعه إن اللي بيفكر فيه فات أوانه من زمن بعيد من ساعة ما مراته خلفت زياد أخر العنقود، كنت بزورهم الأسبوع اللي فات كانوا بيسألوني عليكِ.

- ربنا يصلح الحال على خير، بإذن الله أكلمه واطلب منه يجي، نفسي يسافر هو كمان ويشتغل بره، الشغل هناك أفضل ومجزي ماديًا .

- سبحان الله أنا عاوزه يكون بيننا وأنتِ عاوزه تبعديه ؟!!!

- يبعد علشان مراته وعياله، يحسن دخله ومستواه هنعمل بيه أيه وهو قاعد جنبنا ؟

- نطمن بيه، وهو احنا بنخلف علشان لما يكبروا يسبونا ويتغربوا ؟

- كلامك ده هو اللي مقعده هنا ومخليه ميتقدمش خطوة واحدة لقدام.

- ابنك مش عاطل، ابنك متجوز وعنده تلت عيال وشغال وعنده شقة وعربية، يبقى نقول الحمد لله على كده وكفاية مش لازم ندفعه للغربة، الغربة نار بتاكل أجمل ما فينا وتسبلنا الجمود، مش كفاية الغربة اللي عايشنها هنا في بلدنا، كل حاجة حوالينا محسسانا بالغربة نروح احنا نزود غربتنا غربة !

- كنت أتمنى وحيد ميطلعش زيك...بيتكلم زيك بالظبط، مش عارفة أيه الرومانسية اللي عايشين فيها دي، رومانسية فجة في زمان محتاج الكد والكفاح.

- رومانسية فجه ؟! دي مشاعر بيتخلق الإنسان بيها مش ممكن تفهميها لأنها مش ممكن تتشرح .

- أظن إن إنت اللي بتحرضه على مراته وبتخليه يعمل مشاكل معاها .

- أنا عمري ما حرضته أنا هحرض ابني على تعاسته، مال كلامك ممل ومستفز كده ليه؟

- ماهو كان بيحبها أيه اللي غير الأمور ؟

- إنه اكتشف فيها اللي مكنش شايفه، اكتشف اللي كان مخبيهوله الحب، اكتشف إنه اتجوز واحدة متفرقش كتير عن أمه.

- ومالها أمه؟؟!!

- ست جامدة متبلدة معندهاش مشاعر الأمومة، أنتِ فاكره حتى أخر مرة أخدتيه في حضنك كانت إمتى ... فاكره ؟

- وهو أنا لازم أطبطب عليه كل ما أشوفه علشان يحس بالحنان !

- لا هيحس بيها لما يبص للراجل اللي هينط من عينك...

*****

- هترتاحي يعني لو نزلتِ الشغل ؟

- أظن هيبقى أفضل من قعدتي الكئيبة دي .

- وطارق وتسنيم هتوديهم فين ؟

- الحضانة طبعًا ... وأنا هدفع مصروفات الحضانة .

- أظن إن ده أمر بديهي.

- وأنا قلت إني هدفع.

- ماشي ... يلا جهزي نفسك علشان نخرج، أيه رأيك نروح المول .

- سمعت إن في هناك خصومات عاوزة أشتري هدوم لطارق .

*****

- جبتلك كأس عصير برتقال فريش أتمنى يعجبك.

- مازحًا : شكرًا لك أنا قلت هتجيب قهوة علشان الدنيا تبقى سودة على الأخر.

- لو عاوز أجيب لك، أنا قلت تشرب حاجة متلجة تنعش ذاكرتك أنا عارف إن الكتابة بتحتاج ذاكرة يقظة.

- الكتابة مش محتاجه إلا مصدر إلهام وبعدها تعمل فيك اللي هي عوزاه ممكن تصحي ذاكرتك، وممكن تقتلها وممكن تخليك تطاردها بين الورق ... شكرًا ليك على أي حال..

شكره ياسر وانصرف..

أمسك وحيد بقلمه وراح يخطط في الورقة خطوط غير مفهومة تحدثه نفسه بأنه لابد وأن ينطلق إلى حيث طريقًا لا يعلمه ولكنه يعلم أن فيه سعادته، يختلط في رأسه ذكرياته الحزينة على كثرتها، وذكرياته السعيدة يفكر في بلاده وما آل إليه الأمر فيها من مظاهرات تقطع الطرق في كل مكان، شعارات ضخمة يحملها من لا يفهم منها أي شيء، أناس خرجوا للحرية التي لا يعرفوا معناها ولا يستطيعوا أن يتنبئوا بمسئوليتها، فأصبح ديدن الناس في مصر هو الاعتراض والامتعاض لأي سبب وكأنهم قنبلة موقوتة بغير ساعة جاهزة لتنفجر مع أول موقف أو حدث ينكىء شيء ما بداخلها .

إنها بلد المتناقضات بعينيها، بلد يترنح بين يدي شبابه ولا يجد من ينقذه، بلد يفقد تاريخه ومجمعه العلمي بزعم الحرية ولا أدري أي مستقبل هذا الذي يسحق تاريخ الماضي العظيم بمنتهي القسوة، فمشهد هؤلاء المهابيل الراقصين على أطلال نار حريق المجمع العلمي لا تفارق عيونه، من هؤلاء؟ ولصالح من يعملوا ؟، يتذكر هذه الأحزاب التي تحزبت من أجل مصالحها الشخصية والتي راحت تنفق ملايين الجنيهات على كذبة هم يعلموا جيدًا أنها لا تعدو أن تكون كذبة لا واقع لها، يشتركون مع هؤلاء الراقصين في تمزيق الوطن، يتجاذبونه بين أيديهم ربما وفق مخطط خارجي أو داخلي يسيرون عليه جميعًا بلا اتفاق معلن ولكنهم ينفذونه في انسجام تام ينبىء بوحدة المصدر وأنه إنما يسوقهم جميعًا مايسترو واحد، قلب وحيد هذه الصفحة التي ملأها بالدوائر والخطوط المتقاطعة ليفتح صفحة جديدة ويخط فيها الآتي :

إن الأوطان هي نعمة لا يعرفها إلا من فقدها، إنها جلدة ما بين العين لا مكان يسعها غير قلب أبنائها، فإن جاء من بينهم من تحالف عليها وأراد هلاكها فما نملك حينها وما نقول، إن بلادي لا تحتاج لرئيس على رأسها يصلحها ولكنها تحتاج شعبًا غيرنا، تحتاج إلى أناس يعرفوا ما معنى الوطن؟ وكيف يصاغ مستقبله؟ وكيف يصنع من ماضيه حاضره؟.

لن أ قتنع أن بلدنا قد شاخت وعقمت نسائها أن تلد شعبًا راقيًا يتحمل مسئولية رفعتها، لا أعرف إلا أننا جميعًا مقصرون وأنا أول الخاطئين، تخالطني فكرة التبني ولكني لا أدري أيتبنى وطننا أبناء غيرنا أم أن الواقع يحتاج لأبناء يتبنوا هم هذا الوطن؟ وكأني أنظر إلى تلك الجزيرة الصغيرة وكيف تمكنت خلال ٣١ عامًا التحول من جزيرة نائية إلى أهم مركز تجاري ومالي في العالم إنها سنغافورة التي كانت شوارعها في عام ١٩٦٠ مليئة بالمزابل والقاذورات؛ يستحم أهلها في الشوارع؛ يعانون البطالة وشدة الفقر؛ يمزقهم الإدمان والمخدرات؛ والتي أصبحت بفضل سكانها الذي يصل تعدادهم إلى خمسة ملايين أن تكون رابع أهم مركز مالي في العالم، ومدينة عالمية تلعب دورًا مهمًا في الإقتصاد العالمي، بل ويعد مرفأ سنغافورة خامس مرفأ في العالم من ناحية النشاط .

وبالمناسبة فسكان سنغافورة خليط من الصينيين والملاويين والهنود وآسياويين وقوقازيين من ثقافات مختلفة وال 42% من سكان الجزيرة هم من الأجانب الوافدين للعمل أو للدراسة، فترى هل ينجح معنا موضوع التبني ؟

أتى ياسر ليسحب المقعد وقد غير ملابسه وخلع زي العمل وارتدى قميص بني وبنطال جينز وقد أصلح شعره ووجه كلامه إلى وحيد المنهمك في الكتابة حتى إنه لم يشعر عندما جلس ياسر في مواجهته.

- تسمحلي أقعد معاك ونكمل كلامنا؟ أنا خلاص خلصت شغلي وأنا دلوقتي زبون زيك.

- طبعًا اتفضل، سبني أعزمك الأول على مشروب متلج زى اللي جبتهولي ؟

- معنديش مانع، شدني كلامك عن المرأة، كنت تقصد أيه بـ (أنا بهرب منها وإنت بتدور عليها) ؟

- الأنثى يا ياسر..

الستات هما محور الحياة عند الراجل، لو شوفت راجل ناجح أو عظيم اعرف فورًا إن وراه واحدة ست هي اللي بتدفعه للنجاح على اختلاف الأهداف والوسائل، ممكن تكون بتدفعه ينجح علشانها أو انتقامًا منها، وكذلك لو شوفت واحد فاشل أو مجنون دور وراه هتلاقي ست؛ وكذلك كل جميل وقبيح هتلاقي وراه واحدة ست قاعدة فوق عرش النجاح أو الانهيار، متصدقش إن في حد يعرف يعيش من غير ستات والأمر أبعد من علاقة حميمة، لأ دي علاقة متشعبة ومعقدة قصة وحكاية بتدور أحداثها في جسدين وأبطالها روح واحدة ممزوجة، لذلك وقبل الامتزاج ده لازم تتروى وتفكر كويس مع أي روح إنت ناوي تندمج، وافتكر إنه ليس بالحب وحده يحيا الإنسان، الحب ذي الأرض الخصبة اللي كل ما تسقيها خيراً تفيض عليك بالخير، لكن بص على الفلاحين النهارده أغلبهم باع أرضه واللي سابها ياكلها التصحر؛ واللي استعجل فجرفها وبنى عليها بيت، مش كل الناس تصلح للفلاحة يا ياسر ومش كل فلاح ناوي يغرس ويزرع .

- بس أنا بحبها قوي يا أستاذ وحيد!!

- سيبك من أستاذ دي أنا وحيد وإنت ياسر؛ التكلف بيعمل فجوات سبنا نردمها وخليك على طبيعتك .

- أنا بحبها وعارف كويس إن هي كمان بتحبني وجيت هنا وسبت شهادتي اللي ضيعت عمري ومجهودي فيها علشان خاطرها علشان أكون جدير بيها، مش هخبي عليك أنا بموت كل يوم وأنا شايل الصينية دي اللي شوفتها وابقى خدام لناس مبيعرفوش حتى يفكوا الخط لمجرد إنهم معاهم فلوس .

- اسمع يا ياسر الشغل على أى حال مش عيب وأنا مش هديك درس في الكلام ده لأن مجرد وجودك هنا يبرهن إنك فاهم الدرس كويس، وبدأت كمان في تطبيقه ومكتفتش بمجرد الترديد، لكن لازم نتفق إن الحياة لا تستقيم لك أبدًا على طريقة لازم تخدك طالع نازل واللي بيألمك النهارده مش هيألمك بكرة، في مساحات كتيرة في مشاعرك هتتخدر وتدخل في نوبات إغماء عميقة وده مش دعوة مني ليك بالتبلد واللامبالاة لكن سبني أوقفك على أرض صلبة، كفاح النهارده بيصنعلك بكرة وإنت مش مجبر على أي حال إنك تستمر في الساقية دي.

إنت ليك أهداف لما توصلها تقدر في أي وقت إنك تحط حد للمهزلة دي وتعيد الأمور لنصابها، لأنك على أي حال هتتقدم لحبيبتك بصفتك مهندس مدني مش عامل في كافيه شيك على النيل، لذلك عليك إنك تصاحب في الطريق أهدافك ومتسبهاش تستناك في أي محطة بالعكس رافقها في كل وقت وعلى طول الرحلة وعرضها، علشان متنساش في يوم من الأيام إنك مهندس، أنا أعرف ناس كتير وهما في دوامة الحياة وطاحونة الكفاح نسيوا حتى إنهم بني أدمين وقدروا يخلعوا إنسانيتهم وسابوها في محطة من محطات الدنيا على أمل يرجعولها في يوم من

الأيام، لكنهم كانوا غادروا المحطة دي من زمان وإلى غير رجعة مش بس كده دول كمان ركبوا قطر تاني في الطريق المعاكس اللي عمره ما بيقف في محطة أحلامهم اللي سابوا فيها نفسهم أمانة، عاوز أرجع لحبيبتك، بتعرف تتكلم معاها ؟

- بكلمها في التليفون كل ما يبقى في فرصة لأن أبوها اللواء محسن عبد العال طلع معاش وقاعدلنا في البيت أغلب الوقت .

- لأ مش ده اللي أقصده، أقصد لما بتتقابلوا في مكان واحد بتعرفوا تتكلموا وتتقابلوا في الفكرة والهمسة، يعني في حاجات مشتركة بينكم، بتعرف تمسك بإيدك عقلها وتاخده للمكان اللي إنت عاوزه يشوفه، في تناغم في أفكاركم، تقدر تبكي قدامها وبين إيديها من غير ما تتكسف لكن أحيانًا بعزة وارتياح ؟

- يعني حتى الآن بيتهيألي إن الوقت مش كفاية لكل الكلام ده، برغم إننا كنا في كلية واحدة إلا إن كلية الهندسة بتحتاج مجهود كبير كان بيعكنن علينا لحظات خلوتنا علشان نقعد نجهز المشاريع والتحضير وغيره ولكن احنا على درجة كويسة من التفاهم .

- عندكم أحلام وطموحات غير الجواز ؟

- طبعًا نفسنا يبقى معانا فلوس نفتح مكتب للإستشارات الهندسية ونشوفه وهو بيكبر قدامنا، وحلمنا إن ربنا يرزقنا بطفلين يشاركونا رحلة حياتنا، أيوه يا وحيد عندنا أحلام كتيرة، هو احنا بنعمل حاجة غير إننا بنحلم!!

- أجمل حاجة في الدنيا الحلم لما يتقسم بين راجل وست، الحياة اللي تقوم على أساس التوافق العلمي والاجتماعي ويسقيها الحب حياة رائعة ومتجددة، شاركها في كل أمورك وإوعى تخبي عنها حاجة، عارف يا ياسر أغلب مشاكل البيوت أسبابها بسيطة، راجل مراته متعرفش أى حاجة عن دخله وكأنه سر حربي مش فلوس بيجيبها واحد علشان يتمتعوا بيها هما الاتنين، ده رزقهم مش رزقه لوحده .

- هي عارفة عن دخلي كل حاجة أنا بحوش معاها علشان تبقى على نور وتبقى معايا على الخط وتعرف أنا بعمل أيه ووصلت لأيه.

- رائع يا ياسر هو ده بالظبط اللي أقصده، إنك متعش الحلم لوحدك ميبقاش حلمك إنت وهي قاعدة تتفرج، لازم يبقالها دور في الحلم ده أي دور المهم تبقى موجودة فيه .

- شدني إنك بتكتب، واضح إنك مثقف وأنا بعشق القراءة.

- جميل يبقى هنتفق في حاجات كتير أصل المثقفين يشبهوا بعض إلى حد كبير حتى في اختلافاتهم؛ لأنها اختلافات ليها أرضية منطقية مش زى الناس اللي بيخالفوك ويخالفوا الواقع لمجرد إنه مش ماشي مع أوهامهم وهواهم .

وأردف ضاحكًا : علشان كده طلبت منك في الأول إنسان على بسطة .

يضحك ياسر مجاملًا.

- أنا استغربت طلبك افتكرتك بتهرج معرفش إن في هدف لحاجة تانية من وراه، قولي بتحب تقرأ للكاتب الكولومبي ماركيز ؟

- بتاع المائة عام ؟

- أه.

- رائع.. بتعجبني كتاباته جدًا.

- أنا ساكن جنب مكتبة في مصر الجديدة صاحب المكتبة راجل كبير اسمه الحاج أشرف راجل مثقف وقارىء جيد، بستعير منه الكتب وأوقات كتير مبدفعش بس هو اتعود إني أطلب منه كتاب أسبوعيًا على أي حال .

- أنا ساكن قريب من مصر الجديدة في منطقة جسر السويس، أحب إنك تعرفني على الحاج أشرف ومكتبته، أنا نفسي ألاقي جوا مكتبة راجل بيقرأ يقدر يرشدني في حيرتي واسمع رأيه وأناقشه، هو عمك الحاج أشرف من النوع ده ؟ والا راجل عصبي وبيزعل على طول ؟

- ياسر ضاحكًا: لا أبدًا هو راجل لطيف والمكتبة دي هدفه الأساسي منها مش التكسب، هو شايف إن القراءة سبيل التقدم وعاوز يكون له دور في نشر العلوم المختلفة، فقام عامل المكتبة دي ودار- قلم يصارع الأحداث للنشر والتوزيع - بيعيد فيها نشر الكتب اللي بيشوفها ذات أهمية واللي مر عليها الزمن وتاهت من أصحابها، بيتهيئلى إنه هيعجبك جدًا ومش هتزهق من قعدته أبدًا .

- طيب قولي مواعيد عملك؟

- أنا بستلم هنا الشغل من أربعة العصر لحد نص الليل ثماني ساعات بالظبط .

- طيب يلا بينا نمشي الوقت اتأخر.

- يلا .

تبادلوا أرقام الهواتف وذهب كلًا منهما في طريق، فقد كانت الساعة قاربت على الثانية بعد منتصف الليل بعد أن قام وحيد ودفع الحساب الذي زاد عن مائة وخمسون جنيهًا، على وعد بان يلتقوا يوم إجازة ياسر التي توافق يوم الجمعة ليذهبوا سويًا إلى مكتبة الحاج أشرف .

*****

وفي صباح اليوم التالي الموافق يوم الخميس توجه وحيد كعادته إلى عمله متأخرًا حيث يعمل موظفًا في إحدى المصالح الحكومية الخدمية وهناك على البوابة التقى بزميلته ميادة التي جاءت متأخرة أيضًا وأخذوا يهرولون إلى حيث دفتر الحضور والانصراف ليقابلهم الأستاذ فتحي مسئول الدفتر بوجهه الكالح قائلًا :

- أهلًا بيكوا إنتوا بتجروا ليه ده المفروض أنا اللي أطلع لحد مكاتبكم علشان تتكرموا علينا وتنوروا دفاترنا بتوقيعاتكم المضيئة .

وحيد مبادرًا...

- شكرًا يا أستاذ فتحي احنا مش عاوزين نتعبك أنا شايفك مرهق وهموم الدنيا كلها فوق نافوخك؛ يا راجل مفيش حاجة مستهلة .

- آه والله يا أستاذ وحيد امبارح الواد علي جاب النتيجة مش هخبي عليك درجاته في النازل خايف ميعرفش يدخل ثانوية عامة لو استمر على الوضع ده ويضيع أملي فيه .

- يا راجل متخافش لكن لازم تقعد معاه وتفهم منه أيه السر ورا نزوله المفاجيء ده أنا أعرف إنه طالب مجتهد وطول عمرك فرحان بيه، لو عاوز تجيبه هنا وأكلمه معنديش مانع .

كانت ميادة قد وقعت وانصرفت وانهمك وحيد مع هذا العابس في حوار طويل حول ابنه ومستقبله، فقد كان وحيد صاحب حظوة في وظيفته ويحبه كل زملاءه إلا الأستاذ إبراهيم أبو راية مدير وحيد في العمل؛ والذي كان كثيراً ما يشكو من استهتار وحيد وعبثه وكان من أكثر الأمور التي يأخذها عليه هذا التساهل الذي كان يتعامل به وحيد مع المواطنين نظراً لأنه في قسم يتعامل مع الجمهور، فكان ييسر عليهم كثيراً من الأمور ضارباً أحيانًا كثيرة بالقوانين الروتينية التي تعيق مصالح هؤلاء المواطنون الغلابة عرض الحائط.

فقد كان الأستاذ أبو راية يرى أن الموظف عليه أن يحترم القانون على أي حال ويسير عليه كما يسير القطار على قضيبه لا ينحرف ولا يميل ولا إمالة بسيطة، فقد كان يجزم أنه حين يميل القطار سينقلب ويذهب سائقه إلى الأستاذ منير موظف التحقيقات والتي قد تسفر عن يومين جزاء أو ثلاثة، وهذا الفكر المنضبط إلى حد اللاهوادة لم يكن ليتماشى مع رجل متعدد المواهب كوحيد الذي يرى أن مثله هم من يصنعون القوانين لينفذها الأستاذ إبراهيم أبو راية وأمثاله؛ بل لم يكن وحيد يرى أي غضاضة وهو يخترق القوانين التي تلزم المواطنين مثلًا بإحضار بطاقة مدون في ظهرها أنها لا تزال سارية، وكان يرى أن هذا إجراء سخيف لا فائدة منه إلا إجبار المواطنين على دفع ثمن استمارة بطاقة جديدة !

وهكذا كان ديدنه كلما مر بقانون يتصادم مع رأسه يتجاهله ويمضي كأنه لا يراه مما كان يثير حفيظة الأستاذ أبو راية، بل والأدهى من ذلك أن وحيد كان يتعامل مع الأستاذ إبراهيم أبو راية كند له وليس كمدير ومرءوس فقد كان يرى أنهم متساوون في الحقوق والواجبات رغم فارق السن بينهم والذي قد يتجاوز عشر سنوات كاملة، والسبب في ذلك هو أن هذا القسم قد أنشأ حديثًا قبل خمس سنوات والتحق فيه وحيد وعبد الله وخالد وكريم وعاطف والسيدة إنصاف والآنسة ضحى والأستاذ إبراهيم أبو راية في نفس الوقت.

فكانوا جميعًا لا علم لهم عن هذا القسم وتعلموا مع بعضهم البعض لذلك لن تجد بون كبير بينهم في الخبرات، اللهم إلا تفوق وحيد واستيعابه أكثر من غيره بل أكثر أيضًا من مديره أحيانًا، ولكن المعمول به في الدولة ليس الخبرة وإنما الأقدمية وقطعًا الأستاذ إبراهيم أبو راية هو أقدم منه في العمل وهذا ما لا يريد وحيد أن يسلم به ليدور بينهم في الصباح هذا الحوار :

- يا وحيد عاوزك بعد ما تخلص فطارك تعمل الشغل اللي كتبتهولك في الورقة دي .

- حاضر يا سيادة المدير بس قولي إنت هتعمل أيه في الوقت ده ؟

- مش فاهم، أنا بقولك مطلوب منك أيه النهارده.

- أيوه وأنا بسألك إنت هتعمل أيه النهارده؟ والا إنت خدت شغلك وقمت مشكورًا بتوزيعه علينا وهتقعد إنت هنا تشرب في قهوة وتقرأ جرايد ؟

- أظن إن أنا المدير مش إنت.

- وهو ده مربط الفرس يا أستاذ إبراهيم، ده اللي بيخليني أسألك السؤال ده إنت كمدير لازم تفهم كويس إنك هنا أعلى كعب لأنك أكثرنا بذل، مقامك ده تكليف مش تشريف وهندسة، أقصد إنه لازم تكون إنت أكتر واحد هنا بيشتغل مش توزع علينا شغلك وتقوم بعدها بدور المهندس اللي يهندس من فوق كرسيه، يا أستاذ إبراهيم إنت رئيس على قسم في مصلحة حكومية مش رئيس للدولة .

يضحك أستاذ إبراهيم وقد أحرجه وحيد بكلماته: ومين قال لك إني مش هشتغل أنا هعمل كذا وكذا وإوعى تفتكرها حاجات هينة بالعكس دي أكتر وأصعب من شغلك ده.

- وحيد ماكرًا : أيه رأيك أقوم أنا بأعمالك العظيمة دي وتاخد إنت أعمالي التافهة دي تشتغلها ؟!

- أنا عارف إني مش هسلم منك أقولك حاجة تريحك مش هنقسم الشغل وتعالى نقوم بكل الشغل احنا الاتنين.

وحيد مشاغبًا: وده يحصل ازاي تمسك إنت طرف الورقة وأنا الطرف التاني والا أقولك واحد يشيل الورقة والتاني يحرسه، يا ريس قول كلام غير ده، احنا نقسم الشغل بس إنت تاخد أكتر علشان إنت المدير.

وهكذا سجال مستمر بين وحيد وإبراهيم مديره الذي يكن له نوع معزة ويشتعل منه غضبًا في الوقت نفسه .

*****

السلام عليكم إزيك يا حاج أشرف أخبارك إيه ؟

- حنين عاملة إيه يا بنتي ؟

وأخذ يداعب طارق ابنها الذي كانت تحمله.

- الحمد لله بخير، طمني عليك الأول عامل أيه من غيري، مش مفتقدني ؟

- مفتقدك جدًا، عمك أ شرف كبر يا حنين والصحيان بدري بقى بيتعبه جدًا.

- طيب أنا جاية أقولك على خبر هيفرحك.

- خير إن شاء الله.

- أنا خلاص هرجع أنزل معاك الشغل تاني.

- ما شاء الله، والله كنت بفكر في الموضوع ده الأسبوع اللي فات كنت عاوزك ترجعي الشغل، المكتبة ظهر عليها الإهمال رغم تنضيفي ليها زي ما أنتِ عارفة لكن للسن أحكام يا حنين ومهما حصل مش هكون في نشاط بنات العشرين.

- شكرًا يا حاج أشرف، إمتى اقدر استلم الشغل ؟

- من دلوقتي لو حبيتِ.

- لأ خليها من بداية الأسبوع لسه بدور على حضانة لطارق وتسنيم.

- وليه تدوري وحضانة جدو عسل هنا جنبنا ؟

- فين حضانة جدو عسل دي؟

- بعدينا بشارعين ممكن تروحي النهارده، لسه الساعة اتنين هما مش بيمشوا قبل خمسة، روحي واسألي عن كل اللي أنتِ عوزاه وكويس أهو يبقوا قريبين منك مفيش شارعين.

- كويس قوي أنا رايحة وهتصل بيك أقولك هنزل إمتى إن شاء الله.

- طيب تعالي دلوقتي خدي المفتاح ولما تنوي تيجي على طول الصبح وتفتحي زي ما اتعودتي، اتفضلي-وأخرج مفتاح من درج المكتب- أمسكت حنين بالمفتاح ودسته بين باقي مفاتيحها في هذه الميدالية الذهبية وراحت للتو إلى الحضانة .

*****

أجهزلك تأكل والا كلت بره ؟

- لأ شكرًا.

- طيب هعملك الشاي وأروح أنام ولادك مسبونيش أنام لحظة واحدة.

- ماشي.

يدخل الأبناء مندفعين نحو أبيهم، كم كانوا يحبونه ويألفون جلسته، جلس معهم على الأرض وتحلقوا حوله في شكل دائرة وراح يرسم لهم على ورقة وهم يضحكون حتى قال أحمد لأبيه احكي لنا حدوته.

قال وحيد : هحكي لكم حدوته الأميرة والذئاب.

- في مدينة بعيدة وهادئة كانت هناك أميرة صغيرة عندها قدمين من الذهب، كانت تخفيهما كما علمتها أمها حتى لا يراها الذئب وأولاده فيطمعون فيها، ويقطعوا أرجلها ليبيعوها ويشتروا ملابس العيد، وفي يومٍ من الأيام خرجت الأميرة إلى السوق لتشتري فاكهة كثيرة وتشتري الموز الذي يحبه طاهر، وكذلك التفاح اللي بيحبه زياد وأيضًا المانجو التي يحبها أحمد-يضحك الأولاد كلًا بترتيب فاكهته- وكانت الأميرة تمسك سلة الفاكهة بيد وتمسك إيشارب حريري يداري أقدامها باليد الأخرى، فلما ثقلت عليها السلة تركت الإيشارب وراحت تمسك السلة بكلتا

يديها الاثنين وعندها انكشفت أقدامها ورآها الذئب فيفو الصغير فذهب مسرعًا إلى أمه وقال لها إنه رأى أميرة بقدم ذهبية، فأسرع جميع الذئاب ليلحقوا بالأميرة المسكينة ماذا نقول لها يا طاهر ؟

- نقول لها اجري اجري.

يلا يا زياد وإنت يا أحمد.

- يلا اجري يا أميرة هيعضك الذئب.

- أيوه اجري هياكلك ويشتروا هدوم العيد.

وحيد يزغزغهم واحد بعد الأخر وهو يقول اجري يا أميرة اجري.

ليقاطعهم صوت الهاتف إنها أمه ألفت تتصل به.

- عاملة أيه يا ماما؟

- الحمد لله عامل أيه مبسمعش صوتك ليه ؟

- والله يا ماما انشغلت، بابا عامل أيه.

- بخير زي ما هو، إمتى هتيجي تتغدي معانا.

- ممكن على يوم الأحد الجاي بإذن الله.

- هستناك.

- بإذن الله.

ينهون المكالمة ليعود وحيد إلى زوجته التي أحضرت الشاي.

- هتنامي ؟

- أه، عاوز حاجة ؟

- لأ أنا بسأل.

- أه هنام ومتخليش حد من الأولاد يقلقني.

- طيب أنا ساعتين وهنزل هبقى أصحيكي.

- ماشي.

*****

السلام عليكم إزيك يا عم سامي ؟ أنا وصلت الحمد لله واستلمت الشغل الجديد مش عارف أوصل لوحيد تليفونه مقفول.

- عامل أيه يا فهد قلقتني عليك قولت هتديني خبر أول ما توصل.

- والله يا عمي إنت عارف السفر ومشاغله كنت بستلم الشغل والشقة المشتركة مع كذا واحد.

- المهم إنك بخير، وحيد أظن تليفونه عطلان أنا كمان كلمته من شوية وكان مغلق، هقوله إنك وصلت بالسلامة وإنك استلمت الشغل الجديد ربنا يثبتك فيه.

- ادعولي كتير يا عم سامي.

- أنا بدعيلك من ساعة ما سافرت أنا وأم وحيد ونتمنى لك الخير.

- وطنط ألفت عاملة أيه؟ هي موجودة عندك؟ عاوز أسلم عليها.

- أه موجودة كلمها هي معاك دلوقتي.... السلام عليكم...

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته إزيك يا طنط ؟

- بخير والحمد لله إنت أخبارك أيه ؟

- أنا الحمد لله بخير واستلمت الشغل الجديد والشقة والأمور ماشية على مايرام ادعولي.

- بإذن الله يا حبيبي ربنا يوفقك.

- شكرًا يا طنط.

- مش عاوزة أطول عليك.

- ماشي اتفضلي اديني عم سامي.

- أيوه يا فهد.

- عاوزك تقول لوحيد إني هكلمه السبت الجاي على الساعة ثمانية بتوقيتكم قله يستناني.

- بإذن الله يا حبيبي خلي بالك من نفسك.

- بإذن الله.

*****

- عملتي أيه مع الحاج أشرف ؟

- رحت وقولتله عاوزة أرجع والراجل رحب جدًا، هو محتاج حد يفتح المكتبة الصبح.

- اللي قلقني في موضوع المكتبة ده إنك هترجعي تقرأي.

- دي حاجة تقلقك؟ المفروض إنها تفرحك مش تقلقك!

- إنتِ بتقرأي القصص و تيجي هنا تنفذيها ومتعرفيش إن اللي في الكتب ده مجرد خيال ملوش مكان في الواقع.

- هي السعادة خيال ؟

- مش ده اللي اقصده ولكن الحب مش زي ما أنتِ فاكره الحب أفعال.

- أفعال مجردة ؟

- مجردة أو غير مجردة المهم إنها أفعال أديكي مثال أنا بحبك لذلك اتجوزتك واشتريت لك البيت الشيك ده غير الفرح اللي كلفني كتير والشبكة و و و.

- وبعد كده سبتني مع الحيطان وروحت الكافيه مع أصحابك ؟

- أنا راجل مبحبش قعدة البيت بحب الخروج.

- وأنا كمان، لكن أحب إن احنا نتكلم وإنك تحتويني ليه مش بنقرأ كتاب سوا، تقعدني في حضنك نتكلم عن اللي بنحبه ونكرهه ويبقى في حاجات مشتركة بينا غير الأولاد.

- الله وبعدين تغرد العصافير، أيه الفيلم الهندي ده ؟

- دي مشاعر مش فيلم هندي، أنا عاوزة أحس بأنوثتي عاوزة أحس إني واحدة ست مش خدامة في بيت، عاوزة أحس إني اتجوزت، أنا بحس إننا أصدقاء أجرنا المكان ده وبنعيش فيه شركة وبنتشارك فيه اللقمة والسرير وحتى السرير مفيش.

- بطلي قلة أدب وجهزيلي الهدوم علشان أنزل.

- كده خلاص انتهى الكلام ؟

-يا حنين كلام أيه مش إنتِ هترجعي الشغل زي ما أنتِ عاوزة ؟ صحيح اتفقتوا على إمتى ؟

- لسه متفقناش قلتله هكلمه وروحت أشوف الحضانة، لقيت حضانة جميلة وسعرها معقول .

- المهم إن الشغل ميأثرش على البيت أنا عاوز أرجع ألاقي الأكل جاهز وكل حاجة زي ما هي مفيش تغيير، أنتِ بتتسلي مش بتشتغلي علشان تأكلينا.

- حاضر متقلقش مفيش حاجة هتنقص بس أنا اللي هخرج شوية من الزهق اللي أنا فيه.

- طيب.

*****

كان فهد قد استلم عمله كمندوب للمبيعات في إحدى الشركات التي تبيع الأدوات الكهربائية، وكانوا قد اتفقوا معه على راتب ضعيف ولكن كان عزائه في العمولة التي قرروا أن تكون واحد في المائة والتي رآها فهد بداية معقولة، وكان يعتمد اعتمادًا كبيرًا على مهارته في التسويق فهو يملك من ملكات الإقناع والجد في العمل ما جعله ينظر إلى المستقبل وكأنه يتراقص أمامه بوروده الزاهية، كان يعمل في اليوم أكثر من ستة عشر ساعة، لم يكن هذا من فروض الشركة عليه ولكن كان من فروضه على نفسه، كان يريد أن يختصر السنين والمسافات، كم كانت تشع عيونه بالأمل والقوة، كان مصرًا على أن يجد ما فقده في وطنه، كثيرًا ما كان يحدث نفسه إن وطنه قد لفظه خارجه ولم يتركه هو.

كما كان يحب أن يفلسف كل أمور حياته ولكن فلسفته كانت فلسفة تشبه إلى حد كبير مقص الترزية الذي يعمل في القماش فيساويه ليناسب من يلبسه، فقد كانت فلسفة ذات مقاسات وليس نظريات، فشخصية فهد كانت تجمع كل المتناقضات في آنٍ واحد، فهو أقرب إلى الجد والهزل؛ النشاط والخمول؛ الحب والكراهية؛ بل حتى القوة والضعف، كانت تنتابه تناقضات من غير سابق إنذار، كان يثق بنفسه لدرجة تفزع وحيد الذي يراه واثق في غير شيء، كما فادته تناقضاته هذه في كثير من الأمور ولكن الشيء العجيب هو هذا المزيج الذي حدث بين شخصيته المتقلبة وبين شخصية وحيد محددة الملامح، فصار كل واحد منهم ينهل من الأخر بلا اتفاق فترى نشاط هذا يتزامن مع كسل هذا ولين هذا مع حدة هذا، وكأنهم قطعًا من البازل التي يكمل بعضها بعضًا، وعلى أي حال ففهد يسير في طريقه كما رسمه في بلاده يواصله بالجهد والكفاح والعرق متمنيًا كل يوم على فراشه أن يجلس على كرسيه الوثير في هذه الشركة العملاقة التي يمتلكها هو وصديقه.

*****

في إحدى شوارع مصر الجديدة الهادئة وبين الشجر وأصوات العصافير والبلابل كانت تمكث مكتبة-حروف- لصاحبها الحاج أشرف وكانت مساحة المكتبة كبيرة بشكل يوحي بالعظمة، وقد كانت تلك المكتبة على مساحة شاسعة من ممتلكات الحاج أشرف، ذلك الرجل الثري الذي نذر ما بقى من عمره لنشر العلم والثقافة، كان يمضي الحاج أشرف أغلب يومه بين الكتب قراءة وتدوينًا، كان كالجواهرجي الذي يبحث عن جوهرة لم تُرى من قبل وما يحدث ذلك حتى يتلقفها ليعيد طبعها مرة أخرى أو ربما اختار عدة أسطر وطبعها في كتيبات صغيرة، كان اهتمامه بالقراءة مبالغ فيه جدًا.

فقد توفت زوجته منذ سبع سنوات غير تاركة له من الأبناء إلا ابنته وسام التي تزوجت قبل موت أمها وسافرت مع زوجها إلى أمريكا ولم تزور مصر بعدها إلا مرتين، كان يقوم الحاج أشرف من نومه في الساعة الثانية عصرًا ليتناول إفطاره في الوقت الذي يعد الناس فيه أنفسهم لتناول وجبة الغداء ويجلس في الفراندة الملحقة بفيلته يتناول كوبًا من القهوة الفاخرة ليقوم بعدها ويرتدي ملابسه ولا يعود إلا في ساعة متأخرة من الليل، كان هذا مجهود كبير ولكنه كان مجبرًا عليه منذ أن تركته حنين، ولما كان الحاج أشرف من هؤلاء الناس الذين يحبون أن يحتفظوا بأشيائهم الغالية بين يدي أمينة.

ولما كانت المكتبة هي ابنه الذي لم ينجبه لم يستطع أن يقبل أي فتاة من هؤلاء الذين تقدموا على أثر الإعلان الذي نشره في جريدة الأهرام منذ أكثر من ثلاثة سنوات يطلب فيه فتاة مثقفة على قدر من الثقافة من حملة المؤهلات العليا، تجيد لغتين على الأقل للعمل بمكتبة في إحدى شوارع مصر الجديدة الهادئة، ومنذ هذا الإعلان

وبعد السخف الذي رآه من هؤلاء البنات الذين تقدموا لشغل الوظيفة، عزم الحاج أشرف على ألا يعيد الكرة ولا ينشر أى إعلانات أخرى وقرر أيضًا أن يضبط مواعيد استيقاظه من النوم بدلًا من الخامسة إلى الثانية ليتولى هو مهمة فتح المكتبة بنفسه.

كانت ملامحه توحي بالطيبة المفرطة فهو رجل في بداية الستين من عمره غير إنه حافظ على نفسه في الصغر فلم تخذله في الكبر، فلم يرى الحاج أشرف ممسك بسيجارة ذات يوم ولم يكن من هؤلاء الذين يهوون السهر بل لم يتعلمه إلا في الكبر وكان رجلًا رياضيًا من الطراز الأول فعمر الستين لم يستطع أن يفت في عضده ليحتفظ لنا ببنيان قوي لم نعد نراه حتى في أبناء الثلاثين اليوم !

كان قد قسم المكتبة على نحو بديع ركن للمخطوطات القديمة وركن أخر للأدب العالمي والروايات وركن للكتب العلمية المتخصصة وركن للكتب باللغات المختلفة، كانت مكتبة الحاج أشرف كأنها اختصارًا لمكتبة الأسكندرية أو فرع منها داخل مصر الجديدة كان قد انفق عليها أموالًا طائلة وكان كثيرًا من المعروض داخلها من منشورات دار قلم يصارع الأحداث ما بين إعادة طبع و كتيبات أيضًا .

ومن أجمل الأركان داخل المكتبة ركن القراءة حيث كان مكان مجهز بترابيزات وكراسي مريحة، يغطي أرضيته مساحة خضراء وتحوطه النباتات عطرية وبه سماعات تنبعث منها الموسيقى الهادئة وكان مسموح فيه باصطحاب المشروبات، يعمل على إدارة هذا الركن أسماء وريهام خريجي مدرسة السياحة والفنادق ولم يكن لهم أى دور يذكر بإدارة باقي المكتبة .

كان له صديق اسمه مرسي هذا الرجل الستيني الذي رافقه منذ الطفولة وحتى الآن، كان كثيرًا ما يمر عليه في المكتبة ويمكننا أن نقول من غير مبالغة أنهم كانوا يلتقون كل يوم، ومرات قليلة هي التي كانت تمنع الحاج مرسي من زيارة المكتبة عندما كان يزوره أبنائه وأحفاده .

دخل الحاج مرسي إلى المكتبة وهو يغمغم بكلمات غير مفهومة؛ عاوزين أيه تاني هيودونا لفين الجماعة دول، كان حينها الحاج أشرف في أعلى السلم الخشبي يحضر كتاب(ثقافتنا في مواجهة العصر) لكاتبه زكي نجيب محمود، فقال من أعلى السلم الخشبي : مالك يا حاج مرسي في أيه ؟

- مندهشًا : بسم الله الرحمن الرحيم، إنت فين ؟

- أنا هنا أهو فوق بجيب حاجة ونازلك .

- الله وأيه اللي مشعلقك كده مش خايف تقع.

- أقع أيه بس يا راجل يا عجوز إنت، إنت فاكرني زيك، تحب أنطلك من فوق ؟

- لا لا أرجوك انزل على السلم أسلم .

- مازحًا: حاضر علشان خاطرك إنت بس يا حاج مرسي لكن أنا متعود على طول أطلع بالسلم وبعدين أنط من فوق ... بس يلا هنزل على السلم علشان مخضكش.

- أه انزل على السلم.

- مالك بقى يا راجل يا عجوز داخل عمال تتكلم وتزعق في أيه ؟

- إنت مفتحتش التليفزيون النهارده ؟

- أه تقصد المظاهرات ؟

- أيوه يا أخي المظاهرات عاوزين إيه دول تاني مش هيرتاحوا إلا لما يجيبولنا الاحتلال هنا !

- طيب اقعد يا حاج مرسي استريح ... ضغط على زر الإنتركم : يا أسماء هاتي حاجة لعمك مرسي تروق دمه.

- هاتيلي ينسون يا بنتي أنا والله أعصابي متوترة من البمب والصواريخ اللي عمالين يفرقعوه ده.

- بمب إيه يا حاج مرسي الشباب بيثور في الميادين وإنت تقولي بمب.

- يا أخي مهما ثاروا ومشوا الراجل اللي بقاله تلاتين سنة وبعدين ؟ عاوزين أيه تاني ؟

- إنت بتسألني أنا ؟! إذا كان هما نفسهم مش عارفين هما عاوزين أيه !! فرحانين باللمة والسهراية.

- أنا مش عارف معندهمش أهل دول يلموهم ولا أب يقول اختشي يا واد وروح.

- هو لو كان عندهم أهل كان بقى ده حال البلد.

وفي هذه الأثناء دخل ياسر ومعه صديقه الجديد وحيد إلى المكتبة.

السلام عليكم...ازيك يا حاج أشرف ؟

- ازيك يا ياسر يا ابني، أهو يا حاج مرسي جالك واحد منهم أهو امسك في زمارة رقبته.

- ليه بس كده يا حاج أشرف ده أنا جايب معايا صاحبي وحيد وقلت أعرفه عليك، هو من الناس اللي غاوية تقرأ زي حالتنا كده، إنت هتخوفه منك من أولها.

- تعالى يا وحيد يا ابني متأخذنيش اتفضل أقعد.

- لا يا حاج أشرف أنا قبل ما أقعد أحب أخد جولة كده في المكتبة بصراحة مكتبتك تفتح النفس على القراءة .

- ادخل يا ابني مش هتحتاج حد معاك، المكتبة متنظمة وإنت هتعرف تفهمها لوحدك، كل ركن مكتوب عليه والكتب متصنفه، والركن اللي في وشك ده ركن القراءة لو حبيت تقرأ هنا والرسوم بسيطة .... والا إنت .... والا بلاش.

- لأ يا حاج قول ميهمش ولا أنا أيه ؟

- لا يا سيدي ياسر واقف.

- ياسر مازحًا : احرجني إنت يا عم أشرف مع الناس كده، عمومًا أنا مفهمه كل حاجة ومعرفه إن إنت فاتح المكتبة دي سبيل، عم أشرف يقصد يقولك يا وحيد ولا أنت مأشفر زي صاحبك.

- وحيد ضاحكًا: لا متقلقش يا عم أشرف أنا مش مأشفر ولا حاجة بس إنت عندك مطبخ هنا؟ لزوم الحساب يعني.

- إنا لله وإن إليه راجعون أدي يا حاج مرسي بتوع الثورة والي بيجلنا من بتوع الثورة، ادخل يا وحيد يا ابني اتفرج على المكتبة .

ذهب وحيد إلى داخل المكتبة متوجهًا إلى ركن الأدب العالمي الذي يحبه تاركًا الجميع وراءه في حوار لم يعره سمعه ولا اهتمامه، وكأن بريق الكتب ورائحتها المميزة قد أخذه إلى أبعد من المكتبة ربما إلى أبعد من حدود مصر الجديدة إنه أخذه إلى هناك إلى مكتبة هارفارد التي هي واحدة من أعظم مكتبات العالم أو ربما أخذه إلى متحف اللوفر بباريس .

- مالهم شباب الثورة يا عم أشرف ؟

- أبدًا يا ابني عمك مرسي شايفهم قللات الأدب و معندهمش دم و هيجبولنا الاحتلال.

- الاحتلال مرة واحدة !!

- أه وبيقولك كمان إنهم ضالعين في مؤامرة نووية ضد مصر.

- اتريق يا حاج أشرف ده على أساس إن ده مش رأيك إنت.

- لأ يا ابني ده مش رأيي ده رأي عمك مرسي أنا رأيي إنكم مش فاهمين حاجة.

- ليه يا حاج أشرف أنا كواحد من شباب الثورة دي أحب أقولك إني كنت في الميدان لما خلعنا الطاغية مبارك وزبانيته، وأحب أقولك إن شباب الثورة دول ناس متعلمة وفيهم مثقفين وفيهم ناس حاصلين على أعلى الشهادات العلمية وبردو فيه البسيط والجاهل، ولما نزلوا وضحوا بحياتهم مكنوش طمعانين لا في مال ولا جاه كانوا عاوزين يشوفوا بلدهم أحسن يشوفوا مصر الجديدة يا حاج مرسي.

-الحاج مرسي منفعلًا : وارتحتوا يعني لما مشيتوا الراجل ؟

- يردف الحاج أشرف قائلًا : يا ابني مش اللي يخلع كالون باب يحط غيره؟؟ ولا يسيبه مفندق كده على الأخر.

- إن شاء الله نحط غيره بالإنتخابات النزيهة والشعب هو اللي هيختار ويقول كلمته.

- أه إنتوا بقى شيلتوا مبارك وزبانيته؟ وهتعملوا إنتخابات نزيهة ؟! طب واخونا البعدا راحوا فين من ده كله ؟!!

- خلاص يا حاج أشرف الشعب خرج ومش هيدخل تاني محدش هيقدر يكتمه أو يكممه هنقول رأينا في كل حاجة مش هنقبل وصايا من حد.

- وهو يا ابني من حق كل واحد يقول رأيه ؟!!

وهنا كان وحيد قد جاء ليعود إلى جلستهم بعد ما طالع بعض أركان المكتبة.

- بالراحه شوية يا عم أشرف عليه دول شباب لسه ورور.

- وإنت أيه مش ورور، تلاقيك زي ياسر من بتوع الثورة وكنت بتنام في الميدان.

وحيد ضاحكًا ملىء شدقيه :

- لأ خالص أنا شايف الموضوع كله عك في عك، المهم أنا سامعك وإنت بتقوله هو من حق كل واحد يقول رأيه، عارف يا عم أشرف جملتك دي هي ملخص الثورة المصرية.

ياسر في حالة من الإحباط : ازاي يا وحيد ؟!!

- أيوه يا ياسر مش من حق كل إنسان إنه يقول رأيه في مستقبل البلد اللي بيعيش فيها، في حاجة اسمها أهل الرأي ومشكلتنا في مصر إننا بين طرفي نقيض إما أن يقول كل من شاء ما شاء، وإما أن نختار من هم ليسوا أهل للرأي ويبقوا هما أصحاب الرأي !

- أيوه الله يفتح عليك يا وحيد- قالها الحاج أشرف منتشيًا-

- يعني احنا مكتوب علينا الذل والإهانة والبهدلة.

- يا ياسر يا ابني افهم الموضوع مش مبارك ولا مين يحكم البلد، الموضوع بيحكم مين؟ وازاي؟، وأنا بقولك أهو قبل أي انتخابات أي رئيس هيجي بعد مبارك هيفشل، مش علشان مبارك كان مالي مكانه يعني وعمل اللي ميتعملش، لكن لأن مبارك مشي والشعب استنى واحنا مشكلتنا الأساسية في الشعب افهم يا ابني، شوفت إنت لما كنت بتتباهى بالميدان اللي كان لامم المثقف والجاهل والفاهم والي مش فاهم يا ابني دي مصيبة مش حاجة تدعي للفخر، هات شوية تفاح صابح وحط معاه شوية بايظ هتلاقي كله باظ وضرب .

- يعني الناس الغلابة دي مش من حقها تقول رأيها يعني يا عم أشرف علشان هما تفاح بايظ ؟!

وحيد مقاطعًا :

- الناس الغلابة دي يا ياسر عمرهم ما كان ليهم رأي ولا عمرهم كانوا عاوزين يقولوا حاجة، الناس الغلابة دول عاوزين يشتغلوا وياكلوا ويتجوزوا، وعاوزين واحد محترم متعلم زي سعادتك كده يجبلهم حقهم لما يتظلموا، الناس الغلابة دول معندهمش بطاقة انتخابية ولا عاوزين، هما بس بيطلعوها علشان يصرفوا بيها الزيت والسكر والبطاطين زي بطاقة التموين كده، الغلبان ده يا ياسر تقدر تشتري صوته ببطانية، تقدر تقنعه يبيع مصير البلد بكرتونة مواد غذائية مش علشان هو فاسد أو خاين لكن علشان هو محتاج وفقير .

- أنا شايف إن الغلبان ده ليه صوت ومن حقه يروح ويحطه في الصندوق.

- طب لو راح وجابلك مبارك تاني توافق ؟

- مش ممكن بعد كل اللي عمله إنهم يختاروه وبعدين مبارك دلوقتي محبوس.

- رد على سؤالي لو الغلبان ده راح الصندوق وجابلك مبارك تاني هتعمل أيه ؟

- هننزل تاني وهنمشيه تاني طبعًا !!

- يبقى إنت ساعتها بتثور على الغلبان وعلى الديمقراطية وعلى حقه في الصندوق.

- إنت بتتكلم كده كأنك واثق إن مبارك لو اترشح يفوز.

- لأ القضية مش مبارك أو غيره المشكلة في اللي قام بالثورة، لازم تفهم إننا مختلفين جدًا يا ياسر ملناش رؤية واحدة لمستقبل البلد، مش كلنا زي ما أنت فاكر يهمه مصر أو يهمه إنها تطلع لقدام وحتى اللي متفقين معاك في الرأي هيختلفوا معاك في الطريقة، حتى الأحزاب الدينية بصلها كده، أهو دول المفروض هدفهم واحد وطريقهم واحد، حتى دول اختلفوا وكل واحد خد شوية في إيده وعمل حزب، احنا مختلفين لدرجة الهلاك يا ياسر .

الحاج أشرف معقبًا :

- تمام وإن كانت سنة الدنيا الاختلاف إلا إن الاختلاف ميبقاش على طول الخط المستقيم احنا شعب مبيتقابلش في أي تقاطع إلا أما يقاطع، تعليمنا فاسد وصحتنا منهكة مفيش حاجة في مسارها الصحيح، يتحمل كل ده مش رئيس الجمهورية لوحده اللي أفسد مدارسنا وغذائنا وأدويتنا وحتى الهواء النقي ولكن يتحمله كل اللي كان في إيده حاجة يقدمها للوطن وتخاذل عنها، كل اللي رفض إنه يموت في غير ميدان المعركة هناك في المعارك الفرعية حيث اللاسلاح، مين قال إنه لازم الواحد يموت دفاعًا عن وطنه في معركة الطائرات والدبابات؟!

في معارك تانية على نفس القدر من الشرف والكرامة وتنال بيها الشهادة، أنا مش فاهم موقف موظف مد إيده لرشوة وخدها علشان يدخل عياله المدارس الفاسدة دي ولا فاهم ازاي القاضي اللي حكم ظلم لأهداف سياسية ولا فاهم موقف الظابط ولا الأجير ولا العامل أنا مش فاهم حاجة من ده كله، كلهم جنوا على هذا الوطن .

*****

وعلى أضواء الشموع الهادئة جهزت حنين عشاء فاخر لزوجها الذي تأخر عن موعد رجوعه من الكافيه حيث يجلس مع أصدقائه حتى الساعة العاشرة، كانت تمني نفسها بليلة شاعرية فكم هي مرهفة الحس والمشاعر حالمة إلى حد كبير ترى الفراشات تحلق في سماء أحلامها تلقي عليها الورود بلونها الروز الذي تحبه، فحنين اليوم لم تطلب ذلك الحبيب الذي يسكن في مخيلتها ويأتيها كلما انفردت بنفسها بل أصرت على أن تعيش ليلتها مع زوجها كما تحب أن تكون الحياة بينهم، الساعة تقترب على الثانية عشر والنصف بعد منتصف الليل وهي تجلس بملابس النوم التي اشترتها مخصوص لهذه الليلة الدافئة، وكانت ممسكه بوردة تنوي تقديمها له بمجرد دخوله المنزل ولكن الوقت يتأخر والدقائق تمضي بسرعة خاطفة وهو لم يعد، تنتابها الهواجس لدقائق ولكنها تطردها سريعًا فكم هي متفائلة وصبورة.

سمعت صوت باب الشقة يفتح، إنها خطواته التي تحفظها عن ظهر قلب، قامت مسرعة إليه لتهديه تلك الوردة التي راح بريقها وبدأت في الذبول كما رسمت في سيناريو أحلامها، كانت تفوح بالعطر وقد أطفأت أنوار الشقة مكتفية بأنوار الشموع التي بدلتها أكثر من مرة نظرًا لاحتراقها، كان المنظر بديع يخطف المشاعر ينبىء بعاصفة حب ناعمة مع تلك الموسيقى التي اختارتها لتشعرك كأنك للتو خارج من مركبة فضاء مقبلًا بكليتك على هذا

الكوكب الجديد، ذلك الكوكب الذي امتاز بعظمته وكبريائه وجموحه وجنونه إنه الكوكب المثير، رونقه لا يشبه باقي الكواكب، فإليه تشب الأعناق ولا تصل، كوكب الحب والجنون إنه الجوزاء يا سادة .

دخل زوجها ولكن على غير المتوقع انتابته رهبة مخيفة شعر بالوحشة بعدما فارق أضواء النيون في الخارج ليصدم بصره بتلك العتمة التي يرى فيها بالكاد زوجته حنين مقبلة عليه كأنها شبح قد مد إليه يده بالموت الزوئام !!

- مالك يا حبيبي أنا مستنياك من بدري ؟

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، في أيه ؟!

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مفيش حاجة كنت قاعدة مع نفسي افتكرت جوزي حبيبي فقلت ليه مناكلش العشا النهارده على أضواء الشموع ونفتكر أيامنا الجميلة .

- يعني محضرة العشا ؟ أنا دقائق أغير هدومي وابقى معاك .

- أه كل حاجة جاهزة يلا.

دخل إلى غرفة النوم ليبدل ملابسه، كم هو مشفق على تلك المرأة الحالمة المهووسة بأساطير الكتب يحدث نفسه ربما فتح هذا الدولاب ووجد داخله حصان أبيض قد خبأته لتطالبه أن يخطفها عليه كما كانت تقرأ في الروايات التي يجزم أنها حتماً ستجنها ذات يوم، ولكن ما صدمه هو ابنه طارق الذي ينام وظهره عاري وشباك الغرفة مفتوح قد غفلت حنين أن تغلقه لما كانت تنظر منه ترتقب عودته، وهنا ثارت ثائرته كأن ثعبان لدغه.... حنين... حنين.

جاءت حنين مسرعة على أثر صوت زوجها النابح :

- شايفه طارق نايم ازاي ؟

- ماله خير ؟!

- مش شايفه إن ضهره عريان والشباك مفتوح؟؟! أنا مش عارف أنتِ هتفضلي مستهترة كده لحد إمتى ؟

- أسفه نسيت الشباك، كنت مستنياك ومشغولة عليك أكتر من إني أركز في قفل الشباك ؟

- عندك رد لكل حاجة سبحان الله.

وذهب غاضباً إلى دورة المياه التي وجدها هي الأخرى تغط في رائحة الياسمين والورود متناثرة حول البانيو وفي أسفل الأرضية، فراح يتمتم مجنونة والله مجنونة، أنا عارف إن الكتب دي هتلحس مخها، سمعته حنين ولكنها تجاهلت الأمر وكأنه لا يعنيها وكأن حديثه ليس عنها بل واصطنعت أنها لم تسمع شيء .

خرج ليجدها تنتظره فقبلته على خده وقالت :

- عملالك الأكل اللي بتحبه وعوزاك تقولي رأيك بصراحة .

- أنتِ أصلًا أكلك جميل يا حنين، قوليلي هو أنتِ بتقرأي كتب تركي ؟

- تركي ؟! اشمعنى ؟

- لأ أبدًا بسأل عادي.

- لأ مش فاكره بس غالبًا لأ.

- طيب.

وعلى السفرة راحت تضع الطعام في فمه وهو يتناول كل ما طالته يده، كان شغوف إلى حد كبير في الطعام ... ففضلًا عن إنها طباخة ماهرة كان زوجها قد تعود منذ صغره على الوجبات كاملة الدسم فوالدته أيضًا ست بيت من الطراز الخاص.

- ممكن أطلب منك طلب ومتزعليش ؟

- اتفضل يا حبيبي عاوز أيه ؟

- عاوزك تنوري النور، بصراحة الأكل الجميل ده حرام يتاكل في الضمله أنا مش شايف حاجة.

- ممكن أزود الشموع لو تحب.

- الجو هيسخن أكتر معلش اطفيها ونوري النور أحسن.

- زي ما تحب.

وقامت وعلى وجهها أولى ملامح الهزيمة أطفأت الشموع واحدة تلو الأخرى في نوع غيظ مكتوم وكأن الدنيا لا تصلح بلا شموع !!

- تعالي يا حبيبتي أحكيلك، النهارده الواد صابر كان زعلان مع خطيبته وكنا قاعدين معاه على الكافيه بقوله لازم تشكمها من أولها لتلعب بيك الكورة.

- يشكمها ازاي يعني ؟

- يعني الستات تحب الراجل اللي يبقى فاهم دماغها، متعرفش تلف وتدور معاه هي زعلانه عاوزاه يكلمها كل يوم !! هيسيب شغله ويقعد يكلمها يعني!!

- يا حبيبي وفيها أيه دول لسه في الخطوبة اللي هي أجمل أيامهم قبل ما ينشغلوا في الخلفة والمدارس والدنيا تاخدهم.

- يا شيخة بلا مياصة أنا قلتله ولا تعبرها وهتلاقيها اتصلت بيك حتى لو زعلتلها يومين تلاتة بس في الأخر هتاخد على طبعك.

ردت عليه وعلى وجهها ثاني ملامح الهزيمة..

- وإنت شايف إن الطبع ده كويس إنه يهملها كده يعني ؟!

- أه أنا شكل كلامي جه على الجرح، بقولك أيه نأجل بقى مناقشاتك دي لبكرة أنا جاي تعبان جدًا و عاوز أنام ماشي يا حبيبتي.

- فقالت بعين زائغة وعلى وجهها أخر ملامح الهزيمة: ماشي.

قام ليغسل يده وتبعته حنين.

- يا حنين جميل الورد اللي في الأرض ده بس أنتِ ليه رمياه كده ؟! يعني لو اتحط في زهرية هيبقى شكله أحسن وأشيك.

- فقالت بصوت المنهزم : حاضر هلمه .

نظر إليها مشفقًا: أنتِ مش معايا خالص !! أنتِ زعلانة على خطيبة صابر ؟ أنا نسيت أقولك إنها قبل ما نقوم كانت مكلماه ومتصالحين علشان تعرفي بس إن جوزك مبيقولش كلام وخلاص.

- ماشي يلا ننام.

وما هي إلا ثواني معدودة كان قد غط في نوم عميق وكأن روحه قد فارقت جسده!

*****

حينما تفقد ذاتك تفقد حتى مجرد استنشاق الدنيا بصدر رحب، تنتهي الأحلام وإذا انتهت الأحلام فأنت إنسان ميت يرى كل شيء مثقوب فلا يرى شيء إلا ويعلوه النقص المنغص، تجد أقدامك تسير بك إلى اللاطريق واللانهاية واللاأمل، وعلى هذا الطريق كانت تخط أقدام وحيد كل يوم كأنه يبحث عن نفسه في المجهول الذي يزداد غموضًا يومًا بعد يوم، يحمل في صدره أحلامًا كبيرة وأيضًا يأس كبير...لا يدري لماذا يظن أن ثمة شيء مهم ينقصه ولا يدري لما يتملكه هذا الشعور المخيف بالوحدة رغم كونه يحوطه الناس من كل جانب.... كان يمشي على كوبري قصر النيل بعد أن غادر مكتبة حروف يتأمل صفحة النيل وهو يتذكر تلك الكتب التي رآها في مكتبة الحاج أشرف، ممنيًا نفسه بقرأتها كلها ولكن كان ثمة سؤال كثيرًا ما يطرح نفسه لماذا نقرأ هل لنزداد علمًا أم لنزداد همًا وغربة ؟!

فالقراءة متعة ونوع من رياضة العقل تأخذك إلى أفاق بعيدة، تلف بك الدنيا وتدخلك إلى أحداث لم تكن لتشارك فيها قط إلا عبر هذه النافذة المفتوحة بين يديك في دفتي كتاب، فهناك من الصفحات ما تشعر أنها تصرخ بين يدك، وهناك من الشخصيات أبطال الروايات من تراه ينظر إليك عبر صفحات الكتاب وكأنه يصرخ فيك لتخرجه من تلك الرواية.. لتنقذه مما ينتظره في باقي صفحاتها، وعلى كثرة النداء والاستجداء لايخرج البطل من الرواية ويرغمه الكاتب على الاستمرار في المآسي التي خطها له بقلمه وأعدها سلفًا، حتى يطلق عليه وعليك في الصفحات الأخيرة رصاصات الرحمة التي تغلق معها الكتاب وتضعه على صدرك بعد أن غرقت يدك في دماء بعض أو كل أبطال الرواية !

وحينما تسكن الحيرة قلما تجده يرقص بين الأسطر رقصًا مخيفًا يشبه إلى حد كبير رقصة الموت التي كان يرقصها وحيد كلما دخل إلى منزله واصطدم بما ينتظره من الواقع كأنه هو ذلك البطل الذي كان يستجديك ويستنجد بك منذ بضع دقائق في أعلى تلك الأسطر !!

فزوجته امرأة طيبة عفوية غير متكلفة وقد يكون هذا أبشع ما يراه فيها، ليس التكلف المقيت هذا الذي ينتظر أن يراه منها ولكن تكلف الأنثى في اللقاء بحبيبها وتكلف الأب الاهتمام حين يكون في قمة تعبه وأولاده يمرحون حوله، قد كانت كأغلب أبناء جيلها امرأة خاوية كالصحراء التي تستطيع أن تنظر فيها لما هو أبعد منها، فلا حضور لها في وجود أي أنثى أخرى، بل تجدها تتلاشى حتى تصير كالعدم، والرجال في الزواج مذاهب وكان وحيد من مذهب هذه المدرسة التي تقسم الدنيا على رجل وامرأة وكانت زوجته تشبه الرقم(١٣)هذا الرقم الذي لا يقبل القسمة إلا على نفسه، وجرب إن شئت فلن يجدي معه قسمة إلا على نفسه والواحد ليعطيك في النهاية إما نفسه أو واحد !!

هي امرأة بطعم الجنزبيل على فطرتها التي غادرها الناس من زمانٍ بعيد وتجاوزوها إلى هذا الصخب الممتع، فالريف اليوم لا يشدنا إلا في أوقاتنا العصيبة وكم من واحد ضحى بروعة الريف هربًا من رائحة صباغة المنفرة، صفحتها البيضاء التي لم تلوث بالتجارب كانت أعظم آثامها في الحياة، فأصحاب الهموم يلتقون وكذلك أصحاب الخبرات كأنهم أبناء كار واحد يعتبرون كل نقي آثم وكل طبيعي صاحب جريمة !!

إنها الدنيا التي صارت أسرع من أن نفهمها وأقسى من أن نحياها، فتجارب الأمس هي خطط اليوم والمستقبل وكأنها دائرة مفرغة بل هي المثلث المغلق الذي نقف حائرين في إحدى زواياه وأعيننا تنظر ناحية الزاوية الأخرى أملين في الوصول إليها، متمنيين حياة أفضل في تلك الزاوية من تلك الزاوية، وقد لا يفرق كثيراً إن كنت في رأس المثلث أو جانبه فكلها زوايا يا صديقي .

ومن زاوية رأس المثلث دخل وحيد إلى منزله فوجد زوجته تنتظره.

- السلام عليكم إزيك يا حبيبتي عاملة أيه ؟

- الحمد لله بخير.

- فمد يده وناولها شيكولاتة من نوع فاخر: خدي دي، بيقولوا إن الشيكولاتة بتعمل سعادة كليها يمكن تفرحك.

- أخذتها من يده في لا مبالاة: أحضرلك تاكل ؟

- شكراً.

- إنت اتغديت بره ؟

- أه.

- يا ريت لما تتغدى بره تبقى تتصل وتقولي علشان معملش حسابك في الأكل .

- ما أنا باكل كل يوم بره اشمعنى النهارده ؟!

- وبتاكل بره كل يوم ليه ما أنا بعمل الأكل.

- ما أنا قلتلك إن الأكل مبيعجبنيش.

- زي كل حاجة مبتعجبكش فيا وكأني مبقدملكش أي حاجة في الدنيا.

- أه إنتِ قدمتيلي كل حاجة يتمناها راجل لكن مقدرتيش تقدميلي اللي أنا عاوزه و طلبته منك اللي اترجيتك تقدميه، كنت عاوز حياة فوق النجوم وأنتِ عاوزة حياة عادية، طيب وماذا لو أني لست رجلًا عادي؟ رجل ذو منطق مختلف؟ رجل يتذوق الحياة بكل تفصيلاتها البسيطة؟ أه أنا أقدر أقدم لك السعادة لكن أنا في منتهى التعاسة، إنتِ غيرتِ نظرتي للدنيا خلتيني أشوفها بلون باهت لون لا ينتمي للألوان السبعة.

- أنا بحبك أقسم لك إني بحبك ومش عارفه ازاي أعبرلك عن الحب ده وعن اللي في قلبي، إنت دايمًا تصدني مش معايا حتى وأنا بكلمك، نفسي نخرج مع بعض لأي مكان، دايمًا بفتكر أيامنا الأولى قبل الجواز بشوفها أجمل أيام حياتي، أنا دلوقتي حاسة إنك خلاص مش بتحبني زي زمان أو إنك مش بتحبني أصلًا .

- من إمتى وأنتِ حاسة إني مبحبكيش ؟

- من فترة كبيرة...حتى مبقتش تتكلم معايا.. أو تحكيلي أي حاجة في حياتك ... أنا معرفش عنك أي حاجة إلا اللي بسمعه صدفة وإنت بتحكيه لصاحبك في التليفون أو مع والدك !!

- حاسة إني راضي عن تهميشي ليكِ؟

- مش عارفة بس بحس إنك قاصد .

- طبعًا قاصد وبستمتع بيه كمان يمكن أكتر ما أنتِ بتستمتعي بعندك، أنا كل ما أحاول أكلمك أحس إني بصدد فعل جريمة حقيقية في حق نفسي .

- للدرجة دي؟؟!

- لأ صدقيني أكتر من كده بكتير، إنتِ قتلتي كل معنى كويس ليكِ في قلبي وعقلي، قفلتيهم لدرجة تخليني اتفزع كل ما اتخيلك، أحس إن مجرد ذكرك في خيالي يجبلي اكتئاب ويخليني مريض وروحي مريضة، أنا مش عارف أعيش في نص الطريق معرفش معنى الوقوف على الحياد أنا مبقتش بعرف أميز من الألوان معاكِ إلا الأبيض والأسود .

- ليه ده كله ؟

- لإنك ست عنيدة أنتِ بتحلفي دلوقتي إنك بتحبيني وأنا مصدقك جدًا ... لكن إنتِ بتحبي العند أكتر مني.. أكتر مني بكتير .. ميهمكيش اليأس اللي بحس بيه ما دام ده بيرضي غرور عنادك...إنتِ عنيدة حد الموت...مش فاهم ازاي ست ممكن تاخد العند مذهب وعقيدة وسلاح أوحد ؟! عندك قدرة على إنك تضحي بكل شيء إلا عنادك وياريتك مصره على العناد في حق لكن عناد أحمق بتدافعي بيه عن باطل، ازاي ست عاقلة شايفة حياتها بتنهار قدامها وزوجها بيخلعها من قلبه وتتشبث بعندها للدرجة دي ؟!

- إنت بتشوف كل حاجة مني عند وأنا مقصدش كده، لكن إنت عاوز تفرض رأيك.

- وهو أنتِ ينفع يبقالك رأي أصلًا ؟! ليه قوليلي ليه يبقالك رأي ؟ عقلي المريض مش قادر يفهم ازاي بتطلبي يبقالك رأي ؟؟!!!

واحدة قدرت تقطع كل حبال الصلة اللي بينها وبين جوزها، أد أيه قلتلك واترجيتك ونبهتك إني بضيع منك بضيع إلى اللاعودة قلتلك إني بفارقك بالروح والمشاعر، قولتلك إني بقيت مش شايفك ولا حاسك ولا بهتم حتى لمجرد النظر في عنيك، ازاي أنثى شافت كل الانهيار ده ومتحركتش...إنها تطالب إن يكون ليها رأي أو صوت مسموع ؟؟! سبحان الله قتلتيه وبعد ما شبع موت وبعد ما كفنوه و صلوا عليه الغائب جاية تقعدي جنب الجثة وحتى مش بتحاولي تعتذري رغم إن الاعتذار مش مفيد، لكن أنتِ جاية تطلبي فرصه تانية بنفس المواصفات الفاشلة اللي كانت سبب في موته.

أديك جاية بنفس الجمود ونفس الأفكار البالية، جاية زي ما أنتِ زي ما عرفتك فاضية من جوه إلا من عنادك وتصلبك، كان أولى إنك تغيري من نفسك تقعدي معاها لوحدك تنفردي بيها توبخيها تفكريها إنها عايشة في بيت واحد مع راجل كان عاوزها تبقى الدنيا، أصارحك بشيء ؟ حبيبتي اللي ملا حبها قلبي واتجوزتها الست دي ماتت، تعرفي تخرجيلي ست تانية أحبها فيك ؟ ست كل ما تضيق بيا الدنيا أدور عليها كل ما افرح أدور عليها كل ما أعوز أعيش أتمسك بيها، ست اتكلم معاها لحد ما أنام، تتفارق أجسادنا ومنفترقش، ست أخوض بيها النار وأنا مش خايف، عندك الست دي ؟

- وأيه هي صفات الست دي من وجهة نظرك ؟

- وحيد ضاحكًا: إنتِ عارفة إنتِ مراتي من كام سنة؟؟ عشر سنين، والنهارده بتسأليني السؤال ده اللي جاوبتك عليه مئات المرات حتى من غير ما تسألي، لكن مفيش مشكلة أجاوبك تاني، هي أي ست غيرك غير الست اللي قاعدة قدامي دلوقتي، هي أي ست لحنانها ريحة مميزة، هي الزوجة الشغوفة بكل تفاصيل جوزها، تضحك معاه...تدافع عنه...متسمحلوش إنه يعيش لوحده، ست...تعرفي يعني أيه ست؟

تنساب الدموع من عيونها وكأنها البحر، تمسحها بمنديل وتحاول إخفائها كي لا يراها، فهي امرأة ترى أن نزول الدموع في حضرة الزوج خطيئة لا تغتفر، تشعر الآن بالمهانة تحدثها نفسها لماذا جلست هذه الجلسة مع هذا الرجل الذي لا يستحق منها أي شيء، ها هو ككل الرجال يتنصل من كل فعل جميل أسديته إليه لا يتذكر لي أي شيء يراني الآن وكأني شيطان رجيم، ولما كل هذا وما ذنبي وجريرتي.

تنظر إليه بعيون دامعة والشرر يتطاير منها: أيوه عارفة يعني أيه ست..

- طيب قوليلي يعني أيه ست ؟

- قلت لك عارفة، ليه مصر على النوع ده من الكلام.

- لأننا بنتناقش، شايف إن كلامي بيوجعك ودي حاجة برضه مش قادر أفهمها هو أنتِ زينا ؟ زي الناس اللي بتحس وتتألم ؟؟ إنتِ فعلًا بتبكي؟ طب على أيه بتبكي ؟ أتمنى لو إنك تبكي على خيبتك وضعفك وعنادك.

- أيوه ببكي على خيبتي.

- أي خيبة ؟ أظن إنها خيبة أملك فيا؟

- مش مهم .. خلصت كلامك؟

- أه خلصت.

- عاوزة أنام..إنت عاوز حاجة ؟

- لأ شكرًا.

تقوم مندفعة في عصبية متجهة نحو سريرها لتبكي بمرارة على ذلك الرجل الذي كانت تحلم معه بالأحلام الوردية وتأخذ قرارها المعهود وهو أنها لا تحاول أن تضع نفسها معه في جلسة حوار أبدًا !!

*****

يا أستاذ إبراهيم هو الأستاذ وحيد لسه مجاش ؟

- لا يا فتحي لسه البيه مجاش ما أنت عارف مش هو بيمضي عندك ؟

- أصل أنا كنت عاوزه ضروري.

- طيب لما يجي هقوله إنك عاوزه، ماهو أنا السكرتير الخاص بتاعه، وأنا هنا مش علشان اشتغل لأ علشان أنظم مواعيد الأستاذ وحيد.

- يا أخي متبقاش حنبلي كده، قوله بس إني سألت عليه.

- حاضر.

انصرف الأستاذ فتحي الذي أحضر ابنه علي ليجلس مع الأستاذ وحيد عله يستطيع أن يعلم منه ما سبب انشغاله الدائم وانحطاط مستواه الدراسي.

- شايفه يا حاجة إنصاف وحيد مشغلني سكرتير عنده.

- ردت الآنسة ضحى والتي كانت كثيراً ما تدافع عنه: معلش يا أستاذ إبراهيم اعتبره ابنك.

- وحيد ده لو ابني كان زماني قتلته، أنا بحبه أه بس مفروس منه، نفسي يبقى كويس يهتم بشغله ويجي بدري ويسمع الكلام هو أنا عمري أضره بالعكس أنا عاوز مصلحته .

- فرد خالد: ما أنت اللي مدلعه يا أستاذ إبراهيم، هو في حد واخد حقه في المكتب ده زي وحيد أهو كلنا على مكاتبنا والبيه لسه مشرفش.

- قال عبد الله ضاحكًا: ولسه لما يجي هيقعد يفطر بقى ويشرب الشاي مزجانجي وحيد ده والله.

عندها دخل وحيد مندفعًا بابتسامته المعهودة: السلام عليكم أخباركم أيه ؟؟

فسكت الجميع وتوجهت أنظارهم إليه في حرج كهذا الطفل الذي ضبطه والده متلبسًا يعبث في أوراق عمله الهامة.

- إيه يا جماعة مالكم سكتوا ليه ؟ أيه يا أستاذ أبو راية شايفك النهارده ما شاء الله وشك منور، في مكافأة جاية في السكة والا أيه حاكم إنت وشك بينور مع المكافأت ؟

- فقالت ضحى: لأ مفيش حاجة جاية الأستاذ إبراهيم زعلان علشان إنت بتيجي متأخر والناس بتيجي تسأل عليك.

- فنظر إليها وحيد بنظرته المازحة كما عودها: أنا قلتلك اتكلمي ؟! الظاهر إن أنا اتساهلت معاكم جدًا، ونظر إلى الأستاذ أبو راية- الذي جلس وقد أراح ظهره على كرسيه ممسكًا بفنجان القهوة الصباحي وكأنه يستمتع بمشاهدة مسرحية كوميدية، يتكرر أدائها أمامه كل يوم إلا أنه لا يملها بل يضحك مع أحداثها في كل مرة كأنها المرة الأولى- يا أستاذ أبو راية حولي الموظفة دي للتحقيق أنا هقطع عيشها من هنا خالص.

- كريم وعاطف في صوتٍ واحد : ده هي اللي كانت عمالة تدافع عنك قبل ما تيجي.

- والاتنين دول كمان معاها أنا هوريكم ازاي تتكلموا من غير إذن يا موظف إنت وهو، وبعد ما تحولهم يا أستاذ إبراهيم اكتبلي تقرير في نفسك علشان هديك إنت كمان خمس أيام خصم من الراتب.

- ليه كده يا أستاذ وحيد.

- علشان أنا لما عينتك مساعد ليا هنا قلتلك تعلم الناس دي ازاي يتعاملوا مع مديرهم مش المهزلة اللي أنا شايفها دي يا أستاذ.

كثيراً ما يحب وحيد أن يمازح كل من حوله يحمل لهم البسمة ببساطته وعفويته وجرأته التي تتخطى كل حاجز لتجبرك على الابتسام.

*****

- ازيك يا حبيبتي وحشتيني جدًا جدًا .

- ازيك يا حبيبي إنت اللي وحشني جدًا جدًا جدًا، مكلمتنيش امبارح ليه يا ياسر ؟

- أبدًا يا حبيبتي بس رجعت متأخر محبتش أقلقك.

- يا حبيبي أنا على طول قلقانة طول ما أنت مش جنبي.

- خلاص هانت، زي ما فات كل اللي فات، هيفوت الشوية الباقيين.

- أخبار شغلك أيه ؟

- الحمد لله بخير، جالي واحد امبارح وهو اللي خلاني اتأخر من الجماعة المثقفين دول اللي إنتِ عارفاهم.

- أه اللي عارفاهم جدًا وطبعًا اتكلمتوا عن الثورة واللي بيحصل في البلد و ..

- لأ اتكلمنا عنك.

-عني أنا ؟! ازاي؟؟

- كنت بقوله إني بحبك جدًا، عارفة اداني أمل كبير في بكرة، حسسني إني صح في وقت كنت محتاج اسمع فيه كلمة من حد محايد.

- يعني أيه حد محايد ؟!

- يعني ميعرفنيش، يقيمني بجد ميقفلش الباب في وشي وبرضه ميجاملنيش، المهم إني أخدته النهارده وعرفته على الحاج أشرف وفرجته على المكتبة.

- أيه ده إنتوا بقيتوا أصحاب خلاص ؟

- أه هو شخص لذيذ جدًا بس عامل زي عمك مرسي مبيأمنش بالثورة وشايف إنها تضييع وقت، حتى اندمج قوي مع الحاج أشرف.

- هو سنه كبير زيه كده.

- لأ خالص في بداية الثلاثينيات بس عارفة أنا مبسوط إني عرفتهم على بعض.

- خلي بالك علشان أنا بدأت أغير منه، يعني هو من أول يوم خلاك متكلمنيش ومن ساعة ما اتكلمنا وإنت بتحكي عنه ثم أردفت مازحة: إنت متأكد إنه واحد ؟؟

- فانفجر ياسر ضاحكًا: أه والله واحد واسمه وحيد كمان، يا حبيبتي أنا خلاص عيني مبتشوفش أي واحدة غيرك.

- وأنا مصدقاك يا بكاش.

- وحمايا العزيز عامل أيه ؟

- والله يا ياسر عمك محسن كان تعبان جدًا، النهارده راح للدكتور وطبعًا ورقة أدوية طويلة وتحذيرات بس على مين إنت عارف أول ما خرج من عند الدكتور اشترى علبة سجاير، إنت عارف محدش بيقدر عليه .

- ربنا يشفيه مش عارف عاجبهم أيه في السجاير دي، ده حتى ريحتها وحشة جدًا، ماهو وحيد ده برضه مبيسبش السيجارة من إيده، بس أنا عارف إن الجو في المكتبة لو شده هينسيه السجاير والدنيا كمان .

- مش هشوفك يا ياسر بقى ؟ بقالنا أسبوعين متقابلناش.

- والله يا حبيبتى أنا عاوز أشوفك كل يوم والشغل اللي أنا بشتغله ده علشان قريب تبقي معايا وأشوفك كل يوم.

- يعني أيه بقى مش هشوفك الأسبوع ده كمان ؟

- مواعيد نزولك دي يا حبيبتي اللي صعبة جدًا وأنا مش عارف أغير الشفت ولا استأذن.

- اتصرف أنا عاوزة أشوفك مليش دعوة.

- حاضر سيبيني بس يومين وهقولك هنتقابل إمتى.

- أنا اشتريت الجرنال النهارده ولسه بقى هعمل كوباية نسكافية وافحصه حتة حتة أكيد هلاقي اللي بدور عليه.

- مش عاوز أقولك متتعبيش نفسك خلاص محدش عاوز مهندسين، أنا متعود اتفائل بيكِ.. المهم ابعدي عن اللي طالبين ألف سنة خبره خليكِ في اللي طالبين حديثي التخرج.

- أكيد يا حبيبي.

*****

تناول وحيد هاتفه ليتصل على والده سامي الذي لم يقابله من يوم المطار..

- إزيك عامل أيه ؟

- الحمد لله إزيك يا وحيد؟

- تعبان والله وعاوز نتقابل.

- طيب عدي علينا النهارده بعد الشغل أنا هرجع البيت بدري.

- لأ أنا عاوز أقابلك بره نتمشى نشم هوا نشوف ناس، مش عارف عاوز اتكلم معاك.

- طيب تعالى علشان ماما كانت عاوزة تشوفك وبعدين ننزل مع بعض.

- حاضر أنا جاي بعد الشغل.

- هستناك أنا وماما.

- ماشي.

وفور انتهاء مكالمته مع وحيد اتصل على زوجته، ألفت وحيد جايلنا النهارده اعملي حسابه في الغدا واتكلمي معاه علشان هننزل على طول.

- وهو جاي علشان ينزل مش هيقعد معانا ولا هيبات ؟

- لأ هو عاوز نخرج نتمشى.

- طيب يعني هو جاي علشانك، على أيه بقى هتيجوا الاستراحة الأول ؟

- يعني أقوله ميجيش يعني.

- قوله ميجيش واتقابلوا من بره واخرجوا.

- مع السلامة يا ألفت .... وأغلق الهاتف.

وفي تمام الساعة الرابعة كان وحيد يفتح باب شقة والده في منطقة ألماظة ويحمل في يده كيس من الفاكهة وفي الأخرى شيكولاته كان قد خبئها خلف ظهره ودخل على أطراف أقدامه نحو المطبخ حيث تقف أمه ألفت ليفاجئها :

- بسم الله الرحمن الرحيم أيه يا وحيد قلتلك ألف مرة متدخلش تتسحب كده.

- أيه يا عسل مخضكيش يعني.

- حرام عليك، والله حاسة إني دوخت.

- متقلقيش أنا عامل حسابي اتفضلي يا عسل ... ومد يده وناولها الشيكولاتة.

- تناولتها ضاحكة : يا سلام عليك، شيكولاتة ده أبوك معملهاش.

- يا ستي وأنا أيه وهو أيه؟ ما احنا واحد وأنا جبتهالك كأن هو جبهالك، يلا افتحيها والا خلاص الدوخة راحت !

- مقدرش أكل شيكولاتة بتتعبني خدها اديها لمراتك.

- ضاحكًا : متقلقيش ما أنا بشتريلها على طول شيكولاتة يمكن تأثر فيها شوية.

- وأخبارك أيه معاها ؟

- الحمد لله ملناش أخبار، يعني لسه عايشين.

- وطاهر وزياد وأحمد عاملين أيه ؟

- الحمد لله بخير بيسألوا عليك.

- سألت عليهم العافية، مش ناوي تجيبهم ؟

- أجيبهم بس من غير أمهم اتفقنا ؟

- ضاحكة : أه هاتهم وقول لأمهم بقى رايحيين مشوار خاص متخدوهاش معاكم، وهي عاملة أيه لسه مبتتكلمش معاك ؟

- لأ بتتكلم بتقولي تاكل ؟ تشرب ؟ تنام ؟ ويستمر وحيد في الضحك...

- وإنت عاوز أيه تاني أكتر من كده ؟ هو إنت فاكر إنها أيه واحد صاحبك ؟ عيش بقى ومشي أمورك علشان ولادك.

- أمشي أموري ازاي أعمل أيه يعني ؟

- يعني متقفش على الواحدة خلاص لقيت واحدة كويسة مش بترفع صوتها عليك ولا كل يوم عاوزة تخرج وقاعدة بولادك طول النهار احمد ربنا متبقاش زي أبوك.

- حاضر، ما أنا بقول إنها تعيش لولادها بقى وأنا أعيش حياتي.

- مش بقولك إنت زي أبوك عاوزين كل حاجة على المقاس، الدنيا مش كده، الدنيا هات وخد

- طيب ما أنا عايش في هات مفيش خد خالص، بتربي العيال طب وأنا مين اللي يربيني يا ألفت ؟

- تصدق إنت فعلًا عاوز واحدة تربيك.

- أه والله اشتقت لتلك الأنثى التي تعيد صياغتي، تربيني على إيديها كما لم تربيني أمي، وتصنعني من جديد توريني من نفسي اللي عمره ما دار في بالي، أنا محتاج لتلك المرأة التي تجتاحني تمزق كل ماضي عرفته قبلها، تعصر قلبي حتى رمقه الأخير تعصره حتى تزهق كل روح فيه إلا روحها، تعرفي شعور الاجتياح ده اللي بيجبرك على الاستسلام اللذيذ ؟!

- الأكل هيتحرق... تسرع نحو حلة الطعام التي يفور منها الدخان بشكل جنوني ويتبعها وحيد.

- افهمي يا ألفت، المشاعر أنثى.. السعادة أنثى.. التضحية أنثى.. الدنيا أنثى.. الحنان كمان و المستقبل بتصنعه أنثى .

- إوعى يا شاعر عاوزة طبق من وراك.

- طبق أيه بس يا أنثى إنتِ!!

- تضحك ألفت: إنت هتعاكسني والا أيه لأ إوعى تكون فاكر إن كلامك ده ينفع معايا يا شاعر.

- ولا معاها والله يا ألفت مش عارف أنا اللي مش مقنع ولا أنتوا اللي ...

- اللي.. أيه ؟؟ خليني اخبطك بالمغرفة.

- لأ الطيب أحسن يا حاجة.

يدخل سامي إلى المطبخ أثناء مزاح وحيد وأمه...

- السلام عليكم... أيه يا عم وحيد هو لازم أقولك تعالى علشان أشوفك ؟

- يضحك وحيد: وهو إنت اللي قولتلي تعالى والا أنا اللي كلمتك؟؟ بكاش إنت يا عم سامي.

- أه صحيح ده أنت اللي كلمتني؛ طيب اسحبها المرة دي.

يتعانق وحيد وأبيه وكان وجود سامي كفيلًا لأن يخطف الضوء والكاميرات بأكملها عن كل الناس، فإذا التقى وحيد وأبيه صاروا من غير اتفاق إلى دهاليز كهفهم الذي لا يعرف خريطته إلا ثلاثتهم إذا ضممنا لهم فهد الإبن الغائب .

وبعد أن تناولوا الغداء قام وحيد ووالده وارتدوا ملابسهم واستعدوا للخروج من المنزل غير أن ألفت كانت قد أعدت لهم طبقين قمرالدين وكانت قد أعدت الفاكهة في الأطباق.

- أنا مستعجل يا ماما مش عاوز اكل عاوز انزل.

- إنت لحقت أيه عاوز تمشي على طول ليه ؟

- أبدًا بس علشان الحق أروح لمراتي حبيبتي.

- فيضحك سامي وألفت: هناكل قمر الدين وننزل على طول متخفش مش هنأخرك على مراتك حبيبتك لأن أنا كمان مش هقدر اتاخر على أمك ألفت حبيبتي.

- أه اتلميتوا على بعض طيب الفاكهة عندكوا أهي أنا داخلة أنام.

- أيه يا حاجة ألفت مش هتستني لما انزل وتودعينا والحاجات بتاعت الأفلام دي والا أيه ؟ أيه الطلسقه دي؟!

- لا يا حبيبي أنا معنديش الكلام ده مش اتلميت على أبوك يلا بقى.

- يضحك وحيد وهو يمازحها: متخفيش أنا هنزل أوزعه وارجعلك.

كان وحيد لم يحدد وجهته بعد إلى أين يذهب هو وأبيه فلما انطلق بسيارته تذكر متحف اللوفر-مكتبة حروف- أيه رأيك يا بابا لو أخدك لمكتبة على مستوى عالمي وصاحبها راجل خفيف الروح ؟

- فين المكتبة دي ؟

- قريبة في مصر الجديدة.

- زي ما تحب أنا معاك النهارده في أي مكان.

انطلق وحيد متجه إلى المكتبة وهو يحكي بشغف لوالده عن مدي تناسق أركانها وكيف وجد بها كتب كثيراً ما أثارت شغفه وحسه الثقافي مما شوق سامي إلى رؤيتها فهو قارىء قديم، وصل وحيد وأبيه إلى المكتبة التي لازالت على شموخها في هذا الشارع الهادىء وبين الشجر ولازالت العصافير تغرد مع اختفاء ملحوظ لصوت البلابل.

- السلام عليكم إزيك يا حاج أشرف أخبارك أيه أعرفك بوالدي سامي.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته إزيك يا وحيد عامل أيه؟ اتفضل يا أستاذ سامي، واضح إن المكتبة عجبتك يا وحيد.

- عجبتني جدًا أنا كنت بدور على مكتبة بالمستوى ده من بدري.

- وبابا كمان قارىء حاجة جميلة جدًا، أنا طول عمري بقول إن البيت المثقف مختلف عن أي بيت تاني.

- الله يخليك يا حاج أشرف وحيد طول السكة بيشكر فيك وفي المكتبة هنا.

- اتفضلوا خدوا جولتكم في المكتبة ولو تحبوا تقعدوا في ركن القراءة هتتبسطوا جدا وهتقضوا وقت لطيف

- يلا يا بابا تعالى أوريك روائع دوستويفسكي في مجموعة رائعة هنا من كتب الأدب الروسي.

- طالع لأبوك إنت يا وحيد غاوي أدب روسي.

- والله يا حبيبي أنا بقدر الكلمة المحترفة على لسان أي حد سواء كانت بقلم روسي والا صعيدي.

- متنساش إنك صعيدي.

- وهو أنا قلت حاجة ما أنا بقول إن في صعايدة محترفين كتابة زيك كده ده إنت الكاتب الأول في حياتي.

- كانت بتعجبك الحاجات اللي بكتبها ؟

- جدًا وزعلان إنك مبقتش تكتب خالص، خلي بالك الموهبة بتموت وبتجلد زي الأكل كده لما بيبات.

"ودوستويفسكي لمن لا يعرفه، هو واحد من أكبر الكتاب الروس ومن أفضل الكتاب العالميين، وأعماله كان لها أثر عميق ودائم على أدب القرن العشرين، شخصياته دائمًا في أقصى حالات اليأس وعلى حافة الهاوية، ورواياته تحوي فهمًا عميقًا للنفس البشرية كما تقدم تحليلا ثاقبًا للحالة السياسية والاجتماعية والروحية لروسيا في ذلك الوقت، العديد من أعماله المعروفة تعد مصدر إلهام للفكر والأدب المعاصر، وفي بعض الأحيان يذكر أنه مؤسس مذهب الوجودية.

نظر سامي إلى الركن الخاص بالأدب الروسي وشرد في ذكرياته القديمة عندما كان قارىء حقيقي، أما هو اليوم رجل يعيش على أمجاد الماضي، فالحقيقة تقول أنه لم يمسك كتاب منذ سنوات بعيدة قد نسى هو نفسه عددها، تذكر حين رأى رواية الإخوة كرمازوف؛ والمساكين؛ وذكريات من منزل الأموات؛ إن أخر عهده بالقراءة من زمن ل يس بالقريب، فمن جرب القراءة وابتعد عنها تنتابه لوعات الفراق كلما رأى كتابًا في مكتبة أو بين يدي قارىء، فشغف ابنه وحيد بالقراءة التحليلية كان يدخل على قلبه نوعٌ من السعادة، تلك السعادة التي تغمر قلوب الآباء حينما يروا التشابه بينهم وبين أبنائهم.... حين يروا قسمات ملامحهم على وجوه أبنائهم وكأنهم يكملون طريقًا قد بدأه الآباء .

- قولي يا بابا قريت الإنسان الصرصار ؟

- أه بس أكيد مش فاكر أحداثها كويس.

*****

- لأ هو مبيعجبهوش حاجة وأنا أصلًا مليش أي نفس لأي حاجة.

- مش عارفة مع إني بحس إن وحيد جوزك رومانسي جدًا، أنا عن نفسي بحب اتكلم معاه واخد رأيه في كل حاجة.

- أه ماهو مع الناس اللي بره كده تلاقيه شيك ورومانسي وجميل لكن في البيت هنا مبوز ومبيتكلمش إلا بالقطارة وبسحب منه الكلام بالعافية، بيقولك عاوزنى مثقفة، بيحسسني إني في مدرسة والمفروض اقعد أذاكر.

- يا أختي أنا والله حاسة بيك بس أنتِ لازم تتكلمي معاه، تعالي في مرة اعمليله قاعدة رومانسية وكلميه بالراحة، حاولي تعرفي أيه اللي مش عاجبه فيكِ واكتبيه مثلًا في ورقة وإنتِ كمان قوليله اللي بيزعلك منه واتفقوا إنكوا تصلحوا الحاجات دي بس بجد.

- قعدنا كتير ومبنوصلش لحاجة بيقولك عنيدة طيب أنا عنيدة أعمله أيه؟

- بصراحة إنتِ عنيدة فعلًا يعني في حاجات بسيطة ممكن تعمليها علشان خاطره حتى لو إنتِ مش مقتنعة بيها علشان بس ترضيه وتلطفي الجو وممكن بعد كده تناقشيها معاه لما يروق.

- لأ وحيد مينفعش معاه كده مبينفعش معاه الست الضعيفة أو أنا مش هبقى راضية عن نفسي وأنا حاسة إني ضعيفة كده، أيه هو اتجوزني والا اشتراني؟!

- بس أنا بقولك الطريقة اللي أنا بتعامل معاه بيها وبلاقيها ناجحة جدًا مع إني مش مراته يعني إنتِ فرصتك أكبر إنك تحتويه ومتخليهوش يحب يقعد يتكلم مع حد غيرك، صدقيني ساعتها حياتك هتتغير وهتعيشي سعيدة.

- أنا حاسة إن السعادة دي خلاص بقت حاجة زي الوهم كده، عارفة أنا دلوقتي سعادتي بقت لما أشوفه وهو عمال يتنطط قدامى، بنكد عليه زي ما هو بينكد عليا عارفة لازم أعمل حركة بسيطة كده احرق دمه وكأني مش قاصده بس أشوف في عينه إنه برضه موصلش للي هو عاوزه.

- طيب ما أنتِ كده اللي بتستفزيه!!

- وهو أنا لما بسكت أيه اللي بيحصل يعني؟ ماهي نفس النتيجة طيب خلاص يبقى استفزه أحسن.

- والله إنتِ حرة أنا نصحتك وعارفة إنك لو عملتِ اللي بقولك عليه هترتاحي كتير في حياتك وإنتِ حرة، طاهر وأخواته عاملين أيه ؟

- الحمد لله بخير، زياد عيان شوية بيكح من امبارح.

- تقريباً في حاجة في الجو خلي بالك علشان ميعديش أخواته.

- ربنا يستر.

كانت هذه المكالمة الهاتفية بين زوجة وحيد وأختها تشرح ببساطة مدي الهوة السحيقة بينها وزوجها فهم طرفي نقيض لا يريد أحدهم أن يتنازل عن كبريائه أو يلين للأخر وإن نظرت وجدتها حياة أشبه بالحرب الباردة- الحرب الباردة هو مصطلح كان يستخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت توجد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحلفائهم من الفترة في منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات وخلال هذه

الفترة، ظهرت الندية بين القوتين العظمتين خلال التحالفات العسكرية والدعاية وتطوير الأسلحة والتقدم الصناعي وتطوير التكنولوجيا والتسابق الفضائي، ولقد اشتركت القوتين في إنفاق كبير على الدفاع العسكري والترسانات النووية وحروب غير مباشرة- ستؤدي حتمًا إلى ضياع الألفة والسكينة في البيت ويرتوي الأطفال بين هاتين القوتين الآلام والتعاسة .

*****

كان فهد يصارع كل يوم في غربته ويلات لا يعرف مرارتها إلا هؤلاء الذين فارقوا أوطانهم وأهاليهم لتبقى لحظة الإلتقاء هي أمنية بعيدة المنال، لا يجدوا من يواسيهم أو يربت على أكتافهم فكثيراً ما يحتاج الإنسان لمجرد النظر في وجوه هي في ذاكرته مطمئنة، كان فهد يفتقد هذا كله بدءً من أبواه الذين فارقوا الحياة من زمن بعيد وصولًا إلى كل معارفه الذين قضى عليهم بتذكرة سفر وصاروا مجرد أرقام على ورق في نوتة تليفونات، لم يكن فهد سعيد بهذه المرحلة العصيبة من حياته لم يكن يألف الوحدة كما كان يشيع عن نفسه بل كانت تقتله .. تمزقه أكثر من غيره وتنقر في قلبه كما لا تنقر في قلب غيره، لذلك كان شرسًا جدًا في مواجهتها كان يغوص في عمله لدرجة الغرق، طوال اليوم حسابات وانتقالات وحرث في البحر...

ضجيجه يملأ الدنيا ولا أثر للطحين على كثرة الضجيج، لم يكن فهد ذلك الشخص الذي لا يلاحظ أنفة الزبائن وهم يحاولون الخلاص منه ومن عروضه المتوالية لهم بالشراء، بل كان يعلم ذلك جيدًا بل كان يقرأه من مكنونات أنفسهم ودواخلها ما ألجأهم الحرج لإخفائه وفضحتهم نظرات عيونهم الزائغة، فقد كانوا ينظرون إلى بضائعه التي يعرضها عليهم وكأنهم ينظرون إلى الفراغ، ولان فهد ليس من هذا النوع السخيف الذي يشعرك في بيعه بأنه مجرد شحات أوقعك حظك العاثر به في إشارة مرور فراح يتسول منك الجنيهات مدعياً بيع المناديل؛ بل كان ذلك الرجل الهارب من الوحدة الهارب من الفشل.. الباحث عن السعادة.

ولأنه مختلف فطريقته مختلفة أيضًا فقد كان حسن طلته وبهية منظره ترقق له كثيراً من قلوب الناس وإن كان أكثرهم من النساء، غير أن جسده الرياضي كان يستطيع أن يتحمله لساعات طويلة من العمل المستمر، ولكن لما باءت كل محاولته للبيع في ذلك اليوم بالفشل الذريع أمسك هاتفه واتصل بتلك الروح التي يفتقدها والتي تشعره بالأمان، راح يبحث بين أسلاك الهاتف وذبذباته عن ذلك الغائب الذي قطع من جسده، جاءه صوت وحيد بعيدًا ..

- ازيك يا حبيبي عامل إيه وحشني؟

- ازيك يا فهد عامل إيه يا حبيبي طمني عليك، كل ده متتصلش بيا ؟

- اتصلت هو عم سامي مقالكش؟؟

- تتصل تاني وعاشر يا فهد المهم إن أنا مسمعتش صوتك، طمني إيه الأخبار؟؟

- تمام كل الدنيا عال العال أخوك شغال شغل من نار.

- أيوه بقى يا فهد سمعني أخبارك الحلوة، يعني خلاص نقدر نقول إنك بقيت من الأثرياء ؟

- يضحك فهد من قلبه حتى كاد أن يقع على قفاه: مش قوي كده يا أخي إنت مبالغ فيك صحيح.

- مبالغ إيه يلا يا ابني حولي الدولارات بقى.

- والله وحشني يا وحيد.

- إنت هتطول في المكالمة ولا المكالمة دي خطف كده؟؟

- لأ مش هينفع أطول هي عندي شغل، بس وحشتني قلت أكلمك.

- طيب اتصرف يا فهد ونتكلم على النت.

- طيب لما اعمل إيميل هبعتلك ونبقى نحدد المواعيد.

- ودي برضه تفوتني عملتهولك وهتلاقيه في جيب السوسته الصغيرة اللي في الشنطة البني اوعى تكون رمتها.

- لأ اطمن موجودة لما أروح هطلعها، بس أنا لسه مش متوفر عندي نت حالياً أول ما ادخل أكيد هبعتلك المواعيد.

- طيب يا حبيبي خلي بالك من نفسك.

- وإنت كمان يا وحيد وادعيلي وخلي كل اللي عندك يدعولي يلا في أمان الله.

- في أمان الله.

أغلقا الهاتف، لم يستطع فهد أن يخبر وحيد بما يمر به من أزمات متلاحقة ربما خشي على قلبه ... ربما خشي أن يعاتبه ويقذعه ... ربما لا يريد أن يشعر أنه كان مخطىء لما ترك مصر إلى خارجها، وعلى كل فقد أنهى فهد المكالمة ولم يشير إلى ما هو فيه بأي إشارة ولو خفية وبقيت له ابتسامة كانت ارتسمت على وجهه على أثر تلك المكالمة مع صديقه ولكنه ما لبث أن عاد فوراً وأمسك هاتفه.

- وحيد عامل إيه؟

- تمام في إيه؟

- وحيد أنا مش كويس، أنا تعبان جدًا أنا مش عارف أبيع حاجة الجو هنا كمان حر قوي وحاسس إني مبعملش حاجة في الدنيا غير إني بشتغل ومش شايف أي مردود.

- يا فهد أكيد هناك مكانوش مستنينك وفارشين الأرض ورد، في ألف واحد سافروا معاك من بلادهم كل واحد فيهم عينه على نفس هدفك واللي هيتعب أكتر هيوصل الأول ... اوعى تخاف أو تيأس.

- بس أنا مش لاقي نفسي في مندوب مبيعات دي وكمان أدوات كهرباء ده أنا أصلًا بخاف من الكهربا.

- اعتبرها خطوة، وبعدين مش إنت شغلك في الشارع ؟

- أه.

- يبقى تدور على حاجة تانية وإنت شغال بالتوازي كده.

- ما أنا ناوي على كده من بكره بإذن الله.

- كل ما تبقى تعبان كلمني يا فهد لو ينفع.

- حاضر.

- ولو احتجت فلوس قولي وهبعتلك متخفش أنا في ضهرك.

- ربنا يخليك ليا يا حبيبي الحمد لله لسه معايا فلوس.

- هنبقى أحسن يا فهد صدقني هنعمل كل اللي حلمنا بيه، هي مسألة وقت بس لكن أنا واثق فيك، واثق فيك يا فهد حتى أكتر من نفسي.

- وأنا عمري ما هخذلك يا صديقي.

- يلا روح شوف شغلك ربنا يوفقك.

- ماشى يا صاحبي مع السلامة.

- مع السلامة.

ملامح فهد هذه المرة أكثر سكون واطمئنان عن تلك الملامح الأولى التي كانت تحمل في ظاهرها البسمة الخاوية !!

إنه الأمان والشعور بالتوازن، فهد لم يكن يخشى الفشل فقط ولكن كان يخشاه في مواجهة صديقه وحيد، كان يشعر كأنه رب الأسرة الذي خرج يكافح في الحياة ليعود لها بالقوت وأبنائه الصغار ينتظرون ما يرجع به إليهم من الخبز، ولكن لما كان هؤلاء الأبناء رجال ولما كانوا قد انهوا مراحل دراستهم المختلفة لم يعد لذلك الخوف والهم ثمة داعي.

لم يعد فهد بعد هذه المكالمة يخشى أن يرجع إلى وطنه بيديه خاوية، فالخوف يصنع العجز و يكبل الجسد يجعله عجوزًا مترهلًا، وخوف فهد كان أكبر العقبات التي زالت من على صدره لمجرد شعوره بأنه إنسان له حق الخطيئة وله حق الفشل، كم نحتاج أن نشعر بأننا نملك أدنى حقوق الإنسان ليس حق الاعتراض ولكن الحقوق التائهة بين الكلمات، حق أن نكتب ونمحو ونعيد ماكتبناه، حق أن نتكلم فنخطىء من غير توبيخ، حق أن نجد من يسمع آراءنا السخيفة ما دامت في الغرف المغلقة ومادمنا لا نطمح لتحقيقها ولكن لمجرد إخراجها أمام من يسمعها ويقومها ويقيمها، عاد فهد لحماسه وراح يكمل مشوار كفاحه الصامت مستشعراً كلمات وحيد الأخيرة- متخفش أنا في ضهرك - .

كان وحيد متأثراً جدًا بنبرة صديقه وأكثر ما أثر فيه هو محاولة إخفائه حقيقة حاله وكأنهم نزلوا إلى دنيا الناس بما فيها من مجاملات وتقلبات وبما فيها من كذب ونفاق، هل حقا صارت بيننا هذه الفجوة في تلك الأيام القليلة حتى صار يتستر أحدنا من الأخر خلف حائط ليداري ثقوب ثوبه المرقع عن عين الأخر ؟!

ولكن نفسه تراجعه ففهد لم يستطع أن يستمر في هذا الجو العادي لأكثر من دقائق حتى عاد إلى الارتفاع والسمو لكوكبهم السامي، وخرج بكل ثقوبه ورقاعه أمام مرآته غير مبالياً بشيء، ولكن هل هناك دخان بغير نار؟ زرع بغير بذر؟!

لا يا فهد كان يجب أن تقول من اللحظة الأولى.... أحداث كثيرة متلاحقة كضوء البرق تمر أمام عين وحيد في الوقت الذي كانت تمر كهربائها في رأسه بنفس تلك السرعة الخاطفة وكأنها تلاحقه...تلومه...أو تعاتبه .... تضيق عليه وتمسك بتلابيب عقله لا يستطيع أن ينفك عنها ولو لثواني حتى أنقذه من بين يديها هذا الصوت الشديد الذي ينم عن ارتطام شيء في شيء أو ربما هو صوت انفجار لقنبلة.

- ده أيه ده كمان؟ أيه الحكاية ؟!

- حادثة طريق يا دكتور.

- طيب دخلوه على الطوارىء بسرعة الدكتور بسام جوه.

- حاضر يا دكتور.

قالتها الممرضة وهي تدفع عربة التروللي بسرعة متجهة إلى قسم الطوارىء وكانت تحمل جسدًا تغطي وجهه الدماء بحيث لا تستطيع أن تميز ملامحه ولكن اعترضها شخص فيما يبدو إنه من موظفي الاستقبال:

- يا مريم استني رايحه بيه فين ده ؟

- الطوارىء للدكتور بسام.

- هو مفيش حد جه معاه ؟

- في تلت شباب هما اللي جابوه وواقفين بره مع الدكتور عاطف.

- طيب استني أنتِ عارفة إنه ممنوع يدخل كده .. استني.

- وخرج هذا الشاب الوسيم الذي لم يؤثر منظر الدماء فيه وكأنه خارجًا للتو من حمام بخار دافىء: لو سمحتوا يا جماعة محتاجين بطاقة حد منكم ومبلغ خمسة ألاف جنيه تحت الحساب.

- فتحدث ذلك الشاب الثلاثيني صاحب العيون الغائرة : احنا منعرفهوش لقيناه بره على الطريق، العربية كانت هتنفجر وهو جواها جبناه وجنالكم هنا يا ملائكة الرحمة علشان تنقذوه .

- ما احنا هننقذه يا فندم بس محتاجين صورة بطاقة وخمسة ألاف جنيه تحت الحساب.

- طيب اتفضل أنا اسمي وحيد ودي البطاقة لكن مفيش فلوس دلوقتي لسه أما نشوف أهله.

- يبقى أنا أسف جدًا يا فندم مش هنقدر نستقبله.

- نعم!!! يعني أيه هتسيبوه يموت، قالها الشاب الأخر مفتول العضلات وكأنه ينذر الجميع بهبوب عاصفة وأمطار شديدة من اللكمات على وجوه جميع الحاضرين مما خفض صوت ذلك المبتسم الهادىء من لحظاته الأولى فقال :

- صدقني يا افندم دي أوامر الإدارة أنا مقدرش ادخله إلا بالإجراءات دي... يرضيك اتجازى؟؟

- متتجازى يا أخي فيها أيه يعنى لما تتجازى علشان إنسان يعيش !!

- فيها إنهم هيخصموا مني أنا الحساب بالكامل.

- هو احنا هنقف ندردش وتسبوه كده ودمه بينزف...ما تتحركوا.

وبينما الدكتور عاطف يقف في موقف المتفرج تناول أحد الشبان الثلاثة هاتفة في محاولة أن يكلم أحد المسئولين في جهاز الشرطة باحثًا عن طريق يستطيع أن يعبر من خلاله بهذا الجسد المخضب بالدماء إلى داخل تلك الغرفة المزمع فيها إنقاذه ولكن على كثرة اتصاله لم يكن الطرف الأخر يجيب.

كان صاحبنا مفتول العضلات بدأ ينفذ صبره وبدأ في الاحتكاك مع الموظف بشكل يوحي بمعركة حتمًا ستكون من طرف واحد، حتى وصلت الدكتورة منال وكان موعد نبطشيتها...وما إن دلفت من باب المستشفي الخاص حتى وجدت هذا التجمع وهذه الدماء المتناثرة على أرضيه المكان، ولكن الدكتورة منال لم تكن كهؤلاء التجار الذين بالخارج بل راحت مسرعة نحو الترولي كجندي استعد لدخول معركة عنيفة سبق له دخولها مرات عديدة.

تلقفت يده في محاولة لقياس النبض وراحت تصرخ في من حولها.... جهزوا العمليات فورًا الحالة بتموت، لحق بها الموظف السمج يا دكتورة منال التعليمات بت... فقطاعته صارخة اوعى من قدامي أنا اللي قلت يدخل وأنا اللي هتحمل كل حاجة اوعى من وشي...

رُب كلمة أشعلت حُلماً

*****

قامت حنين من نومها مفزوعة تبكي، تنظر حولها وتردد: أيه اللي حصل ؟ أيه اللي حصل ؟ في أيه ؟

مما أفزع زوجها ليقوم مستعدًا للهرب من هذا اللص المحتمل الذي ربما كسر نافذة المطبخ وتسلل إلى غرفة نومهم.

- أيه يا حنين في أيه مالك .. مالك ؟

- تبكي: مش عارفة اتفزعت.

- معلش يا حبتى أكيد كابوس وحش علشان أنتِ نايمة قلقانة علشان الشغل بكرة...نامي مفيش حاجة، فأخذت يده وطلبت أن يقرأ عليها بعض الآيات القرآنية فوضع يده على رأسها، وبدأ يتلو آيات من الذكر الحكيم حتى اطمئنت نفسها وعادت إلى النوم .

وفي صباح اليوم التالي.

- ازيك يا أسماء وحشتيني جدًا أنتِ وريهام..

- أنتِ اللي وحشتيني جدًا فرحنا قوي لما عرفنا من الحاج أشرف إنك راجعه تشتغلي معانا تاني، المكتبة كانت وحشة من غيرك.

- ربنا يخليكوا ليا، أمّال فين ريهام؟؟

- جاية بس هتتأخر، النهارده رايحه تجيب حاجات مع مامتها علشان فرحها قرب.

- ربنا يتمملها بخير المهم أنا جايه وفي دماغي شوية أفكار جديدة كده للمكتبة.

- أيوه كده وريني الشغل بقى، أعملك حاجة تشربيها.

- يا ريت النسكافية بتاعك بقى يا أسماء عاوزة أركز على الأخر.

راحت حنين تمشى في المكتبة تتابع بلهفة جديد الكتب وتحاول أن تلاحظ كل التغيرات التي طرأت بعد رحيلها وتدون باهتمام بعض أسماء الكتب التي شدتها لتقرأها في وقت ما، وراحت تراجع بنفس الاهتمام سجل المستعيرين ومواعيد التسليم وكانت قد وقفت على أكتر من عشر كتب قد فات على موعد تسليمهم أكثر من ست أسابيع ولم يلاحظ ذلك الحاج أشرف !!

وبعد ما يربو على الساعتين من العمل المتواصل والاتصال بلصوص الكتب هؤلاء وتحذيرهم من الغرامة التي قد تصل في بعض الأوقات إلى ما يضاهي ثمن الكتاب المستعار بل وحرمان الاستعارة والوضع على القائمة السوداء، راحت ترتشف آخر قطرات داخل كوب النسكافية البارد ولكنها وجدت الكوب فارغ تمام، فنادت عبر الإنتركم على ريهام التي كانت قد عادت منذ مدة وطلبت منها كوب أخر من النسكافيه، وتوجهت إلى ركن الروايات وأمسكت برواية ذهب مع الريح Gone with the wind.

_وهي رواية أمريكية من تأليف الكاتبة مارغريت ميتشل، تدور أحداث الرواية حول فتاة عاشت قصة حب قديمة دمرت حياتها فأصبح لديها رغبة بالإنتقام، فيقع في حبها رجل آخر فكانت في البداية تبادله الكراهية والإنتقام إلا أنها تقع في حبه في النهاية، كانت حنين تعشق الروايات ذات اللون العاطفي الخيالي الصارخ، ولم تختار هذه الرواية لأنها مترجمة إلى العربية حيث أنها تجيد لغتين غير العربية وتتحدث بهما بطلاقة ولكن الحقيقة اسم الرواية كان قد لمس أحلامها وهي تطير أيضا مع الريح.

فحنين لم يكن يدور بخيالها أبدًا أنها ستعود للعمل بعد الزواج حيث مشاغل الحب الكثيرة التي لا تسمح للإنسان حتى بالتقاط أنفاسه في هدوء، لم تكن تدري أنها ستعود وبتلك السرعة وليس بسبب العائد المادي ولكنها رجعت لتجد جزء مفقود من روحها تناثر بين أرفف الكتب وأروقة السطور رجعت إلى نقطة ما قبل

البداية حيث مكان تأملها الهادىء حينما كانت لا تزال بمشاعر يقظة، كانت تظن أن يقظة مشاعرها ذبلت إلى حد الخفوت أو إلى حد اللامبالاة فعندما كانت تتناثر أحلامها أمام أقدامها وهي تمر في الطريق الموصل للعمل كانت تتقاذفها بأقدامها غير عابئة بما انكفىء على وجهه من تلك الأحلام ولا بما كسر رأسه أو ارتطم بحائط أو كاوتش سيارة، وما قيمة الأحلام إن ظلت أحلام لا تخرج أبدًا إلى الواقع لنحيها ونعيش بها ؟!

بل وما قيمة الدنيا بغير رجل يعرف معنى الاحتواء بكل تفاصيله الكثيرة الطويلة المعقدة، فالاحتواء ليس هو مجرد هذا الحضن الدافىء بل إنه يمتد إلى تلك الأنفاس المحملة بالروح المتراقصة بين شفتين، هو تلك النظرة التي تبث لك الثقة فيما تقول وتفعل، هو تلك اليد التي تنتشلك من بين الهموم عنوة عنك ... هو ذلك المديح الناعم، الاحتواء الذي يجعلك تشعري بالبرد كلما ابتعدتي عن ذلك الرجل تشعري كأنك عارية وسط الصحراء.

ولأن حنين كانت تعي جيدًا معنى الاحتواء انضمت إلى منظومة الأشقياء بعلمهم، فلم يعد ينطلي عليها محاولات الاحتواء الزائفة ولم تعد تشبعها ولم تعد تغريها، فهي تبحث عن ما هو أقوى من صوت جاف عبر الهاتف يأتي ليسألها عن أخبارها وأحوالها، بل أقوى من تلك الأنفاس الباهتة اللاهثة في العلاقة الحميمة، وأقوى أيضًا من كل هذه الخروجات والفسح التي يفصل فيها المكان والأشخاص بين أرواحهم التعيسة التي تجلس متقاربة متشاكسة على طاولة واحدة.

الغريب أن كل هذا لم يجعل حنين تفهم أنها لم تخلق لكل الرجال بل إنها ولسوء طالعها لا تصلح إلا مع ذلك النوع الخاص من الرجال المتذوقة، فلم تكن هي تلك الطبخة السوتيه التي تُأكل ولا تُستطعم أو تُقرأ ولا تُفهم بل كانت هي المرأة الشيكولاتة التي لا تمضغ ولكن تمُتص أجزائها على مهل وتروي.... تُراقب ذوبانها بدقة....تستمتع برقة ملمسها في فمك ونعومة أظافرها في ظهرك.... فالمرأة الشيكولاته عندها قدرة خارقة إن صبرت لها أن تنثني معك حتى تُكون لك دائرة مغلقة بحيث تكون إنت داخلها، بل ومن فرط مرونتها وروعة رونقها ترتسم أمامك بأشكالها المتعددة لتخرج عن حدود لونيها المعتاد، فتارة تتشكل فراشة بلون الذهب .... وشجرة بلون الربيع ... وبحراً هائجًا بلون ليس كهذا الأزرق القاتم الباهت.

المرأة الشيكولاتة تستطيع بسهولة أن ترى فيها ذلك اللون الأحمر المتراكب عند الشفق، وحينما تستدير لك كهيئة القمر فلك أن تُهنئ نفسك بخير ليلة ثائرة، ولما لم تقابل حنين في حياتها هذا الطراز من الرجال المتذوقة كان لها عذراً أن تعيش عادية تحت رجل عادي، وكان لها عذراً أيضًا أن تتقاذف أحلامها بقدميها كلما تساقطت من خيالها لتتراقص أمامها في محاولة بائسة لاستفزاز روح المثابرة والجلد فيها، ذلك لأنها لم تهدىء يومًا، ولم تفتر محاولاتها البائسة أيضًا ولم تكن تحتاج لتلك الخيالات المضللة لتدفعها نحو تحقيق ما تصبو إليه بل كان يدفعها عقد خطته بيمينها تتعهد فيه بالأسر في زنزانة رجل عادي فهي ككل النساء تقدس عقد الزوجية الذي كتب بأمان الله ولكنها تفارقهم في عدم الرضا بالنهايات البائسة، وبرغم أنها أجبن من أن تهب لتقضي على هذه النهاية التي لا تروق لها - فتفصم عرى الزوجية- إلا أنها أيضًا لا تهدىء ولا تمل وكثيراً ما تتقد ثورتها في محاولاتها الفاشلة نحو الكمال مع زوجها.

فهي لا تعلم أنه أيضًا يعاني كما تعاني أو أكثر، فما معنى أن تعطي رجل جائع كتاباً يتحدث عن أشهي المأكولات ؟! بالطبع لا يعني شيء وكذلك لم يكن يعني له شيء تلك الشموع التي تضيئها أو الورود التي تنثرها في أرضية

الحمام كلما اشتاقت، ثم ما معنى رائحة الياسمين ؟!! وهل من المفترض كلما اشتاقت زوجة لزوجها أن تنفق مثل هذه النقود وتتكلف مثل هذا التكلف المعقد ؟! وهل يغفر لها تكلفها أن تركت ظهر طارق عاريًا!!!

يا لها من امرأة تافهة حتى وإن كانت بطعم الشيكولاتة، فالحقيقة أثبتت متضامنة مع الواقع أن زوجها ليس من عشاق الشيكولاتة بل إنه يفتخر بذلك ويجد متعة صارخة في النيل من هؤلاء الذين اسلموا أذانهم لإعلانات الشركات الكبرى التي تبث الأكاذيب عن فوائد ومتعة الشيكولاتة، لم يكن يدري ذلك المسكين انه على موعد مع قدر يحمله على ظهر مركب صنع للتو من أفخر أنواع.....الشيكولاتة، ليجعل بعد ذلك مرساه... أرض الشيكولاتة.

كان أيضًا لا يشعر بالراحة فقد تعود منذ أن كان في بيت والدته على أن ترعاه المرأة بشكل خاص شكل يذكرنا بمعاني الكفاح والبؤس، حيث أن والده كان توفي صغيرًا وتولت الحاجة نور تربيته هو وإخوته الصغار، فكانت تعمل في المحاماة صباحًا في شركة لتجارة الزيوت وتراعي أبنائها فور عودتها من العمل، وعندما تكافح المرأة فإنها تعمل بقلب المرأة الذي لا يرضى ولا يتغاضى عن الأشياء البسيطة أو التافهة. فالنساء يجدن التفاني في العمل فقد كانت هذه المرأة مثال لشعلة النشاط المتحرك، لم يكن للحب مجالًا في حياتها فقد قامت حياتها مع زوجها على تربية الأطفال والكفاح نهارًا في العمل كأغلب الزيجات بل إنها لم تكن ترى في أبيه إنه رجل بمعنى الكلمة فتولت هي متطوعة دور الرجل بحكمته وسيطرته حتى على أدق التفاصيل، فلم يكن المهندس يحيى يقطع أمر دون مشورتها أو بالأحرى دون إذنها، لذلك لما مات لم تفتقد عائل الأسرة بل إنها افتقدت إحدى أبنائها أو ربما بناتها !!! وعلى كل فقد نشأ في بيت تحكمه امرأة وتسيطر على أركانه، فقد كان يرى فيها من العزم وقوة الشكيمة ما جعله يشعر بأنوثته !!!

تمامًا كوالده تلك الأنثى المتنكرة في ثياب رجل، فلما كبر لم تكن السيدة نور قد لقنته أبجديات الحب الزوجي ولكن اكتفت بما تلقفه هو بفطنته من الحب العفوي الذي يكون بين الأبناء وأمهاتهم فلما كبر كان منتهى أمله أن يجد امرأة كأمه تستطيع أن تكفل له من الحماية ما يكفله الرجال لزوجاتهم !!، كان يتمنى لو يجد تلك المرأة التي تجعل منه أميرة على عرش البيت !!! ولسوء حظه لم تكن حنين تجيد مثل هذه المشاعر المخنثة، فكأنهم بدل أن يكمل بعضهم بعضًا راحوا يبحثون عن هدف واحد.....معنى واحد .... لم يتجسد لهم على حقيقته ولكنه ظل مسخ مشوه في عقولهم .... كانوا يبحثون عن ..... رجل .

كان عمليًا كأمه تمامًا لا وقت عنده للمشاعر التي يراها سخيفة بل كان يرى أن الحياة هي عمل وفسحة، العمل لجلب مزيد من النقود والفسحة حق أصدقائه عليه وكان يرى أن خاتمًا ذهبيًا يصنع ما لا تصنع ألاف الكلمات الرقيقة أو أن عزومة للزوجة في مطعم فاخر تزن أو تزيد عن ألف قبلة حانية لها في أوقات تعاستها، انفصام شديد بين الروح والجسد في شخصيته ولكنهم يحيون داخله جنبًا إلى جنب في تناغم لولا منغصات حنين التي تعزف بصخب وسط هذا الهدوء والعزلة، فإن كانت هي غير سعيدة وتضن عليه بالسعادة في صورتها البسيطة فهو أيضًا غير سعيد ولكنه لم يكن يملك ما يضن به عليها .

*****

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ازيك يا وحيد إنت لسه ما روحتش ؟

- جاءه صوت غريب : أستاذ سامي معايا ؟

- فقال مندهشًا: أيوه سامي مين معايا؟؟

- صاحب التليفون ده عمل حادثة بسيطة وهو في المستشفى دلوقتي، هو كويس مفيهوش حاجة بس يا ريت حضرتك تيجى على المستشفي ببطاقتك ومبلغ خمس ألاف جنيه.

- قال مفزوعًا وقد انفجرت عيونه بالدموع : طمني وحيد ماله مكلمنيش هو ليه ؟

- هو بخير يا حاج مفيش حاجة بس مع الدكاترة بيربطوا إيده علشان فيها جرح بسيط.

- هات عنوان المستشفى.

- مستشفى الرحمة المهداة قصر النيل !!

- أنا جاي فورًا.

مر الوقت سريعًا حتى دخل سامي مندفعًا إلى المستشفي يحمل في جيبه مبلغ ثلاثة ألاف جنيه لم يجد غيرها في البيت في تلك الساعة المتأخرة، وتوجه إلى الاستعلامات التي أخبرته بأن وحيد يرقد في داخل العناية المركزة وأبلغوه بالمبلغ المطلوب تحت العجز والزيادة، ولم يكن أمام موظفي الرحمة المهداة غير أن يقبلوا مبلغ الثلاثة ألاف واسم الدكتورة منال كرصيد في حسابه ليتم الخصم منهم والتسوية .

لما انشغل وحيد بقذائف أفكاره التي لم تقتنع أن تهديء وتتركه حتى يعود لمنزله فلت منه زمام قيادة سيارته التي راحت تقطع الطريق في سرعة جنونية لتعبر إلى الجهة الأخرى لتصطدم في النهاية بإحدى الأعمدة الحديدية والتي كادت تشقها نصفين، ولولا العناية الإلهيه ما كان يصلح أن يكون لوحيد ذكر بعدها ولكنه الآن قابع في غرفة في المستشفى بعد إجراء عدة عمليات جراحية نظرًا للكسور التي ملأت جسده.

وكما يقال رب ضرة نافعة فقد اكتشف الأطباء داخل هذه المستشفى أن وحيد بعيدًا عن كسوره وجروحه مصاب بمرض نادر، وعندما اخبروا والده سامي بعواقب هذا المرض وتبعاته لم يجد شيء إلا البكاء عله يغسل ما في قلبه من أحزان على ولده الوحيد الذي كان من ساعات قريبة مليء السمع والبصر وهو الآن يرقد في غرفة تحوطه الكسور والآلام وذلك المرض النادر، ولكن ما كان سبب في طمإنته هي الدكتورة منال التي قالت أن المواظبة على نوع معين من الأدوية الكورتزونية سيكون علاج ناجع وفعال في مثل حالته وسيجنبه تلك الآثار الوخيمة لذلك المرض.

كان يمكن لنفس سامي أن ترتاح لولا رؤيته لوحيد وقد تعصب رأسه بشاش أبيض ولف أغلب جسمه بما يشبه الكفن وكأنه ينتظر الدفن .

- اطمئن يا أستاذ سامي ابنك هيكون بخير بإذن الله الدكتورة منال بذلت أقصى ما في وسعها متقلقش ولكنه محتاج يفضل شوية في المستشفي لحد مايتحسن وحالته تستقر .

- ماشي، إمتى أقدر أتكلم معاه ؟

- يومين بإذن الله.

- يا الله يومين ؟!!

- يا أستاذ سامي ابنك كان بين الحياة والموت ودلوقتي بفضل الله قام ولكن لازم يفضل تحت الملاحظة، متخافش هيكون بخير .

ثم انصرف الدكتور تاركًا وراءه قلبًا يتألم وتلعب به الظنون، فوحيد لا يعني لسامي ابنًا فقط ولكنه ابنه وأبيه وأخيه وصديقه وحبيبه، علاقة يصعب فهمها أو استنساخها .

*****

- السلام عليكم ازيك يا حاج أشرف.

- ازيك يا أستاذة حنين أخبارك أيه ؟

- الحمد لله ازيك يا ياسر.

- الحمد لله، أنتِ خلاص رجعتِ المكتبة تاني ؟

- أه خلاص أنا اللي هبقى موجودة الفترة الصباحية.

- نورتي الدنيا والله يا أستاذة حنين، طيب أنا كنت جاي استعير كتاب.

- اتفضل هات الكتاب اللي إنت محتاجه علشان أسجل اسمك في الاستعارات.

- حاضر، هو وحيد مجاش النهارده ؟

- وحيد مين ؟

- لأ يا ياسر مجاش أخر مرة جالي هو ووالده راجل محترم زيك كده.

- بتصل بيه تليفونه مقفول على طول، لو عدي عليك ابقى خليه يكلمني.

- حاضر.

*****

- أنتِ مين ؟ ولابسة كده ليه ؟

- مش عارفني يا وحيد ؟ أنا حبيبتك.

- حبيبتي مين ؟ هو أنا فين أصلًا ؟

- إنت مع حبيبتك، في حضنها.

اخذ ينظر في ذلك الوجه الملائكي الأخاذ وينظر إلى البحر وكأنه يتفقد شيء ما، شيء مشترك بين تلك العيون وتلك الموجة، حتى انطلقت تجرى من بين يديه على الرمال فتبعها وهي تجرى بخفة ورشاقة فوق المياه المتلألئة حتى أمسك بها، ضمها وحيد إليه ضمة قوية وراح يمطرها بقبلات السعادة، عبير رائحة الياسمين يفوح من حولهم وكأن البحر المالح صار حديقة غناء .

- وحشتيني وحشتيني قوي، كنتي فين طول الفترة دي؟ أنا تعبت قوي من غيرك.

- موجودة يا حبيبي بس إنت اللي نسيتني، مش إنت الراجل يبقى المفروض إنت اللي تدور على حبيبتك، بس لما اتأخرت عليّ بصراحة مقدرتش اصبر وجتلك على طول، وحشتني قوي يا وحيد.

-أمسك وحيد يدها بقوه وهو يقول: قوليلي إنك مش هتختفي تاني... قوليلي إن احنا هنكمل بقية حياتنا مع بعض.

- وضعت يدها على فمه تسكته.

- حبيبتي أنا حاسس إني تايه من غيرك، أنا حاسس إني بحلم.

- فنظرت له في شفقة : أنا كمان يا حبيبي حاسة إني بحلم.

ا نسابت مرة أخرى من بين يديه ولكن هذه المرة إلى القاع إلى حيث اللؤلؤ والأصداف، غاصت بعيدًا جدًا لمسافة تساوي تقريبًا ما أمضاه من عمره وحيدًا، أسرع خلفها نحو القاع محاولًا العثور عليها وهو يصرخ داخل الماء: متسبنيش ... أنتِ وعدتيني.. أنتِ وعدتيني نبقى مع بعض وظل يصرخ حتى استفاق من إغماءته، كان متهيج إلى حد بعيد غير أن آلامه أقعدته سريعًا في مكانه، كان ينظر حوله في استغراب شديد مندهشًا من صوت هذه الصافره المنتظمة الذي ينبعث من مكان ما بالغرفة، دخل والده وأحد الأطباء الذين جاءوا على صوت صرخاته .

- وحيد حبيبي ألف سلامة عليك.

- لو سمحت يا أستاذ سامي استنى بره مينفعش تكون واقف هنا.

- أنا بس هطمن عليه واخرج على طول.

- اطمن احنا كلنا هنا معاه وسهرانين علشان ناخد بالنا منه اتفضل من فضلك.

- حاضر.

خرج سامي وهو يجر أقدامه كأسير حرب قد أخذ للتو الى المقصلة، نظرات وحيد المندهشة التي عبرت له من بين الشاش الأبيض كانت كفيلة لتنفذ أخر قطرات صبره، ولكن بماذا يفيد أن يكون بجواره ويعيق هؤلاء الأطباء المتفانون في خدمته ؟!

- اطمئن يا أستاذ وحيد إنت بخير، إنت عملت حادثة بسيطة بعربيتك، وإنت دلوقتي في المستشفى وكام يوم وهتروح على طول، عاوزك تساعدني علشان متطولش في المستشفى، إنت سامعني كويس ؟

- نظر وحيد في شرود محاولًا أن يستجمع أفكاره : أه سامعك.

- النظر أخباره أيه شايفني كويس ؟

- أه شايفك كويس.

- عاوزك متجهدش نفسك خالص أنا حطيتلك مهديء في الكالونة وهتنام دلوقتي أتمنى تلتزم بالتعليمات لو عاوز تروح.

- حاضر، واستسلم وحيد للنوم مرة أخرى راجيًا أن يلتقي بهذه المرجانة الغارقة

*****

((إن أشلي لم يوجد قط إلا في مخيلتي، لقد أحببت شيئًا أنا ابتدعته، شيئًا ميتًا مثل ميهي تمام، لقد صنعت بذلة جميلة من القماش ووقعت في حبها، لم أتمكن أبدًا من رؤيته على حقيقته، لقد ظللت أعشق تلك البدلة الجميلة، ولم أحبه هو أبدًا)) صـــ٢٩٤

أغلقت حنين الرواية التي ألهبتها في الكثير من مواقفها، فهذه الكلمات تذكرها ببداية تعارفها على زوجها حين كانت تحاول أن تخفي عن نفسها أمورًا كثيرة، كانت مشتاقة للحب وتنتظره في كل ساعة، فلما رأت زوجها بواجهته الاجتماعية كان من السهل أن تقنع نفسها أنها أحبته، فالنساء غالبًا تحب ذلك الرجل الجاهز الذي لا يضيع من وقتها وعمرها الكثير، ورغم أنها كانت تنظر إلى المادة بشكل عالي من الاحترام والتقدير إلا أنها لم تنسى قلبها يومًا، كانت الميعادلة غير مفهومة، هل لابد أن يعتري النقص كل شيء ؟!

فزوجها لم يكن في أيام الخطوبة ذلك السمج المتحجر بل استطاع أن يحيط نفسه بهالة من الأضواء في وقت كانت تنتظر فيه من يربت على قلبها ويعطيه قبلة الحياة، كان حينها يحاول أن يصغي إليها كثيراً بل وكان مهتم بزيارة صديقه سيف الذي كان يلقنه تلك الكلمات الدافئة التي كان يمدح بها مشاعرها عند اللقاء، فهداياه الثمينة كانت تدل على ذوق راقي استطاع زوجها أن يختار صاحبه بعناية، كم تحب حنين الهدايا الثمينة والثياب الفاخرة والتي استطاع أن يشبع نهمها من الكثير منها في فترة خطوبته.

كانت كلمات مارغريت تاتشر أثارت داخل عقلها نوبات من الصراع الذي احتد عندما استسلمت له وطاوعته فرجعت بذاكرتها إلى تلك الأيام التي كانت تزين لنفسها فيها زوجها في أكثر أوقات حماقته، كانت مشغولة في استخلاص نظرية مفادها " لا تكن أول من يخدع نفسه " هي حقًا ظلت تعشق تلك البدلة الجميلة التي صنعتها هي من القماش، ولم تحبه هو أبدًا، استفاقت من خيالها على موعد الانصراف فراحت مسرعة إلى حضانة أبنائها وكم ساءها منظرهم المتسخ من جراء اللعب مع الأطفال، وفي الليل جلست إليهم ونظرت إلى طارق الذي تنتظر أن تراه رجلًا في وقت قريب فيعوضها عن الشريك الضائع واهيس الذي لم تجده، وبعد أن أجلستهم كلًا في سريره قصت عليهم هذه الحدوتة التي صاغتها نهارًا في المكتبة لترويها لهم في الليل...

"يُحكى أن رجلًا عاش وحيدًا وتراه وتحسبه ثريًا بالأصدقاء، ولكنه ظل بعالمه الخاص وحيدًا لم يجد من هي منه مثله مثل وحيد القرن، ناصع البياض شديد القوة والتحمل ولكنه فريد وإن قلنا وحيد، ظل حياته مغلق عينه يتخيل من خلقت له ولكنه لم يجدها، طرق كل الأبواب وكانت فارغة فما كان منه إلا الاستسلام، ولكن جزء من قلبه ظل يحدثه عنها عن وجودها بمكان ما، ولكنه ظن أنها خرافة أو درب من الجنون، راح يقتل كل ما هو جميل فيه وحاول مرارًا نزع قرنه الذي يميزه عن غيره ليكون مثلهم ويعيش معهم، وأثناء محاولاته البائسة وجد وحيدة القرن... شاردة.. مشتته.. تعلم جيدًا إنها وحيدة مثله تمامًا، رآها ويالها من مصادفة، خفق قلبه فأحست به ونظرت ولمعت عيناها فلم تصدق، راح يداعب أنوثتها ويدغدغ قلبها بأنامل من حرير .

- زوجها ضاحكًا بسخرية: أنتِ فاكرة إنهم هيفهموا اللي أنتِ بتقوليه ده ؟!!

نظرت له شذرًا فكثيراً ما بعثر أحلام خيالها المتراصة.

- ملكش دعوة أه هيفهموا.

- طيب ربنا يكملك بعقلك.

- ماشي.

*****

السمة الوحيدة المشتركة بين وحيد وزوجته هو أنهم دائمًا ما يأتون متأخرين، فقد جاءت زوجته هي وأمه ألفت إلى المستشفى بعد أن أحضروا بعض العصائر ودخلوا إلى المستشفى، وبعد حوار سريع مع موظف الاستعلام علموا منه أن وحيد يجلس في غرفة رقم ٢٣ في الدور الخامس وليس معه سوى أبيه سامي وبضع من الآلام وكسور، دخلت زوجته تسبق أمه، كانت تحاول أن تريه إنها مهتمة به وإنها متألمة لما حدث له ولكن ما زرعته في سنوات عديدة من الإهمال واللامبالاة كان قد شكل حاجزًا نفسيًا لا تنفذ منه حتى أصدق المشاعر، كان ينظر لها كمن يشاهد فيلم هزلي لا يعجبه وينوي مسبقًا ألا يتأثر بنهايته المأساوية لعلمه إنه في النهاية مجرد فيلم وهؤلاء الممثلون يعرفهم جيدًا من سنين وقبل أن يقوموا بهذه الأدوار، دخلت إليه ودمعة تترقرق في عيونها :

- حبيبي عامل أيه، ازاي يا عمو سامي متقوليش من ساعة ماعرفت؟!

- معلش يا بنتي والله اتلخمت، وحيد خضنا عليه بس الحمد لله أهو بقى زي الفل.

- ازيك يا وحيد عامل أيه يا حبيبي النهارده، مرضتش أجيلك امبارح أبوك قالي إنهم مش هيدخلوني.

- الحمد لله يا ماما أنا بخير، جاءت كلمات وحيد متقطعة وضعيفة..

- يا سامي حد جابله أكل وألا لسه ؟

- جابوا كل حاجة يا ألفت اقعدي استريحي.

- أنا جيبالك عصير يا وحيد.

- الدكتور قالي يشرب عصاير كتير.

كان وحيد شارد يحاول أن يتذكر الحادث كيف حصل وكيف جيء به إلى هنا؟، كم كان يسوءه أن تراه زوجته في هذا الوضع، فكثيراً ما خبأ عنها ضعفه ولحظات انهياره، كان يرى أن مثل تلك المرأة لا يصح أن يبكي بين يديها رجل وليس من حقها أن ترى ضعفه، فهي إحدى أركان هذا الضعف ربما بقوتها المصطنعة وبرودها المعهود أو لامبالاتها المحفوظة، يتذكر كلام الطبيب لوالده عن ضرورة عدم انفعاله وإنه لابد أن يستسلم للراحة وكان يسأل نفسه كيف لا أ نفعل وفي محيط الغرفة هذه المرأة التي تشبع كل مشاعري وجعًا ؟!!

قطعت ألفت عليه شروده :

- خد يا حبيبي اشرب العصير.

أخذه وحيد في شرود ونادي على زوجته فاقتربت منه، قال لها :

- فين العيال ؟

- ودتهم عند ماما وبعدين جتلك، والله العظيم أنا لسه عارفة حتى مامتك مكنتش عاوزة تخضني.

- طيب مينفعش تسيبي الأولاد لوحدهم .

- بدأت ترتسم على وجهها ملامح التذمر : يعني أيه ؟

- يعني متتعبيش نفسك وتيجى كل يوم اهتمي بالأولاد أنا هنا المستشفى مقدمالي كل حاجة.

- أه يعني مش عاوزني اجي تاني حاضر، قالتها بانفعال..

- هو أنتِ جاية تتخانقي معايا وأنا مكسر كده ؟

- أنا مش بتخانق ... بس يعني أيه مش عاوزني اجي ؟!

أهمل وحيد كلامها وراح يكلم أمه :

- اتخضيتي عليّ معلش يا حبيبتي.

- ده التليفون جالنا بالليل مبقناش عارفين نعمل أيه ولا نروح فين، الحمد لله يا حبيبي إنك بخير.

- أنا بخير متقلقيش، ومتصدقيش الكلام ده كله، الشاش والحاجات دي مكياج تحبي أفكه وأوريكي؟؟ قالها مازحًا:

- لأ يا حبيبي مصدقاك وأخذ الجميع في الضحك إلا زوجته التي كانت تنظر بحنق لكل شيء حولها كمن يبحث عن شيء لا يعرفه .

- بقولك يا بابا هما قالوا إني هفضل هنا قد أيه ؟

- مش كتير يا وحيد متقلقش وبعدين إنت مستعجل على أيه، زهقت من المستشفى قوام كده، ثم همس في أذنه قائلًا : إنت مشفتش الممرضات يا ابني والا أيه ؟!

- فضحك وحيد حتى تألمت أركانه : آه يعني مطول شوية كده ؟

- لأ مش مطول ولا حاجة وأنا هاجي اقعد معاك كل يوم متقلقش.

- فنظر إليه وحيد ماكرًا : لا يا حاج متتعبش نفسك ممكن تبعت ماما وتخليك إنت أنا خايف على تعبك.

- فضحك سامي : ليه كده بس أنا ممكن اطفشهملك.

- فدخلت أمه في الحوار الذي لا تفهم أبعاده : تطفش مين ؟

- العيانين أكيد يا ماما يعنى هيطفش مين ؟

كادت أن تكون الزيارة أشبه بجلسة عائلية منزلية فقد استطاع صانع البسمة أن يداري آلامه بجدارة أشعرتهم أنه يستطيع أن يفك أربطته ويغادر معهم إن شاءوا ولكن كانت آلام وحيد أقسى من أن يعود لبيته قبل عدة أشهر على أقل تقدير .

- عاوزك يا سامي تعدي على المكتبة إياها وتخطفلي كام كتاب كده من اللي قلبك يحبهم.

- كام كتاب !!!! طب قول كتاب.

- لأ يا سامي الوقت هنا هيبقى طويل وممل وخصوصًا بالليل.

- يا أخي مين قالك إنه هيبقى ممل مش قلتلك بقى وألا بتنسى..

- على فكرة يا سامي في استعارة متقلقش مش هتدفع كتير.

- شوف أقوله أيه يقولي أيه، طيب يا سيدي هروح واجبلك المكتبة كلها ارتحت.

- أه ... الله يريحك.

- تقرأ أيه يا ابني وإنت مدغدغ كده، إنت تنام وترتاح علشان ربنا يكرمك وتقوم على طول.

- مدغدغ أيه بس يا ماما ماقولتلك مكياج وبعدين ارتاح ازاي بس هو وحيد مكتوب له راحة ؟!

- بكرة بإذن الله تقوم بالسلامة بس لازم متجهدش نفسك.

- حاضر مش هجهد نفسي، يا سامي زي ما اتفقنا.

فنظر إليه أبيه مطمئنًا، في هذه اللحظات كان الأستاذ إبراهيم أبو راية وباقي موظفي القسم قد حضروا للاطمئنان عليه بعد أن علموا بما حدث فدخل الأستاذ أبو راية والباقي يتبعه.

- السلام عليكم بسم الله ما شاء الله أيه يا عم الحلاوة دي أمال خضتنا عليك ليه؟

- ازيك يا أستاذ أبو راية، دي حلاوتك إنت تعالى اطلع ريح جنبي على السرير.

- سرير أيه ده أنت اللي هتقوم تروح معانا.

- كنت فاكرني هموت واسيبك يا أبو راية طايح في المكتب والدنيا كده؟؟ أنا قاعدلك مش هسيبك.

ضحك الجميع باستثناء زوجته التي انزوت مختفية في ركن الغرفة كعادتها تاركة مسرح الأحداث لأي أحد غيرها متفحصة تلك الشابة ضحى التي يظهر عليها وبشدة علامات التأثر، كانت تدور الظنون برأسها لماذا كل هذا التأثر وهذه المبالغة أو كما يسميها النساء-سهوكة- ربما تحبه وتريد أن ترسل له رسالة تتسلل إليه من بين الحاضرين مفادها أنا أكثر الناس خوفًا عليك أو ربما تزوجها بالسر فجاءت كما جئت لتؤدي دورًا قد تدربت عليه طوا ل الليلة الماضية، هواجس وظنون كثيرة كانت تضرب رأسها جعلتها تنظر إلى هذه البنت شذرًا من غير داعي.

- قالت ضحى : ازيك يا أستاذ وحيد المكتب وحش جدًا من غيرك والله.

وهنا هبت زوجته واقفة بمنتهى الحماقة وشقت طريقها إلى الباب من بين الحاضرين ولما قابلت ألفت في طريقها أمسكت بها وقالت :

- تعالي يا ماما عاوزاكي بره.

لم يلتفت أحد لموقفها بل لم يشعروا أن قيامها كان بشكل مستفز، إلا وحيد الذي ينظر ويراقب كل من بالغرفة كعدسة الكاميرا التي تصور كل الأحداث كبيرها وصغيرها لتفريغها في وقت ما .

- بقولك أيه يا ماما مش هنمشي بقى ؟ الغرفة اتزحمت قوي.

- طيب يا حبيبتي استني أقول لعمك سامي.

- أنتِ عارفة إن وحيد مش عاوزني اجي تاني ؟!

- أنتِ عارفة وحيد، ولو جيتي للحق هو وجودنا فعلًا ملهوش لازمة، المستشفى هنا كويسة جدًا.

- يعني أنتِ مش هتيجي تاني ؟

- لأ أكيد هاجي لإن شكله مطول نبقى نجيله أنا وأنتِ مع بعض، هو قالك متجيش ليه ؟

- بيقولي علشان الأولاد.

- معلش لو عدينا كام يوم وجينا مش هيحصل حاجة.

- ماشي.

دخلت ألفت إلى الغرفة ومعها زوجته ليخبروه بانصرافهم، كان وحيد يتكلم حينها:

- يا أستاذ إبراهيم عملت أيه في الأجازة ؟

- مش عاوزك تقلق ولا تفكر في أي حاجة أنا عملت اللازم ارتاح إنت بس ومترهقش نفسك وبإذن الله أنا هاجي أزورك من وقت للتاني.

- مش لازم تتعب نفسك.

- مفيش تعب إنت زي ابني يا وحيد.

وبعد فترة انصرف الجميع إلا والده الذي ظل معه حتى الساعة التاسعة مساءاَ كانوا يتحدثون عن ماجرى كيف جرى؟ يتجاذبون أطراف أحاديث مختلفة كعادتهم حين ينفرد أحدهم بالأخر، كان مايطمئن وحيد أن ذراعه اليمنى يمكنه أن يحركها ويتناول بها الأشياء فشعور العجز شعور قاتل لا يعرفه إلا من جربه.

*****

جلس وهو ينظر لإبنه طارق الذي يحبه أكثر من الدنيا، فطارق هو ثمرة كفاح أكثر من عملية جراحية، فمنذ فشله منذ اللحظات الأولى في إتمام العلاقة الزوجية لم يهدىء ولم تهدىء نفسه، ورغم إنه لم تجدي كثرة العمليات على أن تبعث الروح في ذلك النائم، إلا أن العملية الأخيرة استطاعت أن تنجب له ابنًا يحمل اسمه كما كانت تريد والدته وتعلمه منذ الصغر أن عليه أن ينجب ولد يحمل اسمه، ولكن رغم وجود الولد يظل شيء ناقص، شيء لا يمكن أن يوصف فكل من حاولوا وصف المشاعر والأحاسيس فشلوا أيما فشل.

فكثيراً من الكلمات لا توفي معنى لنبضة منزوية في قلب ما، كان ينظر لطارق نظرات حانية كم كان يشفق على ذلك الطفل الذي أجبرته أمه مع أخته للنزول إلى العمل في سن مبكرة، فالحضانة لا تعوض أم أبدًا، بل هي بديل غير شرعي لها، يخلق في نفس الطفل من الجفاف ما لا يصنعه انقطاع المطر من السماء لسنوات عديدة، فما معنى أن يُلقى بطفل لا يعرف كيف ينطق حروفه الأولى بين يدي مربية تحتاج لمن يربيها بل ويختبرها نفسيًا، وكيف تصلح هذه لأن تكون أم بديلة ؟!

الأم ذلك النبع المتدفق بلا انقطاع تلك الروح المربوطة من قلبها، ذلك الشلال من العطاء الذي ينهمر عليك في كل وقت ودون أن تطلبه، ولكل من يتعجب عليه أن يسأل وحيد ذلك الرجل الثلاثيني صاحب الأطفال الثلاثة، هل وجدت نفسك بين أحضان امرأة منذ فقدت أمك ؟

ولكن كم أصلح العمل من حنين فلم تعد كثيرة التحدث كسابق عهدها لم تعد كثيرة الإلحاح بل صارت منشغلة إلى حد كبير فلم تعد تضايق زوجها بكثرة كلامها وحديثها المتلاحق بل إنهم عندما يخرجون للتنزه كانت تحضر معها رواية جديدة وتظل تقرأها غير شاعرة بكل ما يحيط بها مما كان يسكن نفس زوجها ويشعره بالرضى!!

حنين امرأة حساسة والحساس سيء الظن، فحساسيتها الزائدة كانت تجعلها ترى البعيد قريب والصغير كبير لذلك كان سهلًا يسير أن تكسرها بكلمات بسيطة وبغير معركة تذكر، فروعة الكلمات تؤلمها بسعيدها وحزينها كأنها امرأة خلقت للعذاب!

كان سامي قد اعتاد أن يذهب لها كل يوم في فترة الظهيرة ليحضر كتب على سبيل الاستعارة لذلك الوحيد في المستشفى إلا من ألامه، في البداية كانت تظن أن سامي هو الذي يقرأ ولكن لما تطورت العلاقة علمت منه أنه يأخذ الكتب لابنه وحيد فكانت ترشح له الكتب والروايات في أوقات كثيرة، وكم كان عندها من نهم وتشوق لأن

تناقش هذه الروايات التي رشحتها له، ولكن لم يكن يستطيع حامل الكتب أن يشفي غليلها فتصل لمرادها ومبتغاها، وحيد يسهر طوال الليل يطالع الكتب ويدون وكأنه جالس في مكتبه بمنزله حتى إذا جاءت تباشير الفجر الأولى استسلم لنوم عميق يروح فيه إلى أبطال القصص والروايات منتقدًا ومعاتبًا.

الليل في حياة وحيد يعني الكثير يعني الوحدة التي لازمها طوال حياته فالليل بهدءوه وصمته يترك مساحة واسعة لتسمع معزوفات ألامك وهي تعزف لك في تناغم بديع مقطوعة ضوء القمر الحزينة لبيتهوفن، لا يرى الناس الليل كما يراه أصحاب الفراق فهو يعني لأصحاب الفراق خروج الروح من الجسد، الارتفاع عن المكان والزمان، البحث بحرية في وجوه الناس بحثًا عن من فارقه، والفراق ليس فراق الأشخاص فحسب بل إن فراق اللحظات السعيدة أقوى كثيرة على النفس من مفارقة الأشخاص والأماكن ولكن من منا يعلم ما هي السعادة وأين تنتظره ؟!

فهناك من يرى السعادة في نظرات بريئة أو كلمات تائهة في لقاء منتظر، وهناك من يراها في بيت صغير على حافة الجبل إذا نظرت منه رأيت كل ما في الكون أقزام، ولكن وحيد كان يعتقد بشدة أن السعادة امرأة بل الدنيا بأثرها امرأة، لم يكن يبحث عنها بين السطور ولكن كان يقضي الليل ينتحب على الورق لعدم وجودها فقد كان يقول لنفسه إنك تحب امرأة لم تخلق بعد فكيف تقابلها ؟!

عندما كان يتذكر كل النساء الذين عرفهم في حياته كان يسقط من عقله زوجته فلم يكن يسعده اجترارها من الذاكرة فقد كانت ذكراها محفوفة بالعذاب، فكيف لإنسان أن يختار امرأة خارج نطاق رؤيته لتكمل معه مشوار حياته ؟!

فحياته تشبه الموت الذي يأتي ليطبق الصمت على كل شيء، لا يعلم لما كانت تهرب عيونه لا إراديًا من النظر إليها ولا يدري لما تغيرت تلك الرائحة الدافئة التي تعود عليها حين لقائها في أيامهم الأولى، لم يقل يومًا أن الزواج يقضي على الحب كما كان يشاع ولكنه كان يتهم نفسه إنه قاضيًا غير عادل، فهو الذي اختار زوجته ولم تختاره هي ، هو الذي صنع الحلم وحده فكان حقًا على الدنيا أن تجعله يحيى الحلم وحده، يتجرع مرارة موته كل يوم في الليل، فوضعه لحبه في زنزانة مقاسها قلبه لم يكن ليريحه كما كان يظن بل كان دائمًا مسجونه هذا يستجديه ويثور عليه بل ويضرب الزنزانة كل يوم في محاولة الخروج إلى الدنيا.

ما أصعب أن يذبح قلبك مرتين!! البيوت لا تُبنى على الحب ولكنها تُبنى على التفاهم وهذا الأخير لم يجده أيضًا في بيته بين أحضان زوجته ولم يكن وحيد بعد زواجه بذلك الخائن الذي يسمح لنفسه أن يعيش لحظات العشق المسروقة في الشوارع الخلفية فالحب عنده يعني أن نكون دائمًا في النور، لا نخبئه فينطفىء، فالحب لا وقت زمنيًا له نخرجه من الصندوق لنمارسه ونتفاعل معه بل هو يلازمنا حتى في الفراق حتى في نظرات العيون بين الزحام، هو تلك المعاني التي نبثها بعنف ونخطفها سريعًا قبل مداهمة الموت، وماذا لو كان الفراق يولد مع الحب كتوأمه؟! فالحب والفراق يشربون من نهر واحد يعيشون بقلب واحد لا تستطيع أن تفصل بينهم للحظات، فحين تسقي الحب إنت تسقي معه الفراق وحتما سيكبر يومًا حتى إذا وصل ذلك الحب نهايته داهمك صديقه ليأخذه بعيدًا عنك ليعيشوا منفردين.

لا الحب يمل الفراق ولا الفراق يتركه، بل إن كل واحدًا منهم يحتوي الأخر، فالفراق ذلك الصديق الحاسم الذي إن سمح لصديقه أن ينشغل عنه بعض الوقت لم يتركه كل الوقت، وما أصعب أن يفارقك حب الشخص ويبقى

معك جسده ليذكرك دائمًا بمفقودك كذاك الأحمق الذي كلما خفتت دموعك قام يشعلها بمجرد وجوده أو اقترابه منك، لا تصدق من يقول لك أن الحب والفراق يختصمان لا تصدقه وخذها على عهدتي بل هم شيء واحد لا يفترقون أبدًا ولا يختصمون حتى صار يستدل بأحدهم على الأخر، وجرب إن شئت استدعاء الفراق أن تحب وإنتظر وراقب وحتمًا سيداهمك الفراق وحتمًا حينها ستصدقني وستعلم أن الحب ما هو إلا بضع مشاعر قذرة، والقلب لا يُسقى إلا بالحب لذلك يولد الإنسان بقلب سليم ثم يبدأ هذا القلب في الانكسار شيء فشيء.

فأجمل حب هو حب الطفولة الذي ارتفع عن كل الأغراض وانظر إلى قلب طارق وتسنيم أو أحمد أو زياد بل دعك من كل هذه القلوب الصغيرة الكبير ة وانظر إلى قلب طاهر ذو العيون الصافية كوالدته ستجد حبًا لم تتذوق طعمه ولم تشعر لذته منذ كبرت، فإذا أحبك طاهر فأبشر بخير حب، فقلبه كقلوب الأطفال لم تعرف الغرائز بعد ولم تعرف تلك الغرف المظلمة المغلقة التي علاها التراب وليس فيها ما يترجم الحرمان قسوة أو القسوة كراهية، قلوب لاتزال مجبولة على العطاء، وكاذب أيضا من يخبرك أن أولادك سيكونوا عوضًا لقلبك، فحب أولادك أبدًا لن يكفيك فستظل تبحث دومًا عنها وعن نفسك لأن قلبك بغرفه المظلمة وتراجمه القاسية تكسر منذ كبرت، منذ حبك الأول فلم يعد ذلك القلب الطفولى ذي الغرفة الواحدة.

لا يغرك ما تقوله المرأة بلسانها أو حتى بأفعالها في حضرة الناس، فالنساء يجدن الكذب تمامًا كما يجدن الحب تراها تقول أولادي دنيتي وليس في قلبي مكان لغيرهم لا تصدقها وإنتظر الليل إذا أسدل ستائره ونامت العيون وخلت تلك المرأة بوسادتها، واسمع ماذا تقول بقلبها لقلبها فستعجب من تلك الحفر التي تسكنه والتي لم يملأ ها أولادها بل تظل تلك الهوة في الاتساع في أعماق قلبها مع إنتشار ذلك الشعر الأبيض، نعم فالنساء يُردن الحب حتى بعد التسعين يُردن الحب حتى يصل بهن إلى فراش الموت وهناك يودعونه هن، لا يودعهم هو وكذلك هم النساء !

ولكن بنت التسعين قيل لها لما كانت في الثلاثين من عمرها مقدورك أن تحيي وحدك وإياكى أن تتكلمي عن كل تلك الحفر والثقوب وخيراً فعلوا، ولكن تظل الحفر حفر والثقوب ثقوب، وحين يتذكر وحيد صديقه الجديد ياسر يجد نفسه يحفزه لمزيد من الحب لمزيد من الترقي لمزيد من الرعاية لذلك التوأم الملتصق !!

ففاقد الحب يعطيه وفاقد الأمل يحاول دائمًا أن يبعثه في نفوس كل الناس إلا نفسه لذلك أغلب من يعظك ويحفزك شقي تعيس، فكأن أجمل ما في الدنيا لا يستخرج إلا بالنار وبالنار فقط يصنعك، فالحرائق الممتدة بطول خط حياتك المستقيم هي التي تكشف لك حين تهدىء ولا يبقى إلا الرماد عن ذلك اللحم المشوي فلتأكله هنيئًا مريئًا وقد نضج .

اعتاد وحيد أن يجالس الكتب والليل كل يوم يتصفحهم لتمر الأيام بطيئة وكئيبة كان منهمك بالقراءة بشكل ملفت، كانت لذته الوحيدة في تلك الليالي القاتمة، كان وحيد كثيراً ما يهتم بقراءة الكتب التاريخية والسياسة ولكن حنين استطاعت أن تجعله يعدل عن ذلك من خلال الروايات الرومانسية التي كانت تختارها وترسلها إليه، ولكن وحيد كان يعترض على نوعية الحب الذي تقدمه له الروايات كان يراه ناقص أو ملل ولكنه على أي حال اعتاد أن يطالع الروايات وينسجم معها، كان يبحث عن نفسه فيها لربما وجد نفسه مع حبيبته على ظهر مركب في عرض البحر.

فالطبيعة بروعتها وتلقائيتها كانت تبهره وكان يتمنى لو يرتمي بحبيبته في أحضانها فلم يقف خياله يومًا عن مشاهدة تلك الحبيبة الغائبة التي لم تحدد ملامحها عنده، كأنها أصبحت معنى أكثر من كونها مجرد امرأة، وكلما كان يبتعد عنه موعد اللقاء كان يتقرب إلى ربه يشكو إليه ما آلت إليه أمور حياته فهو غير راضي عن نفسه وحياته مع زوجته، يشعر أنه يمارس عليها الظلم بكل أنواعه كمن أخذ عصفورًا أخرس وحبسه في قفص ثم تركه ولم ينظر إليه فلم يستمتع بجمال صوته ولونه ولم يتركه يستمتع بحريته، وصارت الأيام على هذه الوتيرة حتى صرح له الأطباء بالخروج.

*****

ارتدى ياسر أشيك ملابسه وأخذ والدته ووالده وراح يخطف حلمه الذي لم يفارقه، كان على موعد مع اللواء محسن عبد العال والد حبيبته ليطلب منه القرب من ابنته فاللواء محسن كان رجل شديد الصرامة يرى الدنيا بمنظور عسكري جاد، ولم يكن من هؤلاء الذين يعتقدوا في الحب لذلك كانت طلباته في هذه الجلسة واضحة ومرتبة قال لياسر :

- يا ابني إنت شاب مكافح وأنا أحب لبنتي إنها تتجوز راجل يعرف يحافظ عليها زي ما أنا حافظت عليها لحد ما بقت عروسة، بس إنت لازم تشرحلي ظروفك كلها بوضوح يعني الشقة والشبكة وكل الحاجات دي.

نظر إليه ياسر وهو يتصبب عرقًا كأنه في امتحان صعب يريد أن يجيب بالإجابة النموذجية.

- أنا كنت زميل منى في الكلية بس أنا أكبر منها بسنة، وطبعًا حضرتك عارف ظروف البلد دلوقتي والبطالة فأنا كنت شغال في شغلانة بسيطة كده لكن الحمد لله عملت مقابلة في شركة بشائر للمقاولات واتقبلت وهستلم الشغل من أول الشهر، لكن أنا جهزت ثمن الشقة وبإذن الله في خلال سنتين هكون جاهز للجواز.

- بس سنتين كتير يا ياسر.

- أنا عارف والله لكن غصب عني أنا أتمنى إني أتجوز بنت حضرتك دلوقتي حالًا لكن الظروف.

- طيب مش كنت تستنى لما تشوف هتعمل أيه في الشركة دي الأول ؟

- أنا خلاص بلغوني إني قبلت معاهم وهستلم خلاص الشغل.

- يمكن إنت اللي مترتحش معاهم.

- والله يا عمي أنا ليا هدف واضح يخليني اقبل اشتغل في أي ظروف وبإذن الله أنا متفائل جدًا.

- وأنا كمان متفائل بيك جدًا، نظرة الإصرار اللي في عنيك دي مطمناني، منى بنتي الوحيدة مقدرش أفرط فيها إلا لحد أنا مطمن إنه هيعرف يصونها، طبعًا أنا لسه عاوز فرصة اسأل عليك وإنت كمان تعرفنا أكتر إنت عارف إن أمور الجواز مبتحبش الاستعجال.

- طبعًا يا عمي زي ما حضرتك تشوف.

وظل والد منى يتحدث إلى ياسر محاولًا أن يعرف عنه كل تفاصيل حياته الكبير منها والصغير، ولم يكن ياسر يتردد في أن يجيبه على كل شيء بمنتهى الصراحة فحبه لمنى استطاع أن يجعله يترك شهادة الهندسة معلقة على الحائط ويحمل صينية في إحدى الكافيهات على النيل، وأكثر ما يؤلم الخريجين الجدد هو الواقع الذي ينبئهم بعد فوات أعمارهم إنه لم يكن ينتظرهم أبدًا بل لم يكن يعلم بوجودهم أصلًا، لينقسموا بدورهم مع هذا الواقع لفريق يكافح الواقع ويتعاطى معه وفق قانونه، وفريقا أخر يظل يلوم عليه حتى ينبت الشعر الأبيض في رأسه، لا الفريق الأول يتخلى عن كفاحه ولا الأخر يتخلى عن ولولته وعتابه.

ولم يفارق ياسر بيت منى إلا وقد أخذ الموافقة من عين أبيها الذي طمئنه بنظراته فنزل من عندها والدنيا كلها ترقص أمامه فامسك هاتفه واتصل بها فورًا حتى قبل أن يغادر سلم عمارتها.

- ازيك يا حبيبتي خلاص احنا بنتكلم رسمي يلا سمعيني كده وأنتِ بتقولي ازيك يا ياسر بصوت عالي.

- فقالت والفرحة تكاد أن تخطف قلبها وتلقى به من النافذة: ازيك يا ياسر بصوت عالي.

- عجبتك يا منى وأنا بكلم بباك ؟

- إنت عاجبني من يوم ما شوفتك وكمان عجبت ماما جدًا بتقولي عليك راجل قوي.

- وبابا أيه الأخبار؟

- هو أنا لحقت يا حبيبي ده إنت يا دوب خرجت وكلمتني.

- ما أنا مش قادر يا حبيبتي فرحان قوي

- إنت ياض مكنتش بتبصلي ليه خالص ؟؟

- مكنتش عاوز ارتبك، دي أول مرة أشوفك في وجود السيد اللواء محسن عبد العال.

- مش قلتلك بابا طيب متخفش منه.

- يا حبيبتي أنا مكنتش خايف .... أنا كنت مرعوب بس.

- كان باين التوتر، أول مرة أشوفك كده، في أيه يا حبيبي إنت كنت متوتر جدًا.

- بصراحة فعلًا وأنا بتكلم كنت حاسس إن روحي هتطلع، أبوكِ أصله تقيل قوي يا منى ثم أردف مازحًا : وبعدين متنسيش إن دي أول مرة اخطب فيها، بإذن الله المرات اللي بعد كده هبقى أحسن.

- نعم نعم علشان أموتك.

- أهون عليكِ ؟

- لا متهنش طبعًا ... بس برده هموتك.

كانت نبرة الغيرة التي تملىء صوتها تذيب ذلك الجبل من المصاعب الجاثم على صدره، فما أجمل غيرة النساء إذا لم يخالطها الأنانية الحمقاء.

*****

- في أيه يا ألفت مالك أنتِ على طول كده مبوزة ؟! حتى وأنتِ قاعدة ساكتة متفردي وشك.

- في أيه يا اخويا إنت عاوز تتخانق والا إيه؟

- مش شايفه شكلك عامل ازاي بتتخانقي مع دبان وشك..

- هو أنا خلقتي كده إنت أيه أول مرة تشوفني؟؟

- وهو أنا مكتوب عليا كل ما ابصلك الاقيكي معقدة وشك كده ؟!

- خلاص متبصليش هو أنا بحب أعقد وشي طول ما أنا قاعدة.

- سامحني يا رب إني عملت كده في نفسي كنت صغير مش فاهم حاجة.

*****

ذهب وحيد إلى المكتبة كان شديد اللهفة لرؤية تلك الأنثى التي حدثه عنها سامي، والتي كانت تختار له الكتب والروايات التي أمتعته وساعدته على مرور الوقت، كان متردد بشكل كبير، كان يظن أن ثمة شيء سيحدث بعد هذا اللقاء الذي كان يتلهفه من فوق سريره الأبيض في المستشفى، لم تكن تعلم حنين بخروج وحيد من المستشفى وكذلك امتنع الأستاذ سامي من الذهاب إلى المكتبة فحالة وحيد الصحية تسمح له الآن بالذهاب بنفسه واختيار ما يشاء، بل إن وحيد كان قد طلب صراحة من أبيه ألا يذهب إلى المكتبة كان يريد أن يراها دون أن تعرفه.

وصل إلى المكتبة التي تقع في ذلك الشارع الهادىء بين الأشجار وأصوات العصافير مع حضور قوي هذه المرة لصوت البلابل، دخل وهو مترقب أن يراها، كانت تجلس كعادتها تقرأ رواية لم تكن منتبهة لذلك الذي وقف يحملق فيها بصمت، إنه شعور جربه من قبل، فكم كانت تشبه ذلك الوجه الملائكي الأخاذ الذي غاص منه في

البحر، وقف ينظر إليها في تأمل وقلبه يخفق بشدة لم يكن يعلم لماذا ولكن هذا ماحدث، التفتت حنين إليه وقالت :

- اتفضل ادخل.

- نظر لها في شرود : السلام عليكم أسف لو قطعت عليكِ قراءتك.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، لا عادي اتفضل إنت عاوز كتاب معين ؟

- أه عاوز كتاب كبرياء وتحامل (Pride and Prejudice) لجين أوستن مترجم للعربية.

- لمعت عينا حنين فهذه الرواية التي كانت للتو منتهية من قرائتها في اليوم السابق: نعم اتفضل موجودة، ثم أخرجتها من درج مكتبها فلم تكن أعادتها إلى الرف بعد .

أخذها منها وتوجه إلى الركن المخصص للقراءة وقد اختار كرسي يستطيع منه أن يطالعها، فتح الكتاب وراح ينظر في صفحة وجهها، تلك الفتاة الجميلة ببشرتها الناعمة الهادئة وشعرها الذى ينساب على أكتافها وعيونها ذات الغموض الساحر، كان لعيون حنين لمعة آخاذه خطفته من اللحظة الأولى وظل يدفع ذلك الشعور الذي ملأ صدره، حاول وحيد قراءة الكتاب مرات عديدة ولكن كل محاولاته باءت بالفشل، فعقله مشغول بتلك اللوحة المرسومة بدقة أمام عيونه كان يحاول أن يحفظ ملامحها في عقله ليجترها من الذاكرة متى أراد بسهولة، ولكنه كلما نظر إليها إنتابه شعور التيه الذي يجعلك لا ترى من اللوحة إلا جزء واحد، فكانت عيونها أشرس من أن تترك وحيد يطالع باقي صفحة وجهها، كانت تشعر به وهو يراقبها بل وكانت متأكدة أنه لم يقرأ من الكتاب الذي بين يده عدة أسطر !!

فصارت تراقبه بدورها، لا تفهم لما يرمقها على استحياء وماذا يريد؟، ولما إنتبه وحيد راح واقفًا إلى حيث الأرفف متصنعًا إ نه انشغل فجأة بقراءة أسماء الكتب ثم توجه إليها طالبًا منها أن يستعير الكتاب، وحقيقة الأمر لم يكن الكتاب هذا يعني له شيء ولكنه كان يريد أن يزورها كل يوم ويراها كل يوم، وحين طلبت منه بطاقته لتسجل اسمه في الاستعارات ارتبك وأخبرها إنه فقد بطاقته ولم يستخرج بعد واحدة جديدة ولكنه مستعد على ترك ثمن الكتاب كاملًا حتى يرجعه، رحبت حنين بهذه الفكرة برغم أنها كانت ستعيره الكتاب على أي حال فهي تريد أن تراه مرة أخرى فبداخلها فضول لم يشفى بعد .

خرج وحيد من المكتبة ليستقل ميكروباص حيث تكسرت سيارته بشكل يصعب معه إرجاعها للقيادة مرة أخرى واخذ يقلب صفحات الكتاب ولكن عقله يحلل ما رآه من تلك الفتاة .

عاد إلى منزله وحينما دخل نظرت زوجته إلى هذا الكتاب في يده وقالت :

- إنت جايب كتب جديدة ؟

- هو كتاب واحد لما أخلصه هبقى اديكي تقرأيه.

- بيتكلم عن أيه الكتاب ؟

- لسه مش عارف مقرتش منه حاجة.

- تتغدى؟

- أه يا ريت هو فين الأولاد ؟

- نايمين.

دخل إلى غرفة أولاده وقبلهم جميعًا ثم اقترب من ابنه طاهر وأخذ يتأمله وراح يداعبه بشفاهه على وجهه حتى استيقظ طاهر، ونط مسرعًا إلى حضن أبيه الذي أخذه إلى خارج الغرفة، كان طاهر أكثر أبناء وحيد حظوة عنده لما لعينيه من طيبة مفرطة، كان يخشى عليه من الحياة وقسوتها ورغم ذلك لم يحاول أن ينتزع منه تلك الطيبة بل كان كثيراً ما يغذيها ويحنو عليه بسببها، كان يحب أن يتكلم معه رغم أن طاهر لم يكن يفهم شيء مما يقوله أبيه إلا إنه كان دائمًا ما يشاركه بابتسامة تشع منها البراءة.

- أنا زعلان منك يا طاهر إنت مبقتش تحكي لبابا حواديت خالص.

- بابتسامته الطفولية الرائعة: احكيلك حكاية الأسد ؟

- أيوه لازم تحكي لبابا كل يوم حدوتة، احكيلي حكاية الأسد.

فاخذ طاهر يحكي حدوتة الأسد ووحيد ينظر إليه في استمتاع غريب، لم تكن كلمات طاهرة مرتبة بل كانت عفوية مشتتة، العفوية التي نفتقدها في كل شيء حتى في طريقة تناولنا لأبسط الأمور فصار كل شيء منمقًا في تراص فج يشعرك أن كل شيء يسخر منك في تهذيب.

كان فهد كثير الاتصال بوحيد عبر شبكة الإنترنت حتى صاروا يلتقون كل يوم بعد العمل ليجلسوا فترات طويلة تشعرهم بأنهم لم يبتعدوا، ولم يكن حال فهد قد تحسن بل ظل يترك عمل ويبحث عن أخر وبدأت تتراكم عليه الديون وهو ما كان يغضب وحيد جدًا، لم يخبر وحيد صديقه بأنه كان سبب الحادثة بل حكي له قصة مختلقة خوفًا من أن يترك عنده عقدة الذنب، حاول كثيراً إقناعه بالعودة ولكن فهد قد أخذ قرار بعدم العودة حتى يصل لأحلامه أو جزء منها ولكن أن يعود بمجرد الديون والفشل كان هذا مرفوضًا عنده حتى إنه قال لوحيد :

- أنا مش هرجع على الحالة دي وبعدين الحال عندك مش أحسن من هنا يعني.

- بس إنت بديونك دي هتتسجن يا فهد.

- اتسجن يا وحيد.

- طيب تعالى اتسجن هنا على الأقل تبقى جنبي واعرف أزورك.

- لأ هتسجن هنا.

- على فكرة السجن عندك مش أحسن حالًا من مصر متفكرش إنك في هولندا يعني.

- لأ أنا عارف إنه مش أحسن من مصر لكن فيه ميزة مش في السجن في مصر.

- ميزة ؟!! ميزة أيه ؟

- الستر.

*****

- أيه يا عم وحيد روحت المكتبة ؟

- أه روحت وشوفتها.

- اتكلمت معاها ؟

- لأ معرفتهاش حاجة قعدت عادي.

- أمّال يعني كنت مصدعني بالسؤال عليها وإنت في المستشفى.

- إنت عاوز أيه يا سامي فهمني ؟

- عاوز افهم اللي في دماغك.

- مفيش حاجة في دماغي عادي يعني واحدة عجبني ذوقها في اختيار الروايات اللي كانت بتبعتهالي، محصلش حاجة يعني يا سامي مش هروح أتجوزها يعني.

- ضحك سامي : طب وإنت زعلان قوي كده ليه ؟ وبعدين ما دام مش في دماغك حاجة روحت ليه ؟ ومعرفتهاش على نفسك ليه ؟

- روحت أجيب الكتاب ده يا سيدي، ورفع له كتاب جين أوستن.

- بس كده ؟

- أه بس كده، أنا اللي عاوز اعرف أيه اللي في دماغك.

- لأ ولا حاجة بس مش مستريحلك.

- لأ استريح وسيبك من خيالك اللي بيقعد يتخيل وبعدين تيجي إنت تتعامل مع الخيال ده على إنه واقع !

- خيال؟ أه حاضر هبطل اتخيل، عامل أيه مع مراتك؟؟

- مش عامل حاجة، عارف يا سامي نفسي يبقى عندي الشجاعة اللي تخليني اعرف أخد القرار.

- قرار أيه ؟

- إني اطلقها.

- تاني يا وحيد سيبك يا حبيبي من الأفكار دي.

- أفكار أيه؟ أه تاني وتالت ومليون، أنا هعيش يا سامي، هعيش مش هموت زيك وأنا عايش.

- نظر إليه سامي موجوعًا : يعني أنا ميت ؟

- أه ميت، إنت ميت يا سامي ومن زمان، وإنت عارف حتى لو كنت بتكابر ففي النهاية إنت ميت، حتى تصرفاتك بصلها كده وهتلاقيها تصرفات واحد عارف إنه ميت.

- اعمل أيه يعني من وجهة نظرك يا فيلسوف ؟

- لأ إنت النهارده متعملش حاجة أنا اللي هعمل.

- هتعمل أيه ؟

- هطلقها يا سامي.

- والعيال يا وحيد ؟!!

- يروحوا معاها، ده اللي كان لازم إنت تعمله من سنين وتدور على بداية جديدة، مش تروح تدفن نفسك بالحياة و تقولي علشان خاطرك إنت وأخواتك البنات!! يا أخي كنت رمتنا في الشارع، طيب أهي واحدة ماتت والثانية اتجوزت وأنا كمان اتجوزت وسبتك أخدت إنت أيه بقى من التضحية ؟

- مكنتش أقدر يا حبيبي أرميك في الشارع يمكن إنت تقدر زي أمك، لكن أنا محبتش إنك تتهان أو إني اتحرم منك أو إن حد غيري يربيك.

- نظر إليه وحيد بوجه يمتلىء غيظًا: والنتيجة ؟

إنك إنت اللي دفعت الفاتورة كاملة، عارف يا سامي أنا عمري ما هعوضك، عمري ما هساوي اللي فات من عمرك.

- مجرد إني أشوفك قدامي يا وحيد بيحسسني بالتعويض.

- رومانسي إنت أوي يا سامي، رومانسي أكتر مني بكتير.

- هتقدر تستغنى عن العيال يا وحيد ؟!!

- هي قدرت تخليني اعرف استغنى عنهم.

- يعني مش هيوحشوك ؟

- هي هتاخدهم وتهاجر يعني ؟! ابقى أروح أشوفهم يا سامي متحبكهاش.

- قلبك قاسي قوي يا وحيد، طيب ونويت على إمتى ؟

- منوتش اللي مجنني إني مش عارف أنوي، خايف يا أخي مش عارف من أيه ؟

- نظر إليه بحنان: يا وحيد الأمور مبتتحلش كده لازم تشوف الحاجات الجميلة في حياتك وتركز معاها وتحاول تنسى أو حتى تتناسى كل الحاجات المؤلمة اللي بتوصلك للحالة اللي أنا شايفك فيها دي.

-يا سامي الحالة دي بوصلها كل يوم كل ما تقرب منى كل ما افتكر إن دي مربوطة معايا في مصير واحد، خلي بالك أنا مبكرهاش عارف ليه ؟

- ليه ؟

- لأن الكره بيحتاج لمساحة يحتلها في القلب والعقل ودي واحدة قدرت تقنعني إن هي تبقى عادي لا تبقى حبيبتي ولا حد بكرهه، هي حد ملهوش مكان عندي هي حد على هامش حياتي.

- لأ يا وحيد هي واقع لازم تقبله.

- أو أغيره.

- ما إنت مش هتقدر تغيره، الواقع ده فيه أطفال فيه طاهر حبيبك.

- الواقع ده بيقتلني بيخليني عايش مطارد، بيكرهني في كل حاجة في الدنيا، عارف الواقع ده بيكرهني فيك إنت شخصيًا.

- قال ضاحكًا : وأنا مالي بقى وألا إنت خلصت وهتدور عليّ ؟

- لأ أبدًا بس يا أخي متغاظ منك قوي إنك مدافعتش عن نفسك من سنين، يا سامي أنا كان لازم أترمي في الشارع من زمان صدقني.

- تصدق عندك حق أنا فعلًا ابتديت اقتنع بكلامك.

- بس بعد فوات الأوان.

- يا سيدي روق ونادي العيال بقى أنا جي اقعد معاهم.

*****

جلس فهد على شاطىء البحر يتأمل ما آل إليه حاله يتذكر زوجته التي لم يهنىء معها خياله، كان يقول لنفسه إ نها امرأة رائعة ولكنه لا يستحقها فلم يكن هناك حاجزًا بينه وبينها إلا أن ملامح وجهها لا يشبع نهمه الرجولي، أما في غير ذلك فهي زوجه حنونة وامرأة مثقفة وست بيت من الدرجة الأولى ومن عائلة مترابطة استطاعوا أن يحسنوا تربيتها وقد كبرت على تعاليم الدين الذي كانت تتلقاه على يد جدها الشيخ معروف، فقد اختار فهد امرأة بعقله على أروع ما تكون غير أنها لم تستطع أن تقتحم قلبه وتدخله، وبرغم انه ليس بالرومانسية التي تجعله يقف في حياته على الحب إلا أن قلبه المربوط بعقله كان كثير الثورات عليه، وكأغلب الثورات يضيع من يده أجمل ما تملك لتترك له ورائها الخراب والدمار والمظاهرات الفئوية والفوضى، كان يظنها هو كثورة التصحيح مثلًا ولكنها في الحقيقة لم تكن تعدو ثورة من ثورات الرعاع والمتآمرين على قلبه.

كان يفكر من أين يبدأ والى أين يذهب فقدْ فقدَ الاتجاهات منذ زمن ليس باليسير فراح يخبط عشوائيًا، وهذه العشوائية كانت تجره من فشل صغير لفشل أكبر وكان يعلم أن عشوائيته هذه ستودي به حتمًا إلى أسوء طرق النهاية، لذلك جلس هذه الجلسة يفكر في كيفية المواجهة مع تقلبات الواقع المتلاحقة السريعة، فهو الآن يعمل في مجال المعمار ذلك المجال الذي لم يدر بخلده يومًا أن يدخله إلا كمالك يريد بناء عقار و يباشر عماله أما أن يكون هو أحد هؤلاء العمال ؟!

ظروف قاسية ومشاعر جافية يعتمل بها صدره في لحظات تكاد تكون فارقة في حياته، كان يحدث نفسه:

مالك يا فهد أيه اللي إنت فيه ده ؟ ده حلم وهفوق منه والا كابوس هيخلص عليا خالص، أنا عمري ما كنت كده ليه بتتقفل عليّ بالشكل ده، ليه كل ما افتح باب يتقفل ميت ألف باب كإني بلعب السلم والثعبان كل ما اتقدم خطوة ارجع ألف خطوة لورا .

*****

- ازيك يا أستاذة حنين.

ردت عليه مندهشة فهي لم تقل له اسمها في المرة السابقة.

- الكتاب أهو زي ما استلمته منك امبارح، أنا أصلي بقدر الكتب جدًا.

تناولت منه الكتاب وهي تنتظر باقي حديثه.

- على فكرة أنا جيت هنا كتير بس بقالي فترة كنت مشغول.

- أنا أول مرة أشوفك المرة اللي فاتت.

- أه فعلًا حضرتك مكنتيش موجودة كنت بلاقي الحاج أشرف.

- أنا ببقى موجودة الفترة الصباحية وهو بيجي بعد كده.

- جلس في الكرسي المقابل لها: شدني إن أنتِ قارئة، فكرني عن البنات إنهم مبيحبوش القراءة بيملوا بسرعة.

- بالعكس أنا بعشق القراءة.

- في أي مجال؟ أنا عن نفسي بحب جدًا أقرأ في التاريخ والسياسة وطبعًا مبحرمش نفسي من التنويع.

- أنا بحب أقرأ رومانسي ومعلومات عامة.

- جميلة الكتب الرومانسية بس لو بطلوا مبالغة.

- على فكرة الرومانسية عمرها ما كان فيها مبالغة، ممكن تقولي مبالغة زي أيه ؟

- المبالغة في إنهم دايمًا يكلمونا عن الطرف الي بيضحي من غير ما يحكولنا عن الطرف التاني ده هل فعلًا يستاهل التضحية؟

- التضحية في الحب بتسعد اللي بيضحي قبل ما تسعد حبيبه.

- لكن بيتهيئلى صعب إنها تدوم لو الموضوع استمر كده.

- يعني أيه ؟!

- يعني التضحية في الأول بتبقى جميلة بس لما الطرف التاني بيبدأ يشوفها حق مكتسب بيبقى صعب في الوقت ده نضحي من غير ما ناخد حاجة تقنعنا نضحي أو حتى تقنعنا نكمل السكة.

- إنت اسمك أيه ؟

- اسمي وحيد.

- ضرب اسمه أذنها بقوة : المشكلة يا أستاذ وحيد إن احنا بنحب الأول وبعد كده بنكتشف المصايب مش العكس.

- من غير أستاذ، عارفة يا حنين بيتهيألي إن الحب ده حظوظ وأنا بقى حظي أسود.

- نظرت مبتسمة : تقريبًا موضوع الحظ ده معاكس كل اللي بيحب مش إنت بس.

- لأ أنا وضعي مختلف تمامًا، أنا مبقتش فاهم الحب ده يطلع أيه أصلًا، عارفة زي ما تشوفي حاجة هلامية كده ملهاش ملامح، هو الحب المفروض أصلًا ينتهي بأيه؟؟ بالجواز مثلًا ؟

- المفروض..

- طيب ولو فشل بعد الجواز نعمل أيه ؟

- إنت متجوز ؟

- لأ، أه.

- يعني أيه ؟

- يعني لأ و أه، متجوز ومش متجوز.

- أه فاهمه، بتحبها ؟

- مش عارف..

- ازاي مش عارف !!

- زي كل حاجة مبقتش فاهمها.

- إنتوا اتجوزتوا ازاي يعني عرفتوا بعض منين ؟

- احنا للأسف اتجوزنا عن حب وده أفشل نوع من أنواع الجواز على الإطلاق، جواز الصالونات ده طلع حاجة هايلة جدًا، أنا كنت في الأول معارض الطريقة دي لكن دلوقتي أنا شايفها مناسبة جدًا.

- بالعكس العلاقة اللي بتتبني على الحب بتبقى أقوى.

- أمّال احنا علاقتنا هشة كده ليه ؟

- يمكن إنت معرفتش تحتويها ؟

- ممكن، على فكرة هي كويسة جدًا وطيبة جدًا أنا بس اللي معقد شوية.

- طيب ليه محاولتش تفهمها وتقربوا من بعض ؟

- هي مرضيتش.

- مرضيتش أيه ؟ إنك تفهمها ؟!!

- إني اخطفها... إننا نروح بعيد في أخر الدنيا ... إننا نعيش بروح واحدة.

- بدأت تنتبه أكثر : ازاي يعني لو فيها تطفل مني ممكن افهم ؟

نظر إليها بشرود كالذي يسترجع ذكريات من صندوق مغلق..

- أنا كنت بحبها جدًا حتى من قبل ما اعرفها، كنت بحب مراتي اللي هتجوزها لما أقابلها، وعلشان كده كنت بحوش لها كل حاجة حلوة، كنت بسجل كل موقف أمر بيه... كنت بكتب فيها شعر، لحد بقى ما قابلتها في وقت كنت خلاص تعبان ومش هقدر أكمل لوحدي الحياة، قابلتها في الوقت اللي كان لازم أقابل فيه واحدة ست، أنا أصلي من النوع اللي مبيعرفش يفرح لوحده تقدري تقولي مبعرفش أعيش من غير واحدة ست، بس احتياجي

المرة دي مكنش زى كل مرة كان مختلف كان قلبي تعبان ومرهق، لما شوفتها كانت صدفة في فرح، عارفة من أول لحظة عرفت إن الست دي هتبقى مراتي حتى من قبل ما اكلمها.

كانت تنظر إليه حنين باستمتاع وشغف.

- ليه حسيت بكده ؟

- مش عارف مفيش حاجة معينة أقدر اقولهالك غير إني حسيت بكده، حسيت إننا هنقرب لحد ما نبقى في بيت واحد وفعلًا قربنا، الست دي أنا حبتها بشكل غريب، حبتها بطريقة مختلفة وهي دي الغلطة اللي بوظت الدنيا بعد كده.

- معلش أنا عارفة إني بسأل كتير، بس ازاي ؟

- لما حبيتها ابتديت اقنع نفسي بحاجات أنا شايف النهارده إنها كانت غلط، سقف أحلامي مكنش ينفع يكون عالي قوي كده، هو في حاجة اسمها إن مراتك تبقى دنيتك ؟! كلام فارغ طبعًا وعيبي إني كنت مصدق الكلام الفارغ ده.

- قالت مندفعة : بالعكس مش كلام فارغ هو المفروض كده فعلًا إن إنتوا الاتنين تبقوا حياة بعض.

- لأ مش المفروض ولا حاجة، مش كل القلوب تتحمل.

- تتحمل أيه ؟

- تتحمل الحب، يعني هي إنسانة مسالمة وكل طموحها في الدنيا إنها تعيش في سلام، وأنا إنسان كل حياتي صراع مع الدنيا وكنت محتاج قلب يعرف يركب معايا الموجة مهما كانت قوية، بقولك كنت عاوزها الدنيا.

- حاسة إني مش فاهمة، في معنى فكلامك مش قادرة أوصله.

- يعني كنت عاوزها رائعة، كنت عاوزها تبقى صحبتي وحبيبتي وأمي، كنت عاوز استغنى بيها عن كل حاجة، لكن هي خلتني استغنيت بكل حاجة عنها، هي أقل ست فهمتني وحست بيا وقدرت أي حاجة ضحيت بيها علشانها، عرفت تخلي التضحية ملهاش معنى بس برده أنا عاذرها جدًا.

- طيب ليه عاذرها ؟

- لأن أنا اللي اخترتها وأجبرتها تعيش حلم مش حلمها ، أنا اللي حبتها في البداية، أنا اللي أقنعتها تحبني ، قلبها كان مسالم جدا أول ما خبطت فتحلى ، صدقيني أنا اللي غلطان ، أنا اللي مش عارف أعيش عادي

- يعني أيه تعيش عادي؟!

- يعني زي الناس العاديين اللي بياكلوا ويشربوا ويناموا، لأ أنا عاوز أكل واشرب وأحب واتكلم أنا محتاج أتكلم قوي يا حنين، محتاج اتكلم عن امبارح والنهارده وبكرة.

- طيب ما تتكلم معاها.

- ما أنا كنت بتكلم معاها لكن كنت بتفاجىء إني بتكلم مع نفسي، أنا أصلي جوايا كذا واحد عايشين مع بعض، هي حبت منهم واحد بس ومعرفتش تشوف الباقي ولا حستهم علشان كده اختلفنا، أنا كنت زمان بحب اكتب شعر وكنت بدون خواطر وأدب كان عندي حاجات كتير قوي عاوز احكيهالها واتكلم معاها فيها، أمّال أنا كنت بحوش عمري لمين ؟ وكنت شايل الفرحة ليه ؟؟ مهو علشان أعشها معاها.

- وأيه اللي منع كل ده إنه يحصل.

- اللي منع إنها كانت خرسة.

- خرسة ازاي؟!

- خرسة مبتتكلمش.

- مش فاهمة ! يعني اتولدت خرسة ؟

- لأ اتولدت بتتكلم لكن اتخرست بعد كده.

- بعد ما اتجوزتوا يعني ؟

- لأ من أول يوم قابلتها فيه وهي خرسة.

- أنا بدأت أتوه، يعني خرسة ازاي ؟

- يعني فاضية لدرجة تخليها معندهاش أي حاجة تقولها، فاضية من كل حاجة حتى من المشاعر ومن التفاعل، مهما اتكلمت مكانتش تعلق على كلامي ولو سكت تسكت برضه، حتى لو اتكلمت مبشوفش في عنيها اهتمام، فرحت... زعلت... اتألمت، مُت حتى معندهاش حاجة تعملها.

- أيه ده ازاي يعني ؟ إنت متأكد إنها كانت بتحبك ؟

- أه متأكد، وهو ده اللي كان مجنني خلاص دلوقتي مبقاش يجنني.

- اتعودت يعني، يعني مكانتش بتهتم بيك ولا تبقى فرحانة لما تزورها في الخطوبة؟

- كانت بتبقى فرحانة جدًا عنيها كانت بتقول إنها فرحانة قوي بس مكنش في حاجة تاني فيها بتتكلم، عارفة يوم ما نطقت كان بعد الجواز بوقت طويل.

- طيب كويس إنها في الأخر اتكلمت قالت أيه بقى لما نطقت، قالتلك ليه مكانتش بتتكلم معاك ؟

- لأ كنا بنتخانق، تقريباً عمرنا ما اتكلمنا ولا اتناقشنا إلا لما اتخانقنا، أصل احنا مختلفين جدًا، بتحب اللي بكرهه وبتكره اللي بحبه عارفة اللي أشوفه وأقول الله ده جميل هي تشوفوه وتقول يع.

- ماهو الأذواق أكيد بتختلف.

- مهو ده مش اختلاف ده تضاد في كل حاجة، أفكارنا نفسها مختلفة لما أقف أنا وهي قدام صورة واحدة كل واحد فينا يشوف كل المعاني اللي في الصورة إلا المعنى اللي التاني يقصده.

- إنت بتقول إنك مش عادي يبقى طبيعي مش أي حد هيفهمك.

- ماهو أنا راجل عارف كويس عاوز أيه، أنا قلتلها كل اللي أنا عاوزه منها بالظبط، ادتها كل مفاتيحي لكن هي تجاهلتها كلها، هي شخصية عنيدة جدًا، وتخيلي العنيد ده لما يبقى صامت.

- على فكرة كل الستات عنيدة.

- إلا مع حبيبها.

- طبعًا الحب بيغير الست.

- لأ الحب بيقلب كيانها، بيولدها من جديد، بيغير كل حاجة فيها، بيخليها تحب حاجات عمرها ما اتخيلت إنها تعملها، الغريب إنها فعلًا حبتني أنا متأكد لكن متهزتش خالص، عارفة حتى وأنا بضيع منها وبنساها وبخرجها من حياتي متحركتش لحظة.

- هي كانت عارفة ؟

- أنا قلتلها، قلتلها إني مش لاقي نفسي معاها وإني محتاجها جنبي وإن الحفر جوايا بتزيد، أنا أصلي مليش أصحاب إلا هو صاحب واحد، قلتلها إني مش لاقي مكان أروحه مش لاقي حد اكلمه يفهمني أو يحس بيا، قلتلها محتاج أنثى في حياتي.

- بس أنا مفتكرش إن في ست تسمع الكلام ده ومتتحركش !

- صدقيني متحركتش عنادها كان أقوى من حبها، حتى حبي ليها كان أكبر من قلبها مقدرتش تستوعبه، هي كانت عاوزة حياة زي اللي في كل البيوت نتجوز ونخلف ونقعد مع العيال وده حقها، أنا كنت عاوز أشاركها في كل حاجة في حياتي، كنت واثق إني هوصل للنجوم وإني هقدر اعمل حاجة كويسة وكبيرة أنا كان عندي مواهب كتيرة وطموحات أكتر، عارفة كل الحاجات اللي كتبتها علشان لما أقابل الست اللي هتجوزها نقعد مع بعض واحكيلها مناسبة الورقة دي وحكاية الورقة دي وقصدي من الحتة دي... كل تفاصيل حياتي اللي حوشتها كل الحاجات دي أنا لمتها وحرقتها.

- حرقت مذكراتك ؟!

- أه حرقتها كلها، كانت بتفكرني كل ما أشوفها قد أيه أنا كنت مغفل، هو في ست الواحد يحوشلها الورق والقصاقيص ؟

- أه طبعًا أكيد في، ممكن إنت مقابلتهاش لكن أكيد في.

- معلش أنا طولت عليك ووجعت دماغك.

- لا بالعكس أنا سعيدة جدًا إني اتكلمت معاك.

- طيب أنا أكيد هاجي تاني وهنتكلم أكتر، أنا بس مرتبط بمواعيد دلوقتي ومضطر امشي.

- مقولتليش الكتاب عجبك ؟

- أه جدًا.

- ممكن نبقى نتناقش فيه ؟

- أكيد طبعًا يسعدني جدًا.

قام وحيد من كرسيه وهم بالخروج فنادته حنين :

- وحيد ممكن أسألك سؤال ؟

- نظر إليها ضاحكًا وقال : لأ مش ممكن.

وتقدم خطوتين ثم نظر لها: أنا عارف السؤال على فكرة ومش عاوز أجاوب النهارده هجاوب المرة الجاية.

ثم انصرف...

*****

- متخفيش يا حبيبتي كل اللي عم محسن هيطلبه أنا هجيبه حتى لو هموت نفسي في الشغل.

- بعد الشر عليك يا حبيبي، أنا مش عاوزة حاجة غيرك.

- قعدتنا دي تسوى عندي الدنيا بس كان نفسي تبقى في بيتنا، هتحبيني لحد أخر العمر؟

- هحبك حتى بعد أخر العمر.

- بيقولك الست في الجنة بترجع لأخر راجل اتجوزته، تعاهديني تبقي معايا في الجنة؟

- يا حبيبي أنا من يوم ما عرفتك وأنا حاسة إني عايشه في الجنة، عارف مبسوطة قوي إننا شبه بعض في كل حاجة.

- لأ احنا مش شبه بعض احنا بنكمل بعض.

- لأ شبه بعض وبنكمل بعض.

- دايمًا الواحد بيدور على اللي يشبهه مش قادرين نصدق إن ممكن اختلافنا يبقى أجمل.

- نفسي منختلفش أبدًا يا ياسر، نفسي أكون ليك الزوجة والحبيبة والصديقة.

- إنتِ فعلًا كده، أنا لما ببقى عاوز اعمل حاجة مبدورش غير عليكِ لإنك إنتِ شريكتي في كل حاجة.

- يا رب تفضل تحبني كده على طول.

- اللي يحب ويكون عاوز يحط على را س الحب ده تاج اسمه الجواز، عمره ما يفرط في حبيبته أبدًا.

- أنا كل صحباتي بيحسدوني عليك.

- بالعكس المفروض يحسدوني أنا إني هاخد واحدة رقيقة وجميلة وأد المسؤولية، بيعجبني إنك مسئولة مش مستهترة.

- بصراحة ده يرجع لتربية بابا كان ديمًا يشيلني المسئولية رغم إنه كان بيخاف عليّا جدًا، بس كان دايمًا يخليني اتعامل مع الدنيا وهو بيراقب، عرف يخليني اقدر اعتمد على نفسي وفي نفس الوقت احتفظ بكل حاجة حلوة فيا.

- كان نفسي أبوسه أول ما شوفته وأقوله جوزهاني يا حاج أبوس رجلك.

- والله إنت كنت صعبان عليّا جدًا، باباك ومامتك قالولك أيه ؟

- قالوا ربنا يتمم بخير وماما فرحانة بيك جدًا.

- المهم عاوزاك تظبط مواعيد نومك علشان الشغل الجديد.

- طيب يلا نروح نشتري بقى كام طقم حلو كده على ذوقك، عاوز أتشيك.

- ما أنت شيك على طول يا حبيبي.

- ابقى شيك أكتر، أنا حاسس إن الشغل ده هيغير حياتي ادعيلي.

- بدعيلك على طول يا حبيبي.

- شوفتي وحيد، بقى على طول في المكتبة حتى من غير ما يقولي إنه رايح.

- طيب ما ده طبيعي يا حبيبي مش إنت بتقولي إن أول مرة اتعرفت فيها عليه كان جاي الكافيه بكتاب ؟

- أه.

- طيب ده صديقه الأول الكتاب، طبيعي لما يلاقي مكتبة بالشكل ده ميفارقهاش.

- كان فرحان قوي لما عرف إني هستلم الشغل الجديد، عارفة يمكن فرح أكتر من أخويا، بحس إنه شخص مشجع كده وبيفرح للناس، مش مزعلني غير إنه دايمًا حزين حتى لما بيكتب حاجة واقراها بلاقيها حزينة قوي كأن الدنيا مفيهاش غير الحزن !

- أكيد موجوع من حاجة، طب مجربتش تسأله؟

- جربت كتير بس عمره ما جاوبني بشكل مباشر كل كلامه ألغاز لما حيرني معاه، عارفة لما روحته المستشفى لقيته قاعد وسط تل كتب ومعندهوش حد غير باباه وحتى واحنا بنكلمه عينه متشالتش من الكتاب اللي بيقراه، بيقولي اتعلم تبقى صاحب بالين علشان بال واحد مش هينفعك.

- إنت هتقابله النهارده ؟

- أه أكيد في المكتبة أنا رايح النهارده عاوز أخد جرعة قبل ما اتشغل بقى.

- طيب متنساش تجبلي الكتاب اللي قولتلك عليه.

- حاضر الرجال من المريخ والنساء من الزهرة فاكر متقلقيش.

*****

- صدقيني أنا إنسان لم يعرف معنى اليأس إلا على يديك، سقيتيني منه جرعات مكثفة وكإنك كنتي ترضعيني منه بلا فطام، أكون في أفضل حالاتي فإذا لمحت طيفك أو شعرت بحرارة جسدك في غرفة واحدة تحيطنا، يتلبسني ذلك الرجل اليأس الذي يكره كل شيء، الغاضب حتى من نفسه، النادم على جميع اختياراته، ذلك الذي فقد ثقته في نفسه إلى درجة تكفي لان يتردد حتى فيما يحب بل بالأحرى إنه رجل بات غامض في عينه ما يحب وما يكره، أصبح لا يطيق الدنيا التي يراك في اى أرجائها.

لا أدري لماذا كلما رأيتك شعرت بهذه الهالة الشاحبة القاتمة تحيطني حتى تكاد تجعلني لا أرى الدنيا إلا مصبوغة بذلك اللون المقيت، كم قلت لكي أني رجل لا يقتنع بالخواطر فجنبي خاطرك إذا كان لكي أصلًا عندي خاطر، يميزني أني أحدثك عن عيوبك بمنتهي الدقة وليتك فهمتي يومًا أني لست من خندق الأعداء أحدثك ولكن من نفس خندقك، فنعم الجيش هذا الذي على رأسه رجل يُقوم اعوجاجه كلما اعوج فلم يماري أو يهاود فأنا أصف لكي عيوبك التي تقتلك داخلي وتجعلني أراكي كالهباء.

لماذا دائمًا تحولي حواراتنا السخيفة إلى مبارزة هي أسخف من نظرات عيونك الصامتة؟! وكيف تستطيعين أن تقنعي نفسك بأني أخوض ضدك حرب أحب أن أكون منتصرًا في نهايتها، وأي عدو هزيل هذا الذي يعجبني أن انتصر عليه ؟!! فانتصاري عليكِ هو خذي وعار يطارد أي إنسان عنده مسحه من كرامة، تعلمت في الماضي في الأيام الخالية وقبل أن يتحفني الزمان بصفحة وجهك ألا أكون عظيم بين أقزام، فعظيم الأقزام قزم أسعده القدر ببضع سنتيمترات فتطاول بها على من هم حوله، ولكن العظمة لا تكون إلا بين هؤلاء العظماء الذين تتمخض عنهم الدنيا ربما كل مائة عام بواحد أو بضعة أعوام، وكيف تُلجأني امرأة هي زوجتي أن أقول لها مثل هذا الكلام ؟!

لا أدري من أي سخف جيء بك إلى هذه الدنيا، ولا أدري أي حرصا هذا الذي جعلك تجمعي كل صفات الحمقى بين دفتي روحك الباردة ؟! ولماذا تحرصين على صيانتها ورعايتها حتى أكثر مني؟! أكلما شخصت لكي داء ووصفت لكي الدواء هبت فيكي كل عواصف الخريف التي تحمل الأوراق الذابلة لتنثريها في وجهي دفاعًا عن نفسك؟! يمكنني أن اصمت إلى الأبد وقد أفعل، ولكن يحزني أن أكون غاشًا لكِ، يؤلمني أن أنام بجوارك وأنا أخدعك

وأكون من بين هؤلاء الذين يسمحون لكي أن تواجهي الدنيا بهذه الحماقات والسخافات وكأني أتركك عارية بين ذئاب جائعة، نعم أنا اليوم مؤلم وقاسي وهذا لأنك امرأة أراها صنعت للجحيم، فالسوط في يدي ومثلك لهذا السوط قد خلق، لا أ عرف لمن هم في مثل حالتك إلا أن يُجلدوا حتى تنساب الدماء من كل أفكارهم علها تُزهق أرواحهم فتُنقذ أرواح بريئة قبل أن تُوصم أو تُصدم.

كم أتعجب منك ومن صبرك !! وكيف لمن تدب في أرجائه الروح البشرية أن يصبر على أن تعانقه روح كروحك أو همس كهمسك أو عبير بلون كلماتك الباهتة، لا أدري من أي جحيم تأتي بالصبر على نفسك ؟!!

ألم تسمع إرجائك بالثورة ذات يوم؟ وهل لا يثور إلا الشعب على حاكمه؟ ألم تسمعي بمن ثار على حماقاته التي تقلل من شأنه بين العامة فقام إليها وقتلها ؟! فلماذا إذن لا يثور فيكي ثائر فيهب منقضًا عليك فيرديك قتيلة ؟! أي حلمًا هذا وأي صبر، وكم قلت لو أن هؤلاء الذين يصبغون لنا الدنيا بلون الدم ورائحته المقيتة يتحلوا لثواني بروح أخس البشر لتجرعوا من السموم كل ما طالته أيديهم، تاركين ذكرى واحدة غير أليمة لكل من يقرأ سيرتهم ويرى نهايتها السعيدة، نعم وأي نهاية سعيدة تفوق نهاية هؤلاء المنتحرون؟!

أنا اضرب جمادك وأعلم أني كمن راح يحرث بين أمواج البحر متفائل يرمي بالبذر في الهواء ليقعد على الشاطىء منتظر الثمار والأشجار اليانعة!! اعلم أني هذا الأحمق وإلا فلما أتكلم معك اليوم وبهذه الحرارة؟ هي مجرد أحمق لا يعرف اليأس طريق في قلبه حتى يغافل عقله المريض ذلك اليأس بألف حجة وعذر ليفتح أبواب الأمل المترفة على مصرا عيها فأي غباء هذا الذي أصر عليه ؟ فكأن روحك أرسلت من طاقتها إليّ ما جعلني أتشابه معها في الصبر والتشبث.

أنتِ أصدق مني حديثًا وواقع، كل ما قلته لك كذبًا فلم نكن يومًا روحًا واحدة ولا جسد واحد ولا عقل واحد، نحن شركاء متشاكسون شظايا متناثر وويلٌ لمن راح يجمعها ... نُدمي كل يد اقتربت لتضمنا لبعض... نؤذي كل عينًا تُصوب إلينا ... فحتى الآن لم يُخلق من يستمتع بالنظر إلى شظايا البلور المكسور .

أنتِ أصدق مني واقعًا بل وأذكى مني، فقد فهمتِ حقيقة ماهية علاقتنا من اللحظات الأولى فلم تبادري يومًا إلى أن تجمعينا في لوحة واحدة حتى وإن اجتمعنا في لحاف واحد، اللحظة فقط فهمت كم أنتِ امرأة ذكية ونبيهة، لم تضيعي من وقتك ثانية واحدة في إصلاح بلورة سقطت من السماء السابعة لترتطم بصخور الأرض التي حولتها إلى تراب متناثر في إرجاء الشوك، وقمت أنا كغبي أحمق أحاول أن أجمع هذا التراب لأعيد صنع البلورة المكسورة، وحقًا لا أدري أهي سقطت من السماء أم من تخاريف عقلي، فأنا أعلم يقينًا إننا ما جمعتنا قط بلورة .

اليوم فقط وفي هذه اللحظة وللمرة الأولى أراك ملهمتي، وأشعر أني أريد ورقة وقلم لأكتب عن كل ما تجود به قريحتي من معاني أثيمة وسيئة... أريد أن أكتب عن الآلام، فأظن أني الآن في أفضل حالة لتصوير ما أشعر لأخرج للناس مالم يعرفوه أبدًا عن معنى الآلام، أشعر إن أرواح الموتى كلها تلبستني لأعزف أفضل مقطوعة صامتة، فأضرب على هذا الكمان الذي قطعت أوتاره ببضعة أصابع مبتورة أيضًا ليستمع الجالس من الأحياء لأفضل لحن لا يمكن أن يعزف قط، إنها مقطوعة العذاب، العذاب....ذلك الكنز الذي أورثتيني إياه بشكل لا ينضب بطاقته السلبية المتجددة.

عازف كمان حائر يجلس على مسرح يعلوه التراب ماسكًا بيديه كمان مقطوع الأوتار يتجول من حوله الفأران و يده مقطوعة الأصابع كل هذا وأمامه جمهورًا ينتظر.... أمامه جمهورًا كان يعلم أمجاده وكم طرب بألحانه الرائعة.. أكثر ما يخافه هو تلك النظرة الواثقة في أعينهم، تخالطه الظنون أهي ثقة في ماضيه أم إنها نظرات مشجعة، وليته يعلم ويقتنع أن حاضره لا يسمح له بهذه الجلسة عله يستريح ويكسر الكمان .

كانت هذه الكلمات التي ألقاها وحيد على مسامع زوجته كافية للفتك بقلب أي إنسان غير أنها لم تحرك ساكنًا! كأنها تخدرت منذ زمنٍ بعيد كأنها شربت للتو الترياق الشافي من كلماته الساخطة، فلم يكن يجدي معها مثل ذلك، بل إنها انتظرته حتى أنهى حديثه وانصرفت غير مبالية بشيء، دخلت إلى غرفتها وراحت تشاهد أحد أفلام الكارتون التي تحبها .

اندفع وحيد من المنزل لا يعرف وجهته يفكر إلى أين يذهب يشعر أن شيء ما يجثم على صدره يفكر في الذهاب للكافيتريا حيث ياسر ثم تتلاشى الفكرة سريعًا فياسر قد ترك هذا العمل من يومين، يفكر في فهد ولكن ما يدريه عل حاله أقسى من أن يسمع ما يؤلمه، خرج يمشي في الطرقات حتى تذكر المكتبة، فنظر في ساعته فوجد إنه لازال هناك ساعة ونصف على مغادرة حنين، ولكن ماذا يقول لها إذا قابلها ؟!

- قالت والضحكة تملىء وجهها : ازيك يا توتة عاملة أيه ؟

- الحمد لله، أيه بتضحكي على أيه ؟

- أبدًا لسه نازل بعد ما خطب خطبة عصماء، بيقولك إن أنا رضعته يأس.

- رضعتيه يأس، يعني أيه مش فاهمة ؟

- يعني هو أكيد في حاجة مضايقاه بره والا في الشغل أو مع باباه فقال يجي يفش غله فيا.

- اتخانقتوا تاني يعني ؟

- ما احنا على طول متخانقين، عادي هو بيقول الكلمتين دول وبعدين بيهدي ويبقى كويس، بس لازم يقولهم الأول علشان يعرفني إنه خلاص مبيحبنيش وإن أنا اللي كرهته في الدنيا والحاجات اللي إنتِ فاهمها دي.

- وهو نزل راح فين ؟

- ولا اعرف، هو أنا اعرف أي حاجة عنه.

- أنا مش قادرة افهم إنتوا عايشين كده ازاي ؟!

- أنا عن نفسي عايشه مع ولادي اللي هو مبيقعدش معاهم إلا كام دقيقة كده سبيه هو حر، أنا عن نفسي مستريحة كده، عارفة خلاص اتأقلمت إني لوحدي.

- لأ إنتِ بتكابري متأقلمتيش ومش هتعرفي تتأقلمي.

- لا يا بنتي بالعكس، أصلًا مذاكرة العيال مش مخليه في وقت لكلامه الفارغ ده، أنا مبقتش اسمعه وهو بيتكلم، مش مهتمة، كلامه مفيهوش جديد هي نفس الاسطوانة مبتتغيرش.

- ربنا يكون في عونك.

- أمين، هو ربنا يعوضني بولادي وأشوفهم حاجة كويسة ويبقى كفاية عليّ كده.

- بإذن الله هيبقوا أحسن ناس في الدنيا، كنت بفكر أجيلك النهارده بس خلاص مش هينفع مبحبش اجي والدنيا مكهربة كده.

- لأ عادي تعالي بقولك هو نزل وأكيد مش هيرجع إلا متأخر.

- طيب هحاول أعدي عليكِ.

*****

قطع وحيد حيرته وذهب إلى مساكن الشيراتون حيث فادي صديقة القديم، كان من أكثر الناس قربًا له ولكن الزواج ومشاغل الحياة استطاعت أن تبعد بينهم حتى صاروا يتهاتفوا كل بضعة أشهر ثم انقطع الاتصال تدريجيًا، ككل العلاقات المهملة والتي نظن أنها مازالت في خزنة محكمة الغلق تنتظرنا لنخرجها متى شئنا.

- يا فادي أنا مندهش منك، شخصيتك متعاكسة إلى حد غريب يصعب على أمثالي فهمها، يعني ازاي إنت قادر تعيش بالبسمة دي مع إن كل حاجة فيك جعانة على الأخر كلك حفر ومفيش ولا حفرة مليانه حتى اللي بتحاول تملاها مبتكملش، ازاي كده يا أخي؟ ازاي عارف تعيش بالتناقض ده ؟

- أنا أقولك، إنت المجال عندك واسع تقدر تطلق وتبدأ من جديد لكن أنا معنديش الأوبشن ده، الجواز الارثوزوكسي مفيهوش طلاق يا عزيزي، خلاص مربوط غصب عني وبعدين يا وحيد أنا كبرت، أنا عجوز ياض يعني تقدر تقول إن فرصي أقل كتير من فرصك لذلك لازم اعرف ازاي استثمرها وعلى فكرة أنا بحب مراتي وهي طيبة على الأخر، ولو فكرت هتلاقي إن العيب فينا احنا مش فيهم، احنا اللي عاوزين نمشي على المسطرة .

- مسطرة أيه؟ هو أنا لما أقول عاوز أعيش حياة البني آدمين تبقى مسطرة؟، لما اطلب إن يكون معايا روح في البيت مش كرسي تقولي مسطرة يا انهزامي إنت، عارف أكبر فرق بيني وبينك إنك منبطح بتنام للموجة لمجرد إنك شايفها على بعد ألف ميل عالية، مش مستني حتى لما توصلك لأ بتنام قبل الهنا بسنة.

- هنا أيه وسنة أيه؟ ، قولي إنت وصلت لأيه؟ أنا أقولك إنت وصلت لإنك بتقعد تحسد فيا على حكمتي في إني بعرف اصنع السعادة، لكن إنت فعلًا بتعرف تصنع المأساة بتقدر تصورها بشكل يخليك متعرفش تخرج منها، عارف ساعات كتير بضايق من قرائتك عاوزك تبطل تقرأ شوية بيتهيألي حياتك هتتعدل .

- وحيد ضاحكًا ملىء شدقيه: عاوزني جاهل يا جاهل؟

- مش دايمًا العلم مفيد.

عندك حق... لكن عارف أنا لو بطلت أقرأ أموت، حاجة كده زى السمك والميه لازم أقرء علشان أفضل فاكر أنى موجود واني صح، لازم أقابل الناس اللي مش عارف أقبلها في الحقيقة في الكتب، لازم أقابل حد يا فادي يتكلم بطريقه قناعاتي تقدر تفهمها وتتقبلها.

- بس إنت في الواقع محتاج تنسى مش تفتكر.

- في الواقع أنا محتاج أموت.

- طيب مفكرتش تنتحر؟

- مين قالك فكرت ونفذت كمان، ما أنا روحي هي اللي بتكلمك دلوقتي.

- بصراحة يا وحيد أنا ضد فكرة إنك تطلق عمومًا، شايف إنك تيجي على نفسك شوية ده أفضل كتير خصوصًا علشان الأولاد.

- هو أنا كل ما اكلم حد يقولي الأولاد ؟!

- مهو احنا بنتكلم بالواقع اللي مش عاجبك.

- ولا هيعجبني يا فادي، بقولك أيه أنا مخنوق عاوز أمشي.

- طيب استنى هنزل معاك.

- لأ محتاج أتمشى لوحدي شوية سلام.

- سلام.

*****

كانت حنين في المنزل تنتظر عودة زوجها من العمل وكانت تفكر في كلام وحيد وتحاول أن تراجع نفسها علها أخطأت في حق ذلك الزوج العازف عن الفراش، تهيأت كما تصنع النساء وانتظرته ممنية نفسها بالأمنيات، لما دخل عليها كان يبدو على روحه الصفاء وقال:

- ازيك يا حبيبتي أنا عازمك النهارده على الغدا بره.

- ده أنا عاملة الأكل اللي بتحبه.

- أنا قولت أكيد هترجعي تعبانة، وبعدين قلت بعد الغدا ممكن نركب مركب على النيل وهناك عاوز اتكلم معاك شوية.

- زي ما تحب، يعني أجهز نفسي للخروج ؟

- أه يلا وجهزي العيال مش عاوزين نتأخر.

أسرعت في ارتداء ملابسها وخرجت عليه في ثيابها الفاخرة مخضبة بذلك العطر المثير، وفي ثياب الملكات خرجت مع زوجها ليتناولوا وجبة الغداء.

وفي المركب النيلي :

- حنين إنتِ عارفة أنا بحبك أد أيه، وأنا فعلًا مقدرش استغنى عنك، ثقتي فيكي ملهاش حدود، مقدرتش اتخيل البيت من غيرك.

- بس إنت مبتعملش أي حاجة اطلبها منك، مبتفكرش غير في نفسك وبس، مبتحاولش ترضيني في أي حاجة.

- يعني أنا عازمك على الغدا وقاعدين في مركب على النيل ومش عاوز ارضيكي ؟!

- أنا مفتقداك في حياتي مفتقدة إنك تكون موجود معايا، أصحابك واخدين كل وقتك.

- أنا بزهق من قعدة البيت وبقولك يلا نخرج وإنتِ اللي مش بتوافقي.

- حتى لو خرجنا مبنتكلمش في حاجة بنقعد ساكتين وبرضه إنت بتقعد تتفرج على التليفزيون في الكافيه يبقى احنا خرجنا ليه؟

- بصي يا حبيبتي لازم تفهمي إن الرومانسية عمرها ما كانت بالكلام ... الرومانسية أفعال، يعني احبك يبقى أعملك حاجة كويسة مش أقعد جنبك أقولك كلام حب.

- أيوه يا حبيبي لكن إنت اللي لازم تفهم إن أي ست تحب تسمع كلام يزغزغ أنوثتها يحسسها إنها حلوة، وبعدين إنت عارف إني مش مبسوطة في العلاقة.

- بلاش تتكلمي في الحاجات دي هي بصراحة بشمئز منها وبحس إنها قلة أدب وبعدين الحياة مش كلها كده.

- أنا مبقولش كلها لكن جزء منها.

- طيب ما الجزء ده إنتِ واخداه.

فنظرت له في غيظ...

- لأ مش واخداه ومدام اتكلمت معاك يبقى لازم تعرف إن الموضوع فيه مشكلة ولازم نحلها مش نهرب منها.

- طيب وهو أنا على أيدك مش عملت أكتر من عملية؟ ربنا مش كاتبلي بقى اعمل أيه ؟

- لأ الدكتور كتب على علاج وإنت مرضتش تخده ولا حتى علشان خاطري.

- طيب ينفع تعدي اليوم كويس ونرجع مبسوطين ؟

- هو احنا أصلًا خارجين ليه مش علشان نتكلم ؟

- أه وخلاص اتكلمنا وأنا صالحتك ومش عاوزك تكبري المواضيع وتديها أكبر من حجمها، المهم عاملةأيه في الشغل ؟

- الحمد لله كويسة.

- مبسوطة يعني ؟

- أه أحسن من الأول.

- مطلبتيش زيادة.

- هو أنا لحقت اشتغل علشان أطلب زيادة ؟

- ماشي بس يعني المفروض إن هو من نفسه يزودك.

- أنا أهم حاجة عندي إن المعاملة كويسة وبيعتبرني زي بنته وفي مجال أنا بحبه.

- طيب يا ريت تهدي بقى وتستريحي.

*****

بعد عدة أيام...

ذهب وحيد إلى المكتبة فوجد حنين جالسة في مكانها المعتاد كالشمس في وسط السماء، كانت تبدو في هذا اليوم أجمل من اليوم السابق بوجهها المشرق وعيناها اللامعتان.

- صباح الخير.

- صباح النور متوقعتش تيجي بدري النهارده.

- أنا كمان متوقعتش.

- اتفضل استريح.

سحب الكرسي وجلس أمامها.

- أخبارك أيه يا حنين؟

- الحمد لله بخير، مالك؟ شكلك مرهق.

- منمتش كويس امبارح.

نظر فوجد في يدها كتاب باللغة الألمانية فسألها:

- ده ألمانى الكتاب ده ؟!

- أه ليه ؟

- إنتِ على كده بتقري ألماني كويس.

- أنا بتكلم الفرنسية والألمانية بطلاقة.

- وعلى كده بتجيدي العربية ؟

- أظن إنى بكلمك دلوقتي عربي!!

- لا مقصدش العربية اللي هي لغة الشارع أقصد العربية التي حين تضيء ينطفى لضوئها كل لغات العالم.

- ردت متجاهلة كلامه : ناوي تستعير كتاب المرة دي والا زي المرة اللي فاتت؟

- بصراحة زي المرة اللي فاتت، أنا مش جاي أخد كتب، أنا أصلًا مش قادر أقرأ أي حاجة حاسس إن في طبلة بلدي في دماغي.

- ألف سلامة عليك طيب ما تروح تكشف عند دكتور.

- لأ أنا مش من الناس دي خالص، أنا اكشف على الناس لكن محدش يكشف عليّ

- حنين ضاحكة : هو إنت دكتور والا أيه ؟

- أه أنا الدكتور اللي مدرسش الطب علشان كده فضل دايمًا يجي متأخر.

- متأخر!

- أه بعد ما العيان يموت.

- هو إنت دكتور والا ...

- أه دكتور طبعًا، دكتور برتبة حانوتي.

- لأ بس إنت فعلًا شكلك تعبان ومحتاج تروح تكشف.

- ما أنا لو كشفت هيكتبلي دوا.

- وأيه المشكلة ؟!

- إني مش هاخده ولا حتى هشتريه.

- ليه؟

- لأن الدكتور هو اللي هيشخص ومش هيسمع كلامي، أنا أصلي أمراضي متخفية أنا بس الي أعرفها ولسه حتى الآن مفيش حد اتخصص في أنواع الأمراض اللي عندي.

- الاكتئاب تقصد ؟

- لأ الأمل، أنا إنسان مريض بالأمل مفيش دكتور عرف يديني وصفة ناجحة في القضاء على الأمل.

- أعوذ بالله ليه عاوز تقضي على الأمل، ده الأمل ده هو اللي بيخلي الناس تعيش ولو مكنش في أمل كان زمانا كلنا انتحرنا.

- ومين قالك إني عاوز أعيش ؟!

- إنت لسه شاب وقدامك الحياة والمستقبل، والفشل في حاجة مش معناه نهاية الدنيا لازم تكون أقوى من كده، لازم تجرب تاني وتالت لحد ما توصل ومتسبش حاجة تخليك تفقد الأمل.

- أهو ده نفس كلام الدكاترة اللي مش قادرين يشخصوا حالتي، مشكلتي بالظبط في اللي إنتِ قولتيه ده إن الفشل في حاجة مش معناه نهاية الدنيا، على فكرة الكلام ده كله غلط وكذب كمان، في حاجات الإنسان لما بيفشل فيها مبيعوضهاش أي نجاح تاني، وأنا مشكلتي بقى إني مصمم أعوض الواقع والحقيقة اللي أنا عارفها ومتأكد منها إن كل ده كذب ورغم كده غصب عني عندي أمل.

- وحيد، أنا بيتهيألي إنك بتتكلم عن حياتك الزوجية، أنا طبعًا مليش إني ادخل فيها لكن حتى لو زي ما إنت بتقول إنك فشلت فيها حاول تنجح في أي حاجة تانية، اخرج أتفسح شوف ناس اتكلم معاهم حاول تعوض أي حاجة، مش لازم تصلح حد بعينه.

- إنتِ مقتنعة بالكلام ده ؟

- إنت طبعًا مش مقتنع..

- أنا مقتنع إن الأمل بيخلي الإنسان دايمًا تعبان زي حالتي كده، هو إنتِ جربتي طعم الخذلان ؟

- قالت بنبرة حزينة : أكيد.

- أيه رأيك في طعمه ؟

- صعب جدًا وخصوصًا من حد بتحبه.

- أهو الأمل هو اللي بيجيب الخذلان ده، لو مفيش أمل يبقى مفيش بكرة وساعتها مش هتستني حاجة، مفيش حد بيحس بالخذلان من غير أمل، تتعشمي قوي فتتصدمي قوي، وبعدين أنا النتائج عندي غريبة ومبالغ فيها، يعني ابقى مستني التفوق ألاقي نفسي سقطت!! طب تيجي ازاي دي؟ المفروض إن اللي منتظر التفوق خذلانه إنه ينقص كام درجة لكن يسقط ؟!! أنا بقى بسقط، عارفه بجيب صفر.

- هو إنت بتشتغل أيه ؟

- أنا من الموظفين في الأرض، بس الوظيفة دي دور بقوم بيه الصبح وخلاص، بس أنا عمري ما كنت من جوايا موظف، كنت دايما بحلم إني هبقى أي حاجة إلا موظف.

- فاكر المرة اللي فاتت لما كنت عاوزة اسألك سؤال ؟

- أه أكيد فاكر بس لسه مش عاوز أجاوب.

- ليه؟!! إنت عارف فعلًا السؤال ؟

- أه عندي فكرة عنه.

- طيب أيه هو ؟

- خلاص اتفضلي اسألي.

- لأ قول إنت طالما عارف السؤال.

- مقدرش طبعًا أقول.

- ليه؟

- علشان العقل البشري يأبى.

- يأبى أيه؟

- يأبى إن مخك اللي هو المفروض ملكك لوحدك، إني ادخل اقعد جواه واتفرج على كل الأفكار اللي بتدور فيه، بيني وبينك هي فعلًا حاجة تغيظ، يعني أيه الواحد يبقى قاعد في أمان الله وفجأة يلاقي واحد نط جوه دماغه وبيتفرج على أفكاره حاجة تفرس مش كده ؟

- إنت متأكد قوي كده إنك عارف اللي أنا عاوزة أقوله ؟

- أنا عارف إن مخك لحد دلوقتي في مرحلة الإباء، معترض وعمال يقولك إني بوقعك في الكلام، طب أقولك الأصعب؟

- اتفضل.

- عارفة لو قلتلك بالظبط إنتِ بتفكري في أيه، وأيه السؤال اللي عاوزة تسأليه مخك فورًا هيغير السؤال وهيديلوا تاريخ قديم كمان علشان يفضل محتفظ بخصوصيته ليه لوحدة وميصدقش إن في ناس بتعرف تقتحم العقول وتدخل وتقعد وتدعبس.

- على فكرة أنا أول مرة اسمع الكلام ده..

- غالبًا هتسمعي مني كلام كتير عمرك ما سمعتيه، أصل أنا فليسوف شوية ومن عشاق علم النفس بس ليا نظرياتي الخاصة.

- ودي واحدة منهم ؟

- أه طبعًا.

- طيب أنا مصممة إنك تقولي السؤال اللي بيدور في دماغي دلوقتي؟؟

- بس إنتِ دلوقتي دماغك مشغولة باللي أنا قولته والسؤال أكيد تاه من راسك.

- هستحضر السؤال وإنت ادخل اقرأه.

- حاضر من غير ما اخبط، اتفقنا ؟

- اتفقنا، يلا قول.

- طيب ما أجاوبك على طول، أنا خلاص قريت السؤال وهجاوب إجابة نموذجية.

- قالت ضاحكة : دي مراوغة بقى، طب جاوب أما نشوف.

- أيوه أنا وحيد سامي اللي كنتي بتبعتيله الروايات.

ورغم قوة إحساسها من البداية إلا أنها نظرت مندهشة.

- ليه مرضتش تجاوب المرة اللي فاتت ؟

- مش عارف.

- أكيد الكتب اللي بعتهالك مكنتش بتعجبك.

- بالعكس أنا عمري ما كنت بحب أقرأ كتب رومانسية، بس إنتِ غيرتي وجهة نظري.

- كويس إن زوقي عجبك.

- عجبني جدًا واداني دافع إنى اكتب رومانسي مع إني عمري ما فكرت اكتب رومانسي.

- هو إنت بتكتب ؟

- لأ زمان كنت بكتب يمكن من خمس سنين كده بس كانت كتابات سياسية، دلوقتي كل فترة اكتب حاجة كده زي المقالة، في جفاف عندي في الموضوع ده.

- كان نفسي اعرف اكتب، في حاجات كتير بحس إني عاوزة أقولها واكتبها بس الكتابة دي موهبة.

- مش موهبة ولا حاجة أي حد مثقف ممكن يكتب.

- لأ طبعًا، شايف الكتب اللي ماليه المكتبة دي كلها كاتبها مثقفين لكن كام كتاب عليه الإقبال وكام كتاب هيفضل عايش حتى لما يموت صاحبه ؟

- أنا بكتب من زمان لكن عمري ما حسيت إني موهوب، بس أنا بطلت اكتب من فترة كبيرة فعلًا.

- عارف إنت المفروض ترجع تكتب تاني، لما تبقى فرحان اكتب، ولما تبقى حزين اكتب الكتابة هتخليك أحسن، يعني إنت لازم تنمي موهبتك.

- أجرب... عارفة أنا بكلمك على نفسي من خمس سنين بيتهيألي لما ارجع النهارده وأحاول ممكن اتفاجىء إني مبعرفش اكتب.

- لأ الكتابة موهبة زي الرسم ممكن في الأول متبقاش بالمستوى اللي إنت عاوزه لكن بعد فترة هترجع أحسن من الأول كمان.

- ماشي أجرب.

- توعدني ؟

- أوعدك.

وفي أثناء حديثهم دخل ياسر إلى المكتبة.

- ازيك يا وحيد عامل أيه بقيت تيجي هنا من غيري خلاص.

- ازيك يا ياسر أخبارك أيه ؟ وأخبار شغلك الجديد استلمت والا لسه ؟

- لأ لسه، ماهو إنت لو بتسأل كنت هتعرف، ازيك يا حنين.

- الحمد لله بخير اتفضل.

- طيب إنت قاعد والا هتاخد كتاب وتمشي.

- لأ أنا قاعد.

- طيب كويس علشان اقعد معاك، عاوزك تختارلي كام كتاب كده على ذوقك.

نظر وحيد إلى حنين مبتسمًا فهو لم يأتي مبكرًا إلا لينفرد بالحديث معها أطول فترة ممكنة ولكن كان للقدر رأي أخر.

- طيب يلا نقوم نشوف الكتب.

*****

كانت حياة وحيد تدور كعادتها لا شيء فيها يستحق الذكر، الوظيفة صباحًا ثم المكتبة ثم المنزل المشحون بالخلافات الزوجية ولكن الشيء الجديد هو إقباله على الكتابة من جديد فقد أخذ بنصيحة حنين التي أصبح يراها كل يوم تقريبًا بل وصارت بينهم مهاتفات يومية، وفي البداية كان يكتب وبمجرد أن ينتهي من الكتابة يعيد قرائتها ولا يستطيع أن يكمل ما كتب حتى يكون قد مزقه كله وألقى به في السلة التي بجواره، وفي ذات مساء دخلت عليه زوجته حين كان منهمك في الكتابة وقالت :

- على فكرة لو قمت تذاكر للعيال هيكون أحسن من اللي إنت قاعد تكتبه ده على الأقل هيبقى ليه فايدة.

نظر لها في شرود وهو يلملم أوراقه بعد أن تناول ورقة غير مكتملة كان يكتبها وطواها ودسها في جيبه وخرج من الغرفة وهو يقول:

- عندك حق.

واستمرت الأيام برتابتها حتى دخل المكتبة صباحًا ووجد حنين التي صار يبحث عنها كلما أراد أن يتكلم.

- ازيك يا حنين.

- مالك يا وحيد أنا ليه بقيت كل ما اشوفك أحس إنك حزين عن اليوم اللي قبله ؟

- نظر إليها بحنان مشوب بحزن : أنا تعبان جدًا يا حنين، نفسي اتكلم بس مش عارف.

- قالت بدهاء : اتكلم معايا مش إنت قلت إني قريبة منك وإنك بترتاح للكلام معايا ؟

- هو أنتِ ازاي بتعرفي تأثري عليّ يا حنين ؟ ازاي بتعرفي تغيريني ؟!

- أنا غيرتك فعلًا ؟!

- غيرتيني جدًا خلتيني رجعت أحب حاجات كنت خلاص نسيتها مش عارف ليه، مش عارف أفسر أمور كتير بتحصلي، على فكرة أنا كتبت زي ما اتفقنا وجبتلك اللي كتبته علشان تشوفيه.

تناولت منه الورقة ودستها في حقيبتها من غير أن تفتحها.

- مش هتقرأيها ؟

- أكيد هقرأها لكن مش هنا أنا أحب استمتع وأنا بقرأ، وبعدين دلوقتي أنا عاوزة اقعد معاك.

- محدش بياخد اللي هو عاوزه، كل حاجة في الدنيا دي ناقصة، كتير كان بيصعب عليّ نفسي وأنا عمال أدور في الناس عن حد يكملني، كنت دايمًا بقول لنفسي إن ده وهم، وإني مكتوب عليّ العذاب، أنا معملتش أي حاجة حلمت بيها يا حنين أنا أجلت عمري لأجل غير مسمى، عارفة كشاف الضوء اللي بيظهر وسط العتمة لما بتبقي خلاص فقدتي الرؤية وفقدتي التوازن وفقدتي إحساس المتعة بالحياة ؟

- إنت لقيت الكشاف ده فعلًا يا وحيد ؟

نظر إلى عيونها التي تلمع أمامه بصمت ثم أطرق رأسه إلى الأرض، كان يحبس دمعة تحاول أن تغافله وتنطلق ولكنه استطاع ألا يفلتها.

- أظن إني لقيتها مش عارف أنا أيه حكايتي مع الوقت المناسب، عارفة أنا طول عمري بروح شغلي متأخر وكل حاجة أعوزها أوصلها متأخر، بروح أدور على الحاجة بعد ما بتكون خلصت، لازم اسمع مع كل أمل أو حلم كلمة يااه لو كنت جيت بدري شوية !

- وحيد إنت لازم تبدأ من جديد، مينفعش حياتك تقف أبدًا، لازم تبدأ حياة جديدة، على فكرة ده ممكن جدًا وممكن كمان تلاقي كل اللي كنت بتدور عليه

- تفتكري هلاقيه ؟

- أظن إنك هتلاقيه.

- بس أنا ظروفي سيئة جدً ا، أنا متجوز وعندي أطفال، أنا تقريباً خلاص اتحكم عليّ بالإعدام.

- لا إنت مش أول حد يمر بتجربة صعبة، إنت تقدر تعمل بداية جديدة.

- بحب ولادي جدًا يا حنين.

- مش مطلوب منك تكرههم، مطلوب بس تعمل بداية جديدة.

- على فكرة أنا كنت أتمنى أقابل حد زيك من زمان.

- على فكرة إنت في حاجات كتير معرفتهاش عني.

- يكفيني اللي عرفته عنك، يخليني أقول إن ممكن يكون في العمر حاجة حلوة والا إنت أيه رأيك؟

كانت حنين قد سرحت مع كلمات وحيد فالحلقة لا تزال مفتوحة لم تتصل بعد، يأخذها خيالها لأماكن عدة لا تدري بالظبط ما يقصد وحيد فكلماته لا تحمل إلا ألم وندم.

- ها.

- مالك سرحتي في أيه ؟

- لا مسرحتش أنا معاك.

- مجاوبتنيش لسه في العمر حاجة حلوة ممكن نعيشها يا حنين ؟

- قولي إنت بطلت تاخد كتب ليه ؟

- نظر لها بألم : علشان بقيت مشغول بيك أكتر من الكتب.

- قالت متلعثمة : في حاجات كتير عاوزة أناقشك فيها.

- إنتِ عارفة إن عنيكِ بتلمع ؟

- أه بابا كان بيقولي كده.

- بقالي كتير متأملتش عيون فيها كمية الكلام دي.

- بس أنا عوزاك تركز في البداية الجديدة وعلى فكرة ولادك عمرهم ما هيكونوا عقبة.

- فعلًا ؟! احلفي...

- تلعثمت أكتر وقامت تنادي على أسماء وريهام، أيه يا بنات إنتوا فين مش باينين يعني.

جاءت ريهام على أثر صوت حنين :

- عاوزين تشربوا حاجة والا أيه ؟

- أه أنا عاوزة نسكافية تشرب أيه يا وحيد ؟

- اشرب قهوة.

- حالًا هيكونوا عندكم.

- حنين مالك ؟

- مالي يا وحيد ؟

- مش عارف.

- أنا كمان زيك في حاجات كتير يمكن تيجي فرصة واحكيلك عن حياتي تقريباً إنت متعرفش عني حاجة.

- بيتهيألي في المكتبة هيبقى صعب، أنا عاوز أقابلك بره.

- لأ مش ممكن يا وحيد مش أنا بقولك في حاجات كتير عاوزة احكيهالك وبعدين احنا بنتكلم في التليفون.

- شايفه إنه كفاية ؟

- بيتهيألي إنه كفاية.

قام وحيد واقف واتجه نحو الباب بسرعة.

- أنا ماشي يا حنين ومش عاوز القهوة متنسيش تشوفي الورقة.

قالها وغادر المكان دون أن يترك لها أي فرصة للرد، تركها في حيرة واستغراب يا ترى ماذا فهم؟ وماذا كتب في هذه الورقة؟، كانت دقات قلبها تتسارع عندما أمسكت الورقة في يدها كالذي يصارع إحساس داخله أن لا تفتح الورقة ولا ترى ما كتب فيها، كأنها تهرب من شيء تعرفه وتشعر به، كانت تهرب من تلك المشاعر المتدفقة من

عيون وحيد والتي لم تخطىء قلبها، وضعت الورقة أمامها من غير أن تفتحها وكانت تنظر إليها وتتذكر ابنها طارق وبنتها تسنيم و تتذكر تعاستها مع زوجها، يترائى أمامها شبح لأشخاص كُثر ومواقف وذكريات، سرحت كثيراً في خيالها الذي صار متشابك، جزء في قلبها يدفعها نحو المجهول وعقلها كله يدفعها نحو الهروب.

- اتفضلي النسكافية، هو فين الأستاذ وحيد ؟

- مشي يا ريهام.

- هيرجع تاني اسيبله القهوة ؟

- لأ خديها معاكِ.

رجعت حنين لتلك الورقة المطوية أمامها وراحت تفتحها بوجل وخوف فكان فيها :

قالوا: لحظة حب تبرر عام كامل من الإنتظار

كنت كثيراً ما أفكر هل حقًا أعود يومًا ؟

إنها الكتابة، الورقة والقلم سلاح كل ناقد وعتاد كل أديب منذ فارقتهم لم أستطع أن أرجع إليهم وإن رجعت أحيانًا فليس بنفس القوة المعهودة- فمنذ أن فارقتهم - وأنا لا أجدني لا أجد نفسي ليس فقط التي طالما حلمت بها ومعها ولكن حتى نفسي هذه التي بين جنبي .

فهل حقا عدت إليهم بعد فراق طويل أم تراني لم أعُد ؟

ظننت في أول الأمر أن زواجًا أرثوذوكسيًا قد تم بيننا وما لبست حتى قابلتها لتثبت لي إنه إما كان نزوة عابرة أو جنين كتب عليه الإجهاض في شهور تمامه .

وعلى كلٍ فقد فارقتها، والأكثر ألم إن الفراق كان طواعية أو تخلي من جانبي وإن كنت لا أجيد معنى التخلي .

ورغم كوني مبعثرًا حتى الأفكار، إلا أني أرى الطيف يلوح وعلى غير المألوف من قريب، لا مبشرًا وممنيًا بالعودة ولكن مخبرًا بها ومؤكدًا عليها وكأني استلهم روح غارسيا ماركيز أو هوميروس صاحب الرائعة وتنتابني حالات الرقة الشديدة للورقة والقلم .

وكأني أكلم نفسي وأسألها عن سر هذا الطائف الليلي الذي يحرك يدي بالكتابة وكأنه رب خجل متواري لم يستطع أن ينطق فكتب، وربما أحساس خفي تسلل ومن خلف المنصة الأدبية ينطلق، ورغم أنني أرى أن البلاغة في أوج عزتها تكمن وتتربع في كلمات بسيطة إلا أني أجنح إلى الغموض والتورية، وعزائي أني ما عرفت من البلاغة إلا اسمها وعبيرها حبًا يترقرق بين الفؤاد ومزيد احترامًا أكنه لها وفقط.

ماذا كنت تنتظري مني حين أرجع للكتابة؟ أسطور مهندمة وأبيات متراصة؟

خذيها منى وتفهمي- ورغم أني لم يتاح لي شرف أن أعلمك- إلا أني سأقولها لك وأنا مرتفع درجة أخذًا موقع الخطيب علها تنزل منك منزلًا أردته :

إذا ضاقت الدنيا بالرجل ف للمرأة يلجأ، لا ليحتمي ولكن ليحمي نفسه بنفسه في ظلها ويمدد قلبها وكأن دقات قلبها هذه حجر الزاوية في صموده، فإذا لم يجدها كانت الويلات، أما وإن لقى غيرها من جامدات العقول مصدئات المشاعر فهي نكْبته التي هي نَكَبته، وتراه ركام من المشاعر التي قد تكون باتت غير مفهومة أو متشابكة ومشتتة، فإذا نزلت إلى القاع يدًا خاطفة وتعلق بها ليخرج وبرى له القلم واجتمعت له أوراقة فلا تنتظري منه في أول أمره إلا تخاريف و صيحات على ورق سطره حبره كأنه دمه وليس سطور مهندمة وأبيات متراصة !! ولكن انتظري منه المزيد فقد تري يومًا ما يسرك..

عزائي أنكِ لم تحضريني وأنا أصارع النفس يومًا وأكبح جماحها، لتعجبتي حينها وتركتي التعجب الآن...

ولا أدرى كيف يكبح الإنسان جماح نفس هي تركبه ؟؟

تطاوعني نفسي أن أتكلم عن المشاعر- بل وعنها- تدري لماذا؟ هي في شأن النساء قريب وإن شئت قل أديب أريب، حلقت يومًا في سماء قلوبهن وسقطت في أخر الطريق جريح، بدأت بأنهن رياحين خلقن لنا وكلنا يشتهي شم الرياحين و.....

أعادت حنين قراءة الورقة مرات عديدة، ورغم غموض ما فيها إلا إنها فهمت تحديدًا ما يقصد وما يرمي إليه من هذه الكلمات، احتفظت حنين بهذه الورقة المعطرة بين أشيائها الخاصة وكانت كلما سنحت لها الفرصة تطالعها وتتأمل كلماتها، تبحث عن نفسها فيها وبين سطورها.

وفي المساء هاتفته..

- ازيك يا وحيد ؟

- الحمد لله يا حنين عاملة أيه ؟

- ممكن أعرف إنت مشيت ليه ؟

- قريتي الورقة ؟

- أه قرأتها وعاوزه أقولك إنها عجبتني جدًا، رغم إن كلماتك صعبة إلا إنها جميلة وشدتني جدًا، حسيت إني بقرأ لكاتب من الكتاب وطريقتك كمان وأسلوبك يشبه كاتب أنا بحبه جدًا.

- على فكرة أنا تقريباً كتبت علشان خاطرك، علشان وعدتك..

- إنت لازم تكتب يا وحيد مينفعش تقف بس أنا عاوزاك تكتب حاجة طويلة.

- قصة مثلًا ؟

- أه أو رواية أنا عجبني أسلوبك جدًا.

- قال ضاحكًا : رواية مرة واحدة مش قوي كده مكانوش كلمتين هيخلوكي تصدقي إني بعرف اكتب.

- على فكرة إنت موهوب والموهبة بتحتاج تتنمى مش إنك تفضل تنكرها وإلا هتلاقيها في وقت خلاص بعدت عنك ومتعرفش ترجعها تانى.

- المهم إن الكلام كان واضح والا عاوزة تستفسري عن حاجة في الورق ؟

- لأ كان واضح وعلى فكرة أنا كتبتلك رد على الورقة.

- واخده إمتى ؟

- لما تروح المكتبة أنا سايبهولك هناك هي مش هروح اليومين الجايين زي ما إنت عارف.

- الأجازة دي حاجة صعبة مش عارف ادخل المكتبة وإنتِ مش فيها اتعودت إنك تكوني موجودة حتى لو هتمشي بعد شوية

- بإذن الله يومين وهكون موجودة.

- والورقة سبتيها فين ؟

- هتلاقيها في صف الروايات في الرواية الرابعة في الرف الأخير.

- تمام.

وبعد أن أغلقا الهاتف كان يفكر يا ترى ماذا كتبت في هذه الورقة هل تراها ترفضه؟ تقول له مالك ومالي ؟ وما لبث كثيرًا حتى ارتدي ملابسه وتوجه بلهفته إلى المكتبة ليبحث بين الأرفف عن روايته المنتظرة التي تحمل له من الأخبار مالا يدري فربما كانت بها كلمتين أو أكثر فتحوا له أبواب السعادة أو أبواب الجحيم، وبين رفوف المكتبة الكثيرة المكتظة بالكتب كانت تقبع رواية حب تحت المطر- لجيسيكا ستيل - هذه الرواية التي اختارتها حنين لتضع بين ثناياها الورقة، سحب وحيد الرواية من بين الكتب وراح يقلب سريعًا فإذا بالورقة قابعة تنتظره، أخذها على عجل وتوجه إلى المكان المعد للقراءة وهناك فتحها..

وماذا بعد الإنتظار .....

إن ما تكتبه أيها الشاعر ليس بتخاريف ولا بصيحات على ورق حبره دمك ولكنها أبيات شعر مدفونة داخلك، مشاعر واريتها تحت التراب وهي حية على أمل أن تموت أو أن ينتابك النسيان مثلما ننسى من فقدناه ووارياه في

التراب

فأطلق يداك لقلمك، وفك قيد أسير يطوق للتحليق في سماء شعره، ولتعلم إنه الشيء الوحيد الذي هو بلا قيود ولا حدود ولا حصون وقلاع، ولترى الكون كله كحبة عنب

وحلق كيف تشاء أيها الطائر فبعد جرحك قوتك، وحكمتك بألا تسقط جريحًا وكن كما عهدتك في حيوات أخرى.

طائرًا جسورًا محلقًا بسمائه، رقيقًا ببحور قلوبهن.

أعاد قرائتها مرات عديدة لكنه لم يفهم شيء، ماذا تعني؟ وماذا أرادت ؟ هل فهمت ما كنت أخفيه بين السطور وتجاهلته؟ أم أن هذا ردًا دبلوماسيًا على ما فهمته ؟

وانطلق وحيد عائدًا إلى بيته وهو يفكر في تلك الكلمات التي أثارت وجدانه، حتى التقى بصديقه فهد على شبكة الإنترنت وأخذ يقص عليه القصة ويقرأ له ما كتبته.

- يا فهد أنا عاوز افهم أنا مش فاهم حاجة.

- ليه بس يا وحيد ماهي كلامها واضح جدًا.

- واضح ازاي!! طيب فهمني..

- بتقولك توكل على الله واشتغل في الكتابة وهتبقى كويس.

- إنت بتهرج بقى، يعني أيه ؟

- يعني زي ما بقلك هي فعلًا عندها حق وأنا قلتلك كتير إنك موهوب في الكتابة، اسمع كلامها وأنا بصراحة شايف إنك من يوم ما ابتديت تكلمها وإنت كتابتك بقت أعمق وأحلى، ماهو في ناس كده بيفجروا الإلهام جوا الواحد.

- هو أنا بحبها يا فهد ؟

- مش عارف أكيد إنت اللي تقدر تقول.

- لأ أنا مبحبهاش هي مجرد ست روحها جميلة وبتفهمني وبتشجعني يعني هي صديقة مش أكتر.

- تمام وده أفضل في حاجات كتير أهم من إنك تكون بتحبها.

- يعني أيه ؟

- يعني إنت متجوز ومعاك عيال ربيهم بقى يا معلم.

- روح يا أخي الله يسد نفسك.

- ضاحكًا: ليه بس مش إنت بتقول مبتحبهاش وإنها عادي يبقى فين المشكلة؟، استفيد من تحفيزها ليك واشتغل صح..

- أه طبعًا حب أيه يا فهد ما خلاص بقى الوقت عدي، يا ريتني كنت قابلتها من زمان يا أخي.

- لا يا عسل الكلام ده مش حلو عليك روق كده وصلي على النبي.

- عليه الصلاة والسلام، متقلقش يا سيدي أنا بقول لو...

- طيب يا بتاع لو...

- أخبار شغلك إنت أيه ماشي تمام ؟

- أه تمام لحين إشعار أخر.

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

*****

كانت حنين جالسة فى غرفتها تفكر وهي تطالع خطابه السابق، ماذا يجدي أن أقابل الحب بعد أن تزوجت وأنجبت ؟ لماذا أجد هذا الوحيد مرسومًا داخلي على هذه الهيئة الرائعة ماذا فعل لي؟ وكيف استطاع أن يمتلك عقلي لهذا الحد الذي جعلني أقرأ كلماته عشرات المرات؟؟، وما عساه يفعل حين يعلم بأمر زواجي وأبنائى ؟ لم تكن حنين تستطيع أن تحدد لماذا تفكر أصلًا في شأن هذا الرجل، كانت تطرد أحاسيس تجتاحها من جوانب عدة، كانت كريشة طاووس اقتلعتها تيارات حب أرسل في عاصفة، دخل عليها زوجها :

- حنين جهزيلى اللبس علشان نازل.

- رايح فين ؟

-أبدًا هبص على حاجة كده واجي.

- حاجة أيه ؟

- مفيش أسامة كان مستني على الكافيه هروح أقعد معاه شوية.

- تاني، مش هتقعد معايا يعني؟

- يا حبيبتي إنتِ أصلًا شكلك تعبانة نامي وبكرة نقعد مع بعض.

- طيب.

ثم انصرف بعد أن ارتدي ملابسه وخرج، حملت حنين ابنها طارق الذي نام من نصف ساعة ووضعته في فراشه ودخلت إلى غرفتها وأمسكت الهاتف لتتصل على وحيد.

- ازيك يا وحيد توقعت أكلمك النهارده ؟

- توقعت إني مش ههون عليكي وإنك هتكلميني حتى يوم أجازت، ازيك يا حنين؟؟

- بخير...

- صوتك بيقول غير كده...

- إنت ازاي بتفهم صوتي كده؟؟

- يمكن علشان هو صوتك، على فكرة أنا روحت امبارح وأخدت الورقة.

- امبارح !!

- أه مقدرتش استنى روحت المكتبة بعد ما قفلت معاك، حنين أنا قريت الورقة من امبارح أكتر من خمسين مرة، بس أنا مش فاهم حاجة.

- ليه ؟

- مش عارف يمكن علشان محتاج أقرب.

- على فكرة إنت قريب.

- لأ أقرب أكتر أكتر يا حنين.

- فاكر لما قلت إنك دايمًا بتيجي متأخر؟؟

- أه فاكر، جيت كمان المرة دي متأخر ؟

- مش عارفه.

- حنين أنا محتاج أشوفك بعيد عن جو المكتبة محتاج اتكلم معاكِ براحتي.

- صدقني مش هينفع.

- لأ هينفع، خليه ينفع علشان خاطري.

- ما احنا بنتكلم أهو.

- لأ عاوز أشوف عنيكي، عاوز أكلمهم أنا متأكد إنهم هيفهموني.

- هما فاهمينك فعلًا.

- طيب ليه بيفهموا ويسكتوا ؟

- اعذرهم.

- مش إنتِ قلتيلي إني ممكن ابدأ من جديد ؟

- أه طبعًا ومصرة جدًا إنك تبدأ حياة تانية جديدة.

- أطلقها يعني يا حنين ؟

- بص أنا مش عاوزة أقول كده، لكن عاوزة أقول ابعد عن أي حاجة ممكن تخليك مش كويس، أو توصلك لقمة اليأس اللي بشوفها دي، إنت جواك حاجات كتير قوي يا وحيد محتاجه تطلع إوعى تدفنها.

- والعيال يا حنين؟؟

- على فكرة الراجل غير الست الراجل لو قابل واحدة تفهمه هتقدر تنسيه عياله بعكس الست.

- تفتكري إن ممكن أقابل اللي تنسيني عيالي فعلًا ؟

- أه طبعًا بس دور كويس المرة دي.

- عارفة عيالي نفسهم أصبحوا مرتبطين عندي بالآلام والعذاب، مش عارف ليه أول ما بدخل البيت بحس بخنقه وشعور اكتئاب مبيفارقنيش لحد ما أفارق البيت، أنا مؤمن جدًا إن زي ما وجود الأب والأم مهم في حياة الأولاد، مؤمن كمان إن أحيانًا الانفصال بيكون في مصلحة الأولاد، أحيانًا بيكون أفضل حل الكي أو البتر.

- بالظبط مش دايمًا بيكون مصلحة الأولاد إن باباهم ومامتهم يكونوا مع بعض، أحيانًا الانفصال بيكون أفضل...

- إنتِ بتدفعيني بقوة لقرارات من زمان خايف أخدها أو أقرب منها.

- لأ إوعى تخاف بس فكر دايمًا كويس.

- خايف يكون العيب فيّ أنا مش في حياتي اللي بعيشها مع مراتي، ممكن أكون أنا طريقة حياتي هي اللي غلط وأقابل ده في كل علاقة جديدة أحاول ادخلها بعد الانفصال.

- إوعى تعقد نفسك، مترددش الكلام ده كتير علشان ميبقاش بالنسبالك حقيقة لإنه مش حقيقة، أنا شايفة فيك حاجات كتير مش عارفة إنت ازاي مش شايفها في نفسك، لازم ترجع لأحلامك يا وحيد بتاعت زمان وتحققها، اللي وصلوا لأحلامهم مش أحسن منك، حتى لو غلطت مفيش مشكلة إنك تصلح أخطائك.

- خايف على العيال جدًا.

- متخفش وإنت أكيد مش هتسبهم هتبقى دايمًا معاهم وهتوجههم ... متخفش من حاجة

- ربنا يطمنك.

*****

دخل وحيد غرفة نومه وأخذ زوجته بين أحضانه كالذي يستجدي مشاعره من هناك من جبل الجليد، كان يشعر أنه يجب عليه أن يعطيها فرصة أخرى للحياة، ورغم ذلك كان يحتضنها كمن يودعها، وضع رأسه على صدرها وراح يلفها كل دقيقة، مرة لتكون في أعماق صدره ومرة ليكون هو في أحضانها كالذي يبحث عن وضع مناسب ليكمل به مع هذه المرأة التي كانت يومًا حبيبته، وفي الصباح استيقظ قبلها وراح يجهز الإفطار، وبالفعل أيقظ زوجته، راح يداعب خصلات شعرها الناعم قامت وتناولوا الإفطار في صمت، كان يطعمها في فمها وينظر إليها نظرات حانية :

- في أيه مالك يا وحيد بتبصلي كده ليه ؟! وأيه الفطار والحاجات الحلوة دي؟

- مبسوطة ؟

- أه جدًا.

- يا رب دايمًا.

بعدما أنهوا إلافطار جلس وحيد يقرأ وقامت هي لتذاكر لأطفالها، مر الوقت سريعًا وهي تراقبه تشعر أن هناك شيء يريد أن يقوله ولكنها اكتفت بالصمت والمرور أمامه حتى قال لها:

- عارفه نفسي أقولك أنا بفكر في أيه..

- ضاحكة : يا فتاح يا عليم شكل في خناقة جاية في السكة.

- خناقة ؟!!

- مش بتقول عاوز نقعد نتكلم مع بعض يبقى أكيد في خناقة جاية.

- هو احنا علشان نقعد مع بعض لازم نتخانق ؟!

- مش لازم لكن ده اللي بيحصل.

- طيب خدي الورقة دي اقريها بس بعد ما انزل.

تناولتها منه وعادت لما كانت تفعله، ثم قام هو وارتدي ملابسه وأخذ طاهر ونزل لشراء بعض حاجيات المنزل، فتحت الورقة وكانت ترتسم على وجهها ملامح ساخرة.

لابد أن تفهمي أنني رجل مشروخ المشاعر، فحين قابلتك كنت كرجل طريد يبحث عن مأوى، يبحث عن نومة هنيئة في قلب مبطن بالرحمة، جئتك وقد لفظت الناس والدنيا هي لم أكن أظنك ناس بل ظننتك كتلة من المشاعر الدافئة التي ستذيب عن قلبي ثلوج الهم المتراكمة، لذلك صدمتي فيكي كانت تعني لي الموت لأنها ليست صدمة رجل في امرأة أو زوج في زوجته ولكنها صدمة غريق تقاذف الموج طوق نجاته إلى حيث لا ترى عينه، ما كنت لأخوض البحر إلا وأنتِ بين يدي فحين تتركيني لابد أن أغرق، لابد أن أرى نهاية كل شيء كنت أتمنى أن أدركه على الشاطئ الأخر، شاطىء المرسى وليس الشاطىء الذي أبحرنا منه، لا أعلم لما أنتِ جامدة هكذا!! لا أدري كيف لا أصعب عليكي وأنا أمزق أمامك في اليوم ألف مرة!! لا أدري على أي شيء أستحق منك كل هذا التبلد والفتور!! هل هي أحببتك أكثر مما تستحقي؟ أو لأنني حملتك من الحب ما لا تطيقي؟ وعلى كلٍ أنا لا ألومك ولكنها محاولة لكي أيقظ في صدرك شعلة نار علها تحرق شيء ما بداخلك كثيراً ما أبعدني عنك، علها تبخر لامبالاتك، علها تسقط من عينك دموع أفهم معناها ومغزاها، صدقيني أنا الآن صدري فارغ المشاعر أشعر في قلبي بالهواء ... بالفراغ ...

رمتها في ضيق قبل أن تستعيدها من على الأرض طوتها وقذفت بها في علبه خاصة في دولابها كانت تحتفظ فيها بكل أوراقها الصغيرة، تنهدت وهي تقول :

- طيب أقول أيه للراجل المشروخ ده والا أعمل فيه أيه يا رب؟ سبحان الله مبيقدرش حاجة!! عاوز شماعة بس يعلق عليها أخطائه..

كانت قد اعتادت ألا تنام كل ليلة حتى تلعنها الملائكة فقالت لربما إذا اقتربت منه اليوم بهذه الطريقة حصل من المراد ما أشاء، تظن أن الإلتصاق الجسدي وحده قادر على أن يقهر كل هذه الاحتياجات المترامية بظلالها على حياة زوجها.

*****

- على فكرة يا وحيد أنا كل ما أشوفك ألاقيك زعلان ودي مش طريقة بصراحة، في أيه؟! ماهو لو إنت معتبرني صاحبك فعلًا يبقى لازم تتكلم على الأقل أقولك رأي زي ما أنا باخد رأيك في كل حاجة.

- تعبان جدًا يا ياسر عارف لما تلاقي نفسك جوا حياة مكعبلة كده ومش مفهومة لا إنت عارف رايح فين ولا جاي منين، كأنك كنت نايم وفجأة صحيت لقيت نفسك في وسط الشارع وحواليك العربيات عمالة تضربلك كلاكسات من كل حتة.

- أيه المشكلة بالظبط ؟

- المشكلة إنى مش عارف أبقى كويس يا ياسر حاسس دايمًا إن في حاجة ناقصاني

- في مشاكل مع زوجتك والا حاجة ؟

- زوجتي هي المشكلة.

- خير كل حاجة بالتفاهم تتحل.

- طيب ولو مش عارفين نتفاهم أو نتكلم أو نتشارك ؟

- الكلام ده من إمتى ؟

- من يوم ما اتجوزنا أو من قبلها كمان.

- هو إنتوا اتجوزتوا ازاي ؟

- للأسف اتجوزنا عن حب علشان كده بيتهيألي مش هينفع نكمل.

- ليه بس بتقول كده، أكيد حبك ليها وحبها ليك هيخليكوا متقدروش تبعدوا عن بعض وهتواجهوا كل مشاكلكم.

- مبقاش موجود، الحب ده إحساس بيحتاج معاملة خاصة وإلا بيهرب بياخد ديله في سنانه ويفك، مش بالحب وحده يا ياسر صدقني.

- ماهو إنت اللي حاصر نفسك في دايرة الشغل والبيت وده بيجيب المشاكل لازم تخرج، اخرج معايا أو مع أي حد بتحبه لازم تغير جو وتشوف ناس.

- أنا بفكر أطلقها.

- لأ الطلاق مش حاجة سهله ومتنساش إن في أولاد وبعدين لازم تستنفذ كل طرق الإصلاح الأول.

- ما أنا خلاص استنفذت معنديش طاقة ليها تاني أنا عايز أصرخ عاوز أجري في الشوارع من غير هدف عاوز اقعد مع ناس معرفهاش وأفضل اتكلم لحد ما يغمى عليّ.

- أيه رأيك تيجي تغير جو كام يوم في أي مكان فيه بحر وشط وأهي تبقى فرصة كويسة ليك تقعد تتأمل مع نفسك، أيه رأيك؟ أنا مسافر أنا وأسرة خطيبتي الأسبوع الجاي هنقعد أسبوع، أنا نازل في شقة لوحدي لو تحب تيجي معايا ؟

- يا ريت أنا فعلًا محتاج أغير جو هي حاسس إني هطق...

- خلاص يبقى اتفقنا...

- ماشي أنا هسيبك دلوقتي علشان هروح لبابا كان مستنيني النهارده.

- ماشي ميعادنا الخميس الجاي.

*****

- مالك يا بابا زعلان ليه ؟

- مش عارف يا وحيد عمال أعيد حساباتي كلها بسبب كلامك، تفتكر أنا فعلًا كنت غلط لما كملت في جواز فاشل علشان خاطرك إنت وأخواتك ؟

- والله أنا فعلًا مشتت وأي إجابة هقولهالك دلوقتي مش هتبقى مظبوطة لأن أنا بعيش حياتك بتفاصيل كتير فيها.

- بس إنت كنت بتحب مراتك لكن أمك أنا عمري ماحبتها، أنا كنت مجروح وخارج من قصة حب لقيتها قدامى فاتجوزتها لكن عمري ماحبتها، الراجل بعد الستين يا وحيد بيختلف، خلاص بيبقى عاوز يقعد يرتاح ويتفرج على الدنيا من مكان هادىء، مجرد يتفرج من غير ما يشارك من غير ما حد يطلب منه إنه يشارك في أي حاجة، أنا بنيت مستقبلك بكفاحي تعبت عليكوا أكتر من أي إنسان مليش حق بقى ارتاح النهارده ؟

- ليك حق يا حبيبي إنك ترتاح مش النهارده وبس من زمان، طيب إنت أيه اللي هيريحك ؟

- عاوز ابعد عاوز أروح مكان محدش يعرفني فيه.

- وأنا؟! هشوفك ازاي؟

- هبقى اتصل بيك من وقت للتاني.

- إنت بتتكلم جد ؟ إنت مقرر بقى.

- تعبت يا وحيد مش عاوز اقعد خلاص في القاهرة عاوز اهرب للريف مكان كده يكون فيه خضرة وناس طيبة.

- عارف أنا مش هقولك لأ حتى لو كان ده هيتعبني، إني أحتاج أشوفك وملاقكش لكن على الأقل أنا مقدرتش أعوضك عن أي حاجة فمش هكون عقبة في سكتك، أنا مسافر الخميس الجاي رايح أشم هوا أيه رأيك تيجي معايا ؟

- مفيش مشكلة هتسافر فين ؟

- هنروح إسكندرية، عشقك القديم...

- يااااه وحشتني فعلًا إسكندرية، طيب خلاص أنا معاك بإذن الله.

- بإذن الله.

*****

- أنا مش طايقة العيشة دي أنا خلاص تعبت.

- على فكرة العيشة دي أحسن من غيرها بكتير وبعدين أنا بعملك كل اللي بتطلبيه قلتي عاوزة تشتغلي سبتك تشتغلي عاوزة تخرجي خرجتك عاوزة أيه تاني ؟

- عاوزاك إنت، عاوزة اسمع منك كلام حب، عاوزة أحس إني ست، إني حبيبتك إنك واخد بالك من وجودي في حياتك.

- وأنا قلتلك قبل كده الحب أفعال مش كلام وخلاص... طيب يا ستي بحبك ها مبسوطة ؟!

- ليه بتتكلم بالسخافة دي ؟

- علشان إنتِ واحدة بتعشق النكد وأنا بصراحة مليش تقل عليه.

- عملت أيه في العلاج أخدته ؟

- بطلي قلة أدب ومش هاخد علاج ولا غيره أنا كويس كده واحمدي ربنا أنا اللي عليّ عملته وخلاص.

- إني أحس بيك قلة أدب ؟!!! طيب أنا قليلة الأدب ومحتاجه أحس إني زي غيري من الستات بتوحش جوزها وبيتجنن عليها ولما تلبسله حاجة حلوة يقولها رأيه مش لبست زي ما لبستش.

- طيب يا ستي مقدمًا أنا مش عاوزك تلبسي حاجة.

- متستفزنيش وتخليني اصرخ...

- وتصرخي ليه أنا خارج.

وانطلق خارجًا من البيت تاركًا ورائه زوجة بقلب مكسور يبحث عن من يجمعه، كانت تشعر بالحاجة للاختفاء، التضاؤل حتى العدم وهو الشعور الذي ينتابنا عندما نجد من قسوة الحياة ما تعجز معه قوانا عن المواجهة، أمسكت هاتفها وراحت تتصل على وحيد.

- مال صوتك إنتِ بتعيطي ؟

- لأمفيش حاجة يا وحيد، إنت فين ؟

- أنا في الشارع مالك في أيه ؟

- مفيش بس تعبانه شوية.

- خير حاولي متجهديش نفسك، حنين مش احنا أصدقاء ؟

- أه طبعًا.

- طيب ليه بتخبي عني مشاكلك؟ رغم إني بحكيلك كل حاجة عني!!.

- وحيد أنا عاوزة أشوفك بكرة.

- حاضر هستأذن من الشغل واجيلك على طول مش إنتِ هتفتحي في مواعيدك ؟

- لأ أنا عاوزة أشوفك بره.

- بره بره ؟؟؟!!!!! يا ريت موافق طبعًا إمتى ؟

- مش عارفة إذا كان ده صح والا غلط بس أنا فعلًا محتاجه أتكلم معاك وفي المكتبة مبنعرفش ناخد راحتنا.

- طيب أيه رأيك لو قعدنا على كافيه على النيل جميل وشيك كان شغال فيه ياسر اللي بيجي عندكم المكتبة، الكافية ده أصلي بحبه قوي.

- ماشي هنتقابل ازاي ؟

- زي ما تحبي، أنا ممكن أقابلك عند المكتبة ونركب أي تاكسي.

- لأ أنا معايا عربية..

- طيب تحبي نتقابل فين ؟

- خلاص اديني عنوان الكافيه ونتقابل هناك، الساعة كام ؟

- أنا هكون مستنيكي جوه الساعة ١١ بالظبط تعالي إنتِ ١١,٣٠ علشان مش عاوزك تستنيني عاوزك تيجي تلاقيني أنا اللي مستنيكي.

- ماشي يا وحيد.

*****

طار وحيد ليخبر صديقه فهد بتطورات علاقته.

- يا فهد المفروض إنى هقابلها بكرة.

- هي مين دي ؟!

- حنين يا أخي.

- أه حنين وتقابلها بمناسبة أيه ؟

- بمناسبة إن هي اللي طلبت.

- هي اللي طلبت إنكم تتقابلوا.

- أه هي اللي طلبت وأنا كمان عاوز اتكلم معاها يا فهد.

- تتكلم في أيه، يا عم سيبك بقى وخلينا ننتبه لمستقبلنا بلا حنين بلا وجع قلب، يا وحيد خليك واقعي إنت محتاج حب وتفاهم وممكن تلاقيه معاها طيب وبعدين؟ إنت معندكش إمكانيات إنك حتى لو طلقت إنك تتجوز تاني، يبقى هتتعب قلبك ليه ؟ حاول تخليها علاقة جميلة ومتلوثهاش.

- والحب هو اللي هيلوثها يا فهد ؟

- أه الحب هيقضي عليها لما توصلوا لمرحلة الجواز.

- يا أخي وفيها أيه لما ابدأ من جديد ؟

- مفيهاش حاجة، بس أنا حاسس إنها علاقة ملهاش أي لازمة وخصوصًا إنك مطلعتش من علاقتك الأولى، يعني ممكن دي تكون طوق نجاة يوصلك للشط بس وبعدين تنشف هدومك وتركب عربيتك اللي دغدغتها دي وتروح، مش ضروري تكمل معاك المشوار للنهاية.

- فهد.

- نعم.

- أنا بحبها.

- وحيد.

- نعم.

- اقفل يلا مع السلامة.

- مع السلامة.

دقائق ويعاود فهد الاتصال.

- وحيد روح قابلها وشوفها عاوزه أيه، بس إنت لازم تفهم إني خايف على قلبك، إنت مجروح وممكن دي تكون مجرد علاج مؤقت، مينفعش تحكم على واحدة كل علاقتك بيها كام شهر.

- فهد أرجوك ارحمني...

- حاضر .. حاضر، هتكون مرتاح يا وحيد لو كملت معاها ؟

- مش عارف يا أخي مش عارف غير إني عاوز أقرب منها أقرب قوي...

- طيب وهي موقفها أيه ؟ يعني اعترفتوا لبعض بالحب ده ؟

- تقريبًا.

- تقريبًا؟!! أيه ماهو يا أه يا لأ؟؟

- تقريبًا حصل بس من غير ما يكون مباشر، أكيد في مقابلة بكرة هقولها، إنت تفتكر ليه بعد ما كانت رافضة إنها تقابلني وافقت مش كده وبس ده هي كمان اللي طلبت !

- والله هي حاجة محيرة فعلًا، هي عارفة إنك متجوز ؟

- أه عارفة كل حاجة البداية معاها كانت كلها صراحة حتى من غير ماقصد، متنساش إن بابا كان يعرفها قبلي وتقريبًا كان كل ما يروح يحكيلها شوية عني وأنا كمان كلمتها كتير عن نفسي.

- طيب وأيه رأيها في موضوع جوازك ؟

- زعلانة عليّ حاسة إني كان ممكن أكون حاجة كويسة لو في ست معينة في حياتي.

- وهي طبعًا الست المعينة دي.

- طب وإنت مستبعد ده ليه ؟

- أنا مش مستبعده، بس قلتلك مش مستريح، طيب هي حلوة ؟

- زي القمر عنيها بتقتلني يا فهد.

- طيب عندها كام سنة ؟

- مش عانس يا فهد.

- طيب يبقى أكيد في حاجة غلط، يعني حلوة وزي القمر وعنيها بتقتلك ومش عانس وعارفة إنك متجوز طب في أيه دي مش طبيعية.

- لأ مش طبيعية خالص علشان كده هي مقاسي مرسومة عليّ، بتحب كل اللي بحبه وبتكره كل اللي بكرهه عارف لما أقولها جملة وأقصد منها ألف حاجة بتفهم الألف حاجة وبالدليل مش أنا بوهم نفسي لأ، بتفهم مجرد نظرة عيني، بتعرف تحاورني بتعرف تحسسني إني ليا قيمة.

- للدرجة دي؟!!!

- لأ أكتر من الدرجة دي يا فهد، عارف أنا حاسس إني خلاص لقيتها، أكتر حاجة مخوفاني يا أخي إنها فرحة بعيشها وأنا اتعودت إني أفارق أي فرحة لازم فرحتي متكملش.

- بإذن الله تكمل لو فيها خير ليك، على فكرة أنا مش معترض على الموضوع بالعكس إنت عارف مبدأي إن مفيش حاجة في الدنيا تخليني أعيش حياة أنا مش عاوزها .

- قولي العيال هيحصلها أيه يا فهد لو طلقتها ؟

- بيتهيألي هيتشردوا.

- يا أخي متفزعنيش.

- قال ضاحكًا: ولا حاجة يا وحيد مش هيحصلهم حاجة يتربوا زي كل الناس وخلاص على الأقل يمكن يكون أحسن من النكد اللي هما عايشين فيه مع أبوهم وأمهم.

- عندك حق.

*****

- والعيال عاملين أيه ؟

- الحمد لله يا ماما كويسين.

- ووحيد فين ؟

- وحيد خرج، بقى بيخرج كتير اليومين دول.

- ليه بيروح فين ؟

- ولا اعرف إنتِ عارفة مبيتكلمش وأنا مبسألش.

- مش تسأليه وتعرفي رايح فين وجي منين ؟

- مبيحبش اسأله وأنا بكبر دماغي.

- مين قالك ده هو بيحب الست اللي تزهقه اللي تقعد تسأله رايح فين وجي منين، وتتكلم معاه وتناقشه هو كل شكوته منك إنك مش بتتكلمي معاه.

- ما احنا كل ما نتكلم نتخانق فباخدها من قصيره ومبتكلمش معاه.

- يا حبيبتي مينفعش وهي دي تبقى اسمها عيشة؟!! لازم تتكلمي معاه وخديه بالراحة شوفي بيحب أيه وكلميه فيه وحسسيه إنك مهتمة بيه.

- والله يا ماما هو مبيرضيهوش حاجة.

- طيب وإنتِ عملتِ حاجة ومرضتهوش ؟

- لأ بس أنا حاسة إن أي حاجة هعملها مش هتجيب نتيجة.

- يا بنتي سيبك من الحاجات دي ده شيطان ودخل بينكم إنتِ عارفة وحيد ده وقف قدامي أد أيه علشان يتجوزك، أنا كنت لسه بصراحة معرفكيش وكنت رافضة الجوازة لكن لما لقيتك بنت حلال وطيبة حبيتك.

- وأنا كمان بحبك وربنا يعلم.

- إنتِ عارفة وحيد أصله طالع لأبوه كتوم كده وبيحب يتفلسف فإنتِ خديه على أد عقله هاوديه وخلاص.

- ماهو حتى لما بقوله حاضر وطيب بيزعل !

- معلش طولي بالك بس وحاولي تقربي منه، يا ستي عاوزك تقري وتبقي مثقفة اتثقفيله الثقافة حلوة، ثم أردفت مازحة: عاوزك ترقصي ارقصيله.

- أه خليهم كده هما يتشرطوا واحنا نقطع نفسنا.

- هنعمل أيه بس هو الجواز كده كله مؤرف.

- أه والله عندك حق.

- يلا أنا هقفل معاكِ علشان عمك سامي جه، أقوم احضر له الأكل.

- ماشي مع السلامة يا ماما.

- أيه يا سامي جبت الحاجة اللي كتبتهالك في الورقة ؟

- لأ نسيت.

- هو إنت مبتفتكرش حاجة أبدًا.

- بقولك أيه يا ألفت اطلعي من دماغي أنا جي تعبان.

- ماشي يا خويا أنا أصلًا لا عاوزة اتكلم معاك ولا مع غيرك، حتى ابنك منكد على البت عيشتها.

- هي اللي قالتلك.

- أنا اللي كلمتها، عارف دي المفروض تطلق، وأي واحدة تتجوز واحد كده مش عاجبها حاله المفروض تطلق وترميله عياله.

- وإنتِ مطلقتيش ليه ؟

- مين قالك أنا نفسي اطلق أنا كمان بس بعد أيه بقى ما خلاص كبرت وعجزت.

- طب افتكري أي حاجة كويسة عملتها معاكِ.

- حاجة كويسة! أه هبقى افتكر إن شاء الله لما تموت.

- أموت!! امشي من وشي.

- هتاكل ؟

- مش عاوز حاجة من وشك.

*****

وصل وحيد إلى الكافيه الساعة ١١,١٠ جلس يتفحص صفحة النيل يبحث فيها عن معاني رقيقة يقدمها لتلك الآتيه من بعيد ربما من زمن أو كوكب غير هذا الزمن وهذا الكوكب، كأنه قابلها من قبل في عوالم أخرى، تراقص قلبه لما رآها أتية عليه، كانت خطواتها مرتعشة كمن حضر على غير رغبته، تتفحص المكان بنظرات متعجلة.

- اتأخرت عليك ؟

- عمر بحاله.

- تلعثمت وقالت : أنا جيت في ميعادي زي ما اتفقنا.

- لكن أنا اللي جيت متأخر كان المفروض نكون هنا من عشر سنين يا حنين، عارفة أنا بحب المكان ده ليه ؟

- إنت قلت إنك بتحبه بس مقولتش ليه، قولي ليه ؟

- علشان المكان ده اللي اتعرفت فيه على ياسر، وياسر هو اللي عرفني على المكتبة وهناك قابلتك.

- وحيد أنا كنت عاوزة اتكلم معاك كلام كتير بس إنت فعلًا طيرته كله من دماغي.

- حنين بصي في عيني، تعرفي إني حتى الآن معرفش شكلك.

- ازاي ؟

- كل ما أبصلك عنيكي تخطفني وتسحب كل تركيزي تخليني معرفش أشوف كل ملامح وشك، نفسي لما أحب اتخيلك اعرف ارجع صورتك كاملة قصاد عنيا، أنا مبشفش غير عيونك.

- أنا كمان على فكرة مبعرفش اتخيل ملامحك كلها.

- هو إنتِ بتحاولي تتخيلي ملامحي ؟

- أكيد يا وحيد أنا مش حجر يعني.

- يعني أنا واصل ؟

- من أول لحظة وإنت واصل.

- حنين إنتِ وحشتيني قوي، ومش عارف مين فينا المفروض يعتب على مين، كان المفروض دلوقتي إننا مع بعض من زمان، يااااه في حاجات كتير قوي فاتتنا.

- وحيد...

- حنين أنا عارف إننا هنعوض كل اللي فات، أنا أصلي بدور عليكي من زمان قوي يمكن من قبل حتى ما تتولدي.

- وحيد....

- استني يا حنين أنا ماصدقت إن لساني اتفك، حنين القلب مبيحبش مرة واحدة، القلب بيحب مليون مرة وكل مرة بيحب بشكل مختلف كل مرة بيكون حب حقيقي، الحب ده إحساس ممكن يتكرر عادي ويكون حقيقي.

- وحيد أنا عاوزة اتكلم.

- اتفضلي

- الأول لازم تعرف إن مش هينفع اتاخر علشان لازم أجيب طارق وتسنيم من الحضانة.

- طارق ؟ طارق مين ؟!

- طارق ابني يا وحيد.

- ابنـــــــــــــــك ؟!!!

- أيوه يا وحيد أنا متجوزة.

- متج....

ساد بينهم صمت اقترب على عشر دقائق لا يتكلمون.... ينظر بعضهم لبعض أحيانًا تتقابل الأعين وتزوغ، وأحيانًا تتعاتب وأحيانًا تحاول أن ترسل تطمينات لا معنى لها.

- وحيد....

- ممكن نسكت شوية ؟

- احنا بقالنا كتير ساكتين والوقت بيضيع.

- مش عارف أيه حكايتي مع الوقت، ليه دايمًا باجي متأخر، خلفتي يا حنين ؟ إمتى ؟

- تسنيم سنتين وطارق تلت سنين وشهرين.

- ما شاء الله تلت سنين.

- وحيد أنا تعبانة جدًا.

- وأنا أريحك ازاي يا حنين ؟

- مش عارفة، بس إنت لازم تبقى عارف إني مش سعيدة في حياتي وجوازي مكنش عن حب، أنا نفسي مش عارفه أنا اتجوزت كمال ليه، كل حاجة كانت سريعة.

- كمال ده اسم جوزك ؟

- أه.

- كمال وطارق وتسنيم وحنين، ممتاز..

- أيه هو اللي ممتاز.

- مفيش كملي.

- وحيد أنا عاوزاك تفهمني.

- أنا فاهمك جدًا يا حنين.

- وحيد عنيك بتقول كلام أنا مش عاوزه أصدقه.

- عنيا بتقول اللي هيحصل.

- يعني أيه يا وحيد ؟

- يعني إنتِ بتقوليلى إنك مش عاوزة تتأخري على حضانة طارق، إنتِ مبتفكريش في الطلاق أصلًا يا حنين صح ؟

- ازاي يعني ؟!! أنا كل يوم بفكر في الطلاق كل يوم كل يوم.

- وليه مطلقتيش ؟

- وإنت ليه مطلقتش ؟

- عندك حق.

- إنت خايف صح ؟

- لأ أنا مرعوب، علشان كده كنتي بتقوليلي إن الراجل غير الست.

- وحيد إنت لازم تصدقني إني عاوزة مصلحتك، إنت لازم تنهي الحياة اللي هتجيب أجلك دي وتبدأ حياة جديدة.

- ابدأها مع مين يا حنين ؟

- أكيد هتلاقي اللي تستحقك واللي تحبها.

- لاقيتها بس طلعت متجوزة ومخلفة أيه رأيك في حظي؟ أيه رأيك وأنا الدكتور اللي جاي جري وعمال ينهج علشان أول ما يدخل يقولوا له البقاء لله المريض مات يا دكتور، مين هيبص للدكتور بعد المريض ما مات يا حنين ؟!!

- وحيد أنا عاوزاك تتغير علشان نفسك، مش علشان أي حاجة تانية، إنت تستاهل حياة أفضل.

- حنين يلا نقوم.

غادرا الكافيه وهموم الدنيا كلها تركب على أكتافهم، لم ينظروا لبعضهم حتى ركبوا في سيارة حنين.

- العربية دي كمال اللي جبهالك ؟

- أه بس أنا كان معايا فلوس محوشاها هو كملي عليها وجبهالي.

- رائع.

- وحيد أنا عارفة كل اللي بيدور في دماغك.

- حنين إنتِ ناوية تكملي معاه.

- لأ..

- بس ده مش قرارك ولا بإيدك.

- أنا هطلب الطلاق.

- وأنا مقدرش أساعدك في الموضوع ده أبدًا.

- يعني أيه ؟

- يعني أنا مش هطلقك من راجل علشان اتجوزك يا حنين، ولازم تفهمي إن حتى الدين بيحرم كده.

- بيحرم إننا نتجوز ؟!

- إننا نتجوز بعد ما أنا اشتركت في إني أطلقك منه.

- أنا مش عاوزاك تساعدني.

- حنين نزليني هنا.

- وحيد .

- حنين لو سمحتِ..

ضغطت حنين على الفرامل بغضب فتوقفت السيارة صارخة ومحدثة صوتًا، فتح الباب ونزل إلى الشارع ومضى في طريقه من غير أن ينظر ورائه.

*****

مضى أسبوع ووحيد هاتفه مغلق ولا يذهب إلى المكتبة مما أثار جزع حنين التي كانت قد تعودت على وجوده في حياتها، تعودت طلته واهتمامه فقد كان يحوطها في الفترة السابقة بشكل كبير، فقد كان يذهب إلى المكتبة بشكل يومي ويظل معها حتى تنصرف ثم يهاتفها بعد ذلك كانوا كزوجين مع إيقاف التنفيذ، سافر وحيد إلى الأسكندرية مع أبيه وصديقه ياسر وأهل خطيبته، استغل وحيد منظر البحر والهدوء ليلا وبدأ في كتابة روايته الأولى التي كانت تلح عليه حنين ليكتبها من مدة، وبعدما عاد من سفره بيومين ذهب إلى المكتبة ليلا ولم يلبث دقائق ثم انصرف وفي صباح اليوم التالي كانت حنين تجلس مع ريهام وأسماء عاملتي البوفيه حين قالت أسماء :

- مشفتيش وحيد لما جه امبارح اسمر جدًا كان بيصيف علشان كده مكنش بيجي الفترةاللي فاتت.

- وحيد جه امبارح ؟ إمتى ؟

- جه بالليل قبل ما نقفل بنصف ساعة ملحقش يقعد أصلًا !!

- أمال جه ليه ؟

- مش عارفة قعد يقلب في الكتب اللي هناك دي ومشي على طول حتى الحاج أشرف قاله يقعد يشرب معاه فنجان قهوة مرضيش قاله إنه كان بيدور على كتاب وملقهوش ومشي على طول.

- دور فين في الركن اللي هناك ده.

- أه.

- طيب.

انتظرت حنين حتى قامت أسماء وريهام وراحت إلى ركن الروايات مصطنعه ترتيبه ثم التقطت رواية حب تحت المطر- لجيسيكا ستيل - وراحت تقلب فيها فوجدت مرادها، كان وحيد قد ترك لها خطاب في نفس مكان خطابها السابق وكأنهم حولوا هذه الرواية الممطرة لخزينة مغلقة على أسرارهم، أخذت حنين الخطاب وتوجهت إلى مكتبها بسرعة وهي تفتحها فكان فيها :

سنين من العزلة في القصر المسحور

اسمعينـــــــي

اعذرينـــــــي

أرجوك بالله لا تتركينـــي

في أول المشوار لم أكن مختار صدقيني..

ليس شعرًا ما أكتب فيك ولا حتى نثرًا إنها أوجاعي التي تَشْرَف أن تسمعيها ولا تمنعيها ولا تمنعيني، أتقدم خطوات وأرجع ضعفها كل يوم منذ أيام هل أقول؟؟ أم أني حين أقول أكتب بيدي صفحات النهاية ؟

صفحات وليس صفحة واحدة!! فمعك يأبى قلبي أن تكون النهايات عادية ويمكن أن تحتويها صفحة واحدة .

يا كل قرائي.. ولا تعجبي فأنت كل الناس ولك وحدك أكتب، للمعة عينيك حين تفكي رموز كلماتي المحملة بمشاعر جبنت أن تنطق وتخرج في حضرتك، تدري لما اتقزم وأتخفى وأتدارى ؟؟

هي أحبـك

انتظري وأرجوكي لا تنظري في عيني ليس خوفًا من أن تري ضعفي ولكن دعيني، أو دعي لك بابًا ولو ضيقًا للهروب وإلا، وإلا فصدقيني فلن أحرم منك ولو مت قتيلًا...

تذكري حين طاوعتني نفسي أن أتكلم عن المشاعر ؟؟

الآن سأتكلم، ولو عنوة عنك سأتكلم، سأضرب بكل قوتي كل مشاعرك واعلمي أني إذا ضربت لا تخيب مضاربي ... وإذا طعنت لا يروغ طعاني !

- قبلك أجلت لك كل سعادتي وجل جنوني وكنت أعلم أني سأقابلك وكنت أعلم أنك ستضيعي مني وسأعذب بك وكنت أعلم أن ظهورك لن يكون إلا ليعذبني، فكيف أتألم على شيء لا أعرفه لذلك كان لابد أن تأتي وتظهري لتقولي لي بكل صلف وعناد أنك موجودة وأن الدنيا قد حوتك وجمعنا الزمن والتقينا على نفس الأرض وفي نفس الوقت، كان عزائي قبلك هو موتك.

ولا أدري ما جاء بك من عالم الأموات لتحيي مشاعر أنت أدرى بأنك ستقتليها.

يا لك من قاتـلة!!

اسمعي يا امرأةٌ تمسك القلب بيدها أقسمت بالله- الذي خلقك لي فسواك وأحياك من بين أموات الماضي وبك احياني - كنت أعلم بوجودك قبل أن ألقاكي ويلقاكي وكنت في خيالي طيفًا مخيف ظننت أنه سيأتي إليّ عند الموت فقط ليعلمني بوجوده .

لست مجنونًا ولكنك جمعتي كل أجزائي من بين العصور ثم تركتيها في قصرك المسحور...

انسي كل كلماتي السابقة واجمعي لي شتات فكرك لتسمعي ما سأقوله الآن :

جئت وكنت أعلم أنك حتمًا سوف تأتي وإن اختلفنا في موعد مجيئك ولكننا اتفقنا مسبقًا على المجيء، من أول لحظة علمت أنك هي، لم أصدم بقيودك، هي أيضًا كنت أعلمها وأعلم أنك ستأتي محملة بها، وكنت أ علم كم خط الزمان على صفحة قلبك من أمورًا أكرهها وأكره أن أراها في قلبك وبين يديك وفي ثنايا ما هو أبعد من ذلك، وكنت أعلم أني سيُفرض عليّ معادلة لم أخوضها قط قبلك على قوتي، فلم أكن يومًا ممن يصارع الرجال على النساء فقبلك لاحقتني كل النساء فما لحقتني واحدةً، كنت أعلم أني أحبك قبل أن أراك، لذلك لا عجبًا أن أحببتك على عجل فإنها بصمات يا حبيبتي إذا تطابقت فإنها أنت، وكل عيوبك أحيلها على عاتقي فهل تسامحينني؟؟ أأقول لك ما به تسامحيني ؟؟ تدري لما تركتك في عوالم أخرى ولم ألتقيكي ؟ أقسم إليك بالله وأتوسل إليك بلمعة عينيك أني لم أجد طريقًا يوصلني إليك إلا ومشيته، أحببت قبلك على أمل أن أجدك قاومت فشلي لأجدك ولكن الخيط الموصل بيننا كان رفيع خشيت أن أسحبه على عجل فينقطع، لكن كنت أكتب لك وأدخر حياتي و أحلامي ولما خفت عليها أن يطالعها غير عينيك حين أخطأتك حرقتها كلها يا ست النساء .

سامحيني أني تركتك لهذا وذاك سامحي ضعفي في حرب لم أخوضها عليك وبك، سامحي عجزي وضعف إرداتي وتذكرِ أني ما رأيتك إلا في الرابع والعشرين !

أعلم أنك تعلمي وإن كنت لا تعلمي فاعلمي فأنا أعترف لا مراوغ هذه المرة بل معترف أني سبب كل أوجاعك .

سألتك بالله أن تسامحيني لم أكن أعرف الطريق وما اهتديت إليه قبل الرابع والعشرين .

ومن خلال تفكيري العميق استنتجت أنك موجودة في هذا الزمان أو ربما في أزمان أخرى ولكن لابد للأرض أن تحتويك ولو اختلفت بيننا الأماكن والمواعيد، من هذا الوقت يا حبيبتي وأنا أبحث عنك بل وأحدثك في خيالي كل يوم وليلة وفي بادىء الأمر لم أكن أهتم أو ارعوى إلى أنك لا تبادليني الحديث، كنت أبحث عنك في الكتب وفي أمواج البحر، تدري كم كنت أحتاج لأنفاسك الساخنة وأنا أتلقى نسائم شط إسكندرية الباردة، فكثيراً ما كان ينتابني هاجس غريب يقول لي أنك في هذه المدينة الساحرة.

كلما كنت تجولي بخاطري كنت أراك وكأنك تقولي لي لا لن أت ولن تجدني فأرد عليك لن أرى منك جميلٌ إلا وسأخطفه وافعلي ما شئت بعدها، وكأني أنا فقط من يحتاجك ويشتاق إليك فلما كنت حزين يومًا وجئتيني كطيف خيال وأنا أكتب عنك في هذه الليلة رأيتك أتيه عليّ وأنت جامدة

المشاعر فصفعت بعادك بكلمات مثل لا تأتي إليّ بملابسك الرسمية وعندها فقط سأريك ما الحب وكيف أنتجت كل كلماتي وأنتِ بين أحضاني وكيف سأهمس في أذنك واترك التدوين ليديك لا يديّ .

فكلما كنت أحتاج إليك ولا أجدك وافتقدك رغم أني لم ألتقيك، كنت أقول أن قلبي إن لم يستطع أن يتحملك فلا يستحق أن يحملك، وعلى هذا تحملتك ولم أكن أدري إنه رب عبء ثقيل ألقيه عليك عندما يحين اللقاء، فأنا لا أرضى إلا أن تعوضيني عن كل مأسي قلبي معك، يكفيني إنك جعلتيني وحيدًا بين الناس على كثرة زواري، وأفقدتى كلماتي كل قوتها حين لم تتذوقيها بل وتركتيها لغيرك يعبث بها حتى كتمتها في صدري ولم أعد أبوح بها حتى إليك، لا أدري منذ متى وأنا أقول إنك ما كنتِ إلا وهمٌ في عقلي يضيء لأكمل الحياة على أمل أن أجدك؟! قولي لي ولا تهاوديني هل حقًا وجدتك؟ وهل جئتِ لأخوض بك النار غير عابء ؟؟

انتظرِ . اصمتِ. لا تقولِ

* هانت عليّ أيامي قبلك ونسيت لك ما فعلتِ بي هناك في أزمانك، ونسيت كل حقٍ لي أعطيتيه

بغير قصد إلى غيري، ولن أراك إلا قاتلة وكأني عشقت عذابك، تريديني أقاتل من أجل ما أريد؟ هو عين ما أريد، ولكنك لا تعرفي أنك نُصبتِ كشبكة بيني وبين من هم أعدائي فإن ذهبت بكل ما أملك لأقيمك كسرتك ولو كنتِ بقوة ذلك الطارق الليلي !

حاسبيني كما تشاء واقسِ عليّ واذهبِ بي في كل وادي وقولي ما شئتِ عليّ واضربِ بكلماتك في كل حين مشاعري ودغدغِ أفكاري ولكني أبدًا لن أكسرك لن أتحمل أن أرى في كلامك أو عينيك وملامحك - وأنتِ بين يدي- أني تسببت يومٍ في شقائك، وكيف لي أن أفعل ذلك وسعادتك مسئوليتي ؟

عامليني كما تستحقِ أنتِ مني، فأهون شيء عليّ أن أحارب الدنيا عليك ثم أقدمها إليك.

نسمة رقيقة بين يديك لا متكلفًا في ذلك وإن أبيتِ، فأنا معك رقيقًا دافئًا أخشى أن أجرحك

فأنا بدونك لا أكون رقيقًا، اظننتي أني تاركك ؟؟؟؟

يا ست النساء أبدًا لن أتركك، لكني مقيد بك فارحميني، أو علميني كيف لي أن امتلكك أو أوعديني ألا تموتي إن قاتلت لكي أخذك، هل تعديني أم ترحميني ؟

أظنك كما عهدتك ستعلميني، ولكن تحملي رفقي بك وخوفي عليك وعلى كل من هو منك، مهمٌ جدًا أن تفهمِ وتتحملِ فكما قلت لك أنا معك رقيقًا دافئًا أخشى عليك بهستيريا أما أين كنت؟ وكيف أتيت؟ تراودني إجابةً واحدةً، في قلبك ومن قلبك أتيت، فأنا أراك تصنعيني.

يسهل عليك أن تقولي ويصعب عليّ أن أنفذ ما تقولِ رغم أني كثيراً ما أمسكت بمبضع الجراح لكن اليوم جسدك هو الذي أمامي، تُرى سهلٌ أن أغرسه فيك ولو كان لأنتزع منك الداء ؟

يا لك من قاتلة!!!

نكون سويًا فأنسى شقاوتي وجراحي وانسى مبضع الجراح وتخشى يدي أن تمتد إليه تتناوله ثم تمتد إليكِ، يا إلهي أأكون أنا قاتلك؟!! والله لن يكون، لا أدري أأحذرك أم أنكِ تعرفينني؟ لا تكثري من اللوم لرجولتي وإلا فلا تلوميني إن أخرجت لكِ ماردًا حطم كل شيء واختطفك، فمارديِ لا رجاء لغيرك عنده ولا يعرف غير امتلاكك وإن فقدتِ ما فقدتِ وإن عاتبتِ مهما عاتبتِ، دائمًا أرجوك تمهلِ ثم اختارِ كيف تكونِ؟ ومتى تكونِ؟ واعلمي أن لمثلك أفتخر أن تخرق يدي كل قوانيني.

كان قلبها يرتجف مع كلمات وحيد، فموقفه واضح إنه نوى أن يكمل هذا الطريق الشائك، مسحت حنين دموعها والتقطت الهاتف وجربت الاتصال عليه فجاءها من الناحية الأخرى صوته مختنقًا :

- وحشتيني يا حنين.

- وإنت كمان يا وحيد وحشتني، كنت مرعوبة مسمعش صوتك تاني.

- أنا بحبك يا حنين.

- وأنا بحبك يا وحيد.

(وحينها ولدت بينهم أصدق مشاعر قذرة)

*****

- ازيك يا فهد مبتكلمنيش إنت خالص.

- لأ والله يا عم سامي الظروف بس اللي مش مظبوطة عامل أيه ؟

- الحمد لله تمام، أخبار شغلك أيه ؟

- أنا سبت الشغل بقالي عشر أيام ولسه بدور على حاجة تانية.

- ما ترجع وكفاية بقى.

- ماهو الحال عندك مش أحسن من هنا.

- بس هنا هتبقى معانا وسط أهلك وكلنا على الله.

- معلش سبني براحتي أنا مصمم أعمل حاجة هنا.

- براحتك يا ابني، المهم إن صاحبك مش عاجبني اليومين دول متعرفش ماله ؟

- أبدًا أقولك والسر في بير والا في القناة التانية ؟

- لا عيب في بير قول.

- ابنك بيحب يا عم الحاج.

- بيحب ؟! بيحب مين ؟

- بيحب واحدة اسمها حنين إنت تعرفها على فكرة بتاعت المكتبة.

- يا نهار أسود حنين ؟؟! دي متجوزة يا فهد.

- أه ما هو قالي هنعمله أيه بقى ابنك مخه طاقق، بس نصيحة مني متكلمهوش في أي حاجة أنا متابع معاه لحد ما نشوف أخرتها معاه أيه.

- يا ابني أخرة إيه بقولك دي واحدة متجوزة هيعمل بيها أيه ؟

- هيتجوزها يا عم سامي هو بيقول كده.

- يتجوزها ازاي، على جوزها يعني؟!! إنتوا عاوزين تنقطوني؟؟

- بعد الشر عليك، هي تعبانة في حياتها زيه ويمكن أكتر.

- أنا اللي غلطان أنا اللي كنت بحكيلها عنه وشبطها فيه.

- لا خالص هو راحلها برجليه وبعدين دي كلها أسباب يا عم سامي علشان يتقابلوا بس البنت دي غيرت فيه كتير قوي.

- أه طبعًا ده مبقاش يكلمني إلا كل تلت أيام مرة وعلى طول تليفونه مشغول، وبعدين كده مراته تشك فيه والبيت يتخرب.

- ماهى شاكة فعلًا بس هي زي ما تقول رامية طوبته.

- طيب ينفع الكلام ده يا فهد.

- في الوقت الحالي أه ينفع سيبه يقف بالحب ده على رجله إنت مش فاكر حالة الكآبة اللي كانت عنده واليأس والنظارة السودة؟؟ كل ده اتشال بقى ماشي يغني ويرقص.

- يا ابني ربنا يسعده بس دي سعادة مزيفة ومش هتستمر كتير، بس تعرف عندك حق حتى ألفت بتقولي إنه لما كان عندنا من يومين كان رقيق كده وأعصابه هادية وبيتكلم بهدوء مش متوتر كعادته، أنا حسيت حتى أسلوبه اتغير كتير عن الأول.

- للأحسن مش كده ؟

- أه للأحسن كتير، بس الكلام ده يقلق.

- لأ متقلقش أنا متابع كل حاجة.

- خليك معاه يا فهد إنت أخوه وإوعى يضحك عليك إنت شايف علشان عارف إني هعترض هرب مني.

- لأ مهربش ولا حاجة بس إنت عارف مسئوليات الحب بقى، ابنك مبقاش فاضي يا عم الحاج، هو مقالكش إنه بدأ يألف رواية ؟

- قالي إنه بدأ فيها فعلًا.

- تمام.

- عارف أنا فرحان وزعلان في نفس الوقت، خايف قلبه يتكسر تاني أنا مش عارف حظنا ماله معقرب كده ليه؟؟

- أنا كنت جاى هنا وكلي أمل ومتفائل طلعلي كام حفرة كسرت رقبتي مفيش حاجة بتمشي زي ما احنا عاوزين.

- والله أنا رأيي تقوم تلبس دلوقتي وتنزل مصر وتسيبك من الكلام الفاضي ده.

- ضاحكًا : مش قوي كده يا عم سامي وبعدين ما أنا بكلمك أهو كأني قاعد معاك في مصر.

- ووحيد ناوي على أيه مع مراته؟؟

- منواش هي اللي نوت، شكلها هتطلب الطلاق.

- والله عندها حق.

- متنساش يا عمي إن وحيد غلب معاها وفاض بيه، من يوم ما اتجوزها وهو عمره ما خانها ولا بص لغيرها على يدي، قالك بس هي دي اللي هنضف بيها وهعيش علشانها وراح دبس نفسه ودبسني أنا كمان في جوازة مكنش ده وقتها ولا أوانها.

- طيب أيه اللي يخليك تقول إن المرة دي هتفرق عن المرة الأولى مش هو كان بيحب مراته ومغرم بيها؟

- المرة دي مختار بعقله قبل قلبه، هو راضي عنها شكليًا، وهيتجنن بيها عقليًا وعاطفيًا يعني بحسبة بسيطة نقدر نقول إنه اتعلم من تجربته بيقولك بتتكلم لغتين يا عم الحاج .

- أه هي بنت مثقفة جدًا فعلًا وماشاء الله عليها ليها طلة وحضور قوي جدًا..

- ما هو بيقول كده برده.

- طيب يا فهد إنت نكدت عليّ.

- ليه بس يعني أنا غلطان إني قلتلك وحطيتك معايا في الصورة.

- لأ مش غلطان لكن أنا زعلان برضه هو إنت يا تخبي عليّ يا إما ابقى مبسوط ؟ أنا زعلان يا أخي أنا حر.

- طيب متزقش يا عم سامي.

- طيب يلا امشي وسبني اقعد مع نفسي شوية.

- بس إنت ما شاء الله عليك بقيت محترف إنترنت أهو.

- أه أمّال إنت فاكر أيه يا ابني...

- مرتاح يا عم سامي في المكان الجديد ده ؟

- أه مرتاح جدًا هدووووء، عارف مش أنا قاعد لوحدي بس مبسوط جدًا.

- مبتروحش ألماظة خالص ؟

- بروح زيارات كده، تخيل يا أخي إني بفضل أربع أيام بره ويوم ما ارجع تقعد تتخانق معايا.

- مش عارفين قيمتك يا عم سامي.

- بكرة يعرفوا، لما أموت هيعرفوا.

- ربنا يديك طولة العمر.

- الله يخليك يلا روح تصبح على خير.

- وإنت من أهله.

*****

أمسك وحيد ورقة وراح يخطط فيها.

في حياتي ملهمتان واحدة تلهمني بالحياة وأخرى تلهمني الموت، هذه تلهمني بالسعادة وتلك تلهمني الآلام، وكأنهم يتنازعون داخلي الخلود والفناء؛ الوجود والعدم، وكأني يتجاذبني القدر بين الجنة والنار، امرأة تجعلني أطلق الدنيا إن لم تكن فيها؛ وامرأة تجعلني أطلق أي دنيا لمجرد أنها فيها..

دخلت عليه زوجته وقالت بنبرة حادة:

- وحيد أنا عاوزة اتكلم معاك شوية لو فاضي ؟

- أفضالك ... تعالي اتفضلي.

- وحيد بصراحة كده وأنا مش هزعل إنت خنتني ؟

- خنتك؟ خنتك ازاي، وليه بتقولي كده ؟

- أنا بسأل سؤال و عاوزة رد ؟

- طيب.. الرد لأ.

- متأكد ؟

- أكيد متأكد.

- طيب.

- لأ مش طيب ليه سألتي ؟

- مكالماتك الكتير وغيابك الأكتر و على طول سرحان وبتكتب!!

- طيب وأيه المشكلة لما اقعد اكتب وبعدين ما السرحان ده بسبب الكتابة ببقى سرحان في اللي هكتبه

- معلش ممكن اسألك سؤال ؟

- اتفضلي.

- هي الكتابة دي لزمتها أيه ؟

- يعني أيه ؟!!

- يعني بتستفيد أيه لما بتكتب ؟

- قال ساخرًا ضاحكًا : وبستفيد أيه لما اقرأ ؟

- لأ القراءة مختلفة يعني بتعرف حاجات جديدة وبعدين القراءة غذاء للمخ و ...

- آه والعقل السليم في الجسم السليم وكده، طيب إنتِ شاغلة نفسك بالموضوع ده ليه ؟

- مش شاغله نفسي بس رد على سؤالي يعني إنت ناوي تنشر اللي بتكتبه ده ؟

- وليه لأ ؟

- أيه ده إنت بتتكلم بجد ناوي تنشر الحاجات دي ؟

- أنا بقلك ليه لأ، هو في حاجة تمنع إني انشر كلامي ؟

- أنا معرفش هما بينشروا ازاي، بس يعني لقيت حد ممكن ينشر كلامك، على فكرة أنا اتمنالك الخير ؟

- ربنا يكرمك، لأ ملقتش حد، لقيت أمل بس والأمل ده هو اللي بيخليني اكتب حتى لو اللي بكتبه ده عمره ما هيتنشر، بس في لحظات لازم تُدون

- آه يعني دي حاجة كده زي مذكراتك ؟

- تقريباً.

- بس أنا شايفاك كاتب رواية رائعة العذاب، هو إنت بتألف رواية ؟

- بس إنتِ مستأذنتنيش قبل ما تفتحي الورق.

- أنا مفتحتوش كله أنا قريت أول ورقتين بس.

- طيب أنا شايفك بتحومي حوالين حاجة أنا مش فاهم أيه هي ؟

- مش بحوم ولا حاجة كل الموضوع إن الوقت اللي بتضيعه في الكتابة ده لو ذاكرت فيه للعيال هيبقى أفيد وأحسن وممكن تبقى تكتب يوم الأجازة ساعة كده قبل ما تنام، لكن مش طول ما أنت قاعد عمال تكتب هو أيه الكلام مبيخلصش ؟

- نظر إليها متأملًا ثم قال: هو أنا أتجوزتك ازاى ؟

- معلش نصيبك بقى.

- هو إنتِ مش كنتِ بتحبيني ؟

- أكيد.

- طيب ليه منبهتنيش إني كنت بضيع نفسي؟

- قالت ساخرة والضحكة تملىء وجهها: كنت نبهت نفسي، يلا اللي حصل حصل.

- على فكرة الأولاد في مُدرسة بتيجي تعلمهم، وبيروحوا حضانة وأنا دوري معاهم مش دلوقتي لسه لما يبقوا بيعرفوا يتكلموا، المفروض إن إنتِ اللي هتعلميهم العلم وأنا اللي هعلمهم يطبقوه، أنا اللي هعلمهم الدنيا مش ألف باء وواحد اتنين.

- وليه متعلمهمش ألف باء وواحد اتنين ؟!!

- علشان يبقى ليك أي دور في البيت ده.

- كل ده ومليش دور ؟

- ليكِ طبعًا وهتتجنني وتتنازلي عنه لكن أنا عاوزك تفضلي ليكِ دور ، في الوقت المناسب مش هسبهم أبدًا هيكون كل وقتي ليهم يمكن حتى ميبقاش في وقت إنهم يقعدوا معاكِ.

- والوقت المناسب ده إمتى بقى إن شاء الله، لما يتجوزوا ؟!

- لأ لما يخلفوا هبقى اقعد أذاكر لعيالهم ، عارفة .... عمرنا ما هنتفق أبدًا.

- طيب.

*****

- على فكرة وحشتيني فووووق ما تتخيلي.

- أمّال أنا أقول أيه بس يا ياسر، احنا مش هنتجوز بقى ؟

- خلاص هانت يا حبيبتي، هنتفرج بكرة على الشقة وبإذن الله هتعجبك وهتعجب سيادة اللواء.

- بطل بقى، قول عمو محسن أحلى..

- حاضر وإن شاء الله هتعجب عمو محسن أحلى وبنت عمو محسن أحلى...

- بطل يا رخم، أيه الغلاسة دي.

- أنا بحب أغلس على حبيبتي علشان مبقاش حارمها من حاجة حتى الغلاسة.

- لو مش عاوز تحرمها من حاجة صحيح يبقى متنشفش مخك وتسبني أسمي الولد مهند.

- ضاحكًا: إنتِ محسساني إنك حامل وخلاص في التاسع يا بت اعقلي.

- مليش دعوة أنا عاوزة أنا اللي أسمي عيالي.

- ما أنا بقولك عاوز الصبيان رجالة والبنات رجالة برضه تقوليلي مهند فين الأسماء الفخيمة دي بتاعت حشمت وعصمت وهمت والناس دي؟؟

- امشي، أنا اسمي ابني حشمت؟؟

- ماله حشمت من الحشمة علشان الواد يطلع من صغره معقد اقصد محتشم..

- بطل يا ياسر هو مهند جميل..

- طيب مش يمكن أول حظنا تبقى بنوتة جميلة عسلية شبه باباها ونسميها نرجس ولا جولفدان.

- جولفدان في عينك.

- يضحك ياسر حتى تدمع عيناه: يا بت متبقيش سخنة كده، مش إنتِ اللي هتتعبي وتحملي يبقى أكيد الأسماء من نصيبك إنتِ عارفاني ديموقراطي.

- أيوه كده يا ديموقراطي.

- بس بلاش مهند خليها أي حاجة تانية علشان أنا كنت اعرف واحد فرفور كده اسمه مهند عملي عقدة في الأسم وفي الرجالة كمان.

- ماشي يا سيدي...

*****

- الروايات لا تصلح للاقتناء بل هي حدوتة تقرأها ثم تمررها إلى غيرك.

- بالعكس الحواديت عندما تدخل إلى حيز الوعي في العقل يخرجها الإنسان فى الواقع كخاطرة سابحة بين الدموع، وهناك من الحواديت ما لا يصح في حقه إلا الاقتناء.

*****

لا يا حنين إنتِ امرأة لم أقابلها إلا متأخرًا في تاريخ حياتي، حالة لم تحدث لي من قبل... مشاعر أحسها تلفني من كل جانب... إنتِ لستِ حبًا عاديًا لستِ امرأة عادية بل أنتِ امرأة لم تحدث لي إلا في خيالي... أخرجتِ مني

إنسانًا كثيراً ما كنت أفتقده، كثيراً ما صرخ داخلي أن أمد له يد الأمل ليخرج، أنتِ علمتيني حب الدنيا، ملأتي قلبي بالحب حتى أحببت كل شيء، هكذا كان وحيد يحدث نفسه كلما اختلى بها يتذكر لقاءاته مع حبيبته يحلم بلقاء منتظر ووصل لا انقطاع بعده وراحة لا شقاء معها، مرت شهور عديدة ووحيد وحنين يهيمون في الحب لا يشعرون بالكون من حولهم، عصافير في قفص الدنيا الواسع.

كانت حنين تنتظر أن ترى خطوات جادة من وحيد في اتجاه زواجهم، فبرغم تعاستها مع زوجها إلا أنها كانت مترددة في طلب الطلاق فطبيعتها تأبى الخسارة، تأبى أن تخالف العقل حتى وإن انجرف القلب في علاقة غير مفهومة، فوحيد حتى اللحظة لم يطلق زوجته وإمكانياته المادية توحي بأنه لن يتقدم خطوة واحدة، ولكن الحقيقة أن وحيد كان بحاجة إلى فترة من الحرية الحقيقية، كان يشعر أنه خارجًا للتو من تحت التراب ويحتاج لفترة من الراحة والتأمل وهو الأمر الذي كان كثيراً ما يزعج حنين، فهي تريد أن ترى خطوات على أرض الواقع كانت ترى فيه طوق نجاة من حياتها مع ذلك الزوج الذي أبى أن يفهم مشاعرها.

نعم فكما يقولوا المرأة لا تزهر في سن معين ولكنها تزهر مع رجل معين، فعندما اطمئنت لرضى وحيد أن يعيش أبنائها معهم بعد الزواج كانت تنتظر كل يوم أن ترى منه ما يدفعها دفعًا شديدًا نحو الطلاق وإلا فهي في غنى أن تحرم طارق وتسنيم من والدهم، كان وحيد قد وضع الخطوط الرئيسة لروايته الأولى والتي كانت دائمًا تحفزه لكتابتها، كانت تظن أنها بطلة روايته الوحيدة ولم تكن تعلم أنها يشاركها البطولة تقلبات نفسه وهواجسه التي كثيراً ما تنتابه فتنتحي بقلمه بين زوايا لم تخطر على باله يومًا أو ربما لم يريدها.

*****

- بقولك أيه يا بابا أنا بحب.

- مش إنت قلت إنك بطلت تحبها ؟

- هي مين دي ؟

- مراتك؟

- أنا مش بتكلم على مراتي.

- أمّال بتتكلم على مين ؟

- على حنين.

- حنين مين ؟ حنين بتاعت المكتبة ؟

- أه هي.

- ازاي يا وحيد دي متجوزة ؟

- متجوزة.. متجوزة أنا مش عاوز اسمع الكلمة دي تاني، أكيد هتطلق في الوقت المناسب ونتجوز.

- وعلى أيه يا ابني الغلب ده!!

- غصب عني صدقني.

- تاني هتختار بقلبك؟

- المرة دي مش بقلبي وبس عقلي كمان في الموضوع.

- إنت مش عارف إنها معاها أولاد ؟

- عارف.

- وهيروحوا فين ؟

- أكيد معانا.

- وناوي تعمل أيه مع مراتك وأولادك ؟

- مش عارف بس أكيد هطلقها.

- يعني ترمي عيالك وتربى ولاد واحد غيرك ؟!!

- يا أخي متقولش ارمي عيالي وبعدين أنا هربيهم علشان هما عيالها مش علشان هما ولاد واحد غيري.

- وافرض جوزها مرضيش يسيب العيال بعد ما يعرف إنها اتجوزت ؟

- مش عارف بس على أي حال دي مشكلتها هي.

- إنت مشتت يا وحيد...

- أنا تعبان يا بابا تعبان فعلًا، طبعًا أنا عارف يعني أيه هي تبقى معايا في مكان وعيالها في مكان تانى، ده مش بعيد تسيبني وتروحلهم.

- طيب يبقى عليك من ده بأيه؟؟

- يعني أنا مش مكتبولي راحة أبدًا .. كل حاجة لازم تيجي ناقصة، طيب وأنا كنت قابلتها ليه من الأول، ليه يا سامي ؟

- نصيبك أكيد إنك تقابلها لكن كان المفروض إنك تعرف كل ظروفها من الأول وتعرف إذا كان ده ينفع معاك والا لأ قبل ما تتعلق بيها.

- يا بابا افهم، ظروفها دي جزء منها لو اتشالت ظروفها دي هتلاقى شخصيتها اتغيرت مبقتش حنين بقت واحدة تانية من غير ظروفها اللي عملتها، زي أنا كده لما تجيب الحاجات الحلوة اللي فيا والحاجات الوحشة متقدرش تفصلهم لأنك في الوقت اللي هتعدم فيه الشر اللي مريت بيه هتعدم معاه الخير اللي أتعلمته منه، كل حاجة

حلوة يا بابا حلوة لأن ليها وجه قبيح، الوجه القبيح ده هو اللي صنع الجمال اللي إنت شايفه زي الرسام وهدومه وأيده الملعبكين بالألوان، صدقني مفيش حاجة في عصرنا ده حلوة من غير ما يكون ليها وجه قبيح، أنا اتعلمت الكلام ده متأخر مع التأمل، عرفت إن مينفعش أبص لواحدة فيها مميزات وعيوب وأقول ياريت مكنش فيها العيوب دي أو ياريتها ما كان عندها تجارب أمّال هي اتعلمت منين وازاي ؟

- والله هو كلام معقول بس إنت هتقدر تنفذه ؟

- البنت دي يا بابا غيرتني فعلًا خلتني أحب الدنيا بعد ما كنت خلاص نسيت أصلًا إني عايش فيها، حاسس إني هبقى معاها وبيها حاجة كويسة هرجع أحب نفسي تاني، كنت خلاص حاسس إن قدرتي على العطاء خلصت كلها، لكن معاها اتجددت وشايف إني اقدر اعمل واضحي بحاجات كتير علشانها.

- أنا يا حبيبي عاوزك سعيد بس مش عاجبني الموضوع ده.

- ورأيك أعمل أيه؟؟

- رأيي إنك خلاص تكمل في اللي إنت فيه مع مراتك إنت خلاص اتجوزت وبقى معاك ولاد كمل علشانهم.

- وفي النهاية ؟ اجي هنا وأخد شقة زي دي وأقعد فيها لوحدي ؟ والا أرجع أدور عليها وساعتها تكون ضاعت ومش هلاقيها تاني.

كانت كلمات وحيد مباشرة وجارحة لقلب سامي الذي يشعر أن الدنيا قد بخسته كل حق له، أخذت منه زهرة شبابه وثمرة أمواله ثم ألقت به في مكان بعيد كأنه في زنزانة، سجين يهرب من الناس يحبسه بداخلها خوفه من الآلام، فبالطبع لم يكن سامي أو غيره يحب أن يكون في نهاية المطاف وحيدًا بعيد عن زوجة ترعاه وتقوم على شئونه.

- إنت صح يا وحيد صح إنك تعيش لنفسك أنا فعلًا يا ابني خسرت كل حاجة بس كل ما أفكر ويرجع بيا الزمن تاني ألاقي نفسي بختار نفس الاختيارات، يمكن إنت أذكى مني أو أقسى مني.

- بابا أنا بحبك وعلشان بحبك بتكلم معاك زي ما بتكلم مع نفسي وإنت خلاص بقيت نموذج يستحق الدراسة، أنا مش بلومك على اختياراتك لأنها في الأخر اختياراتك وإنت اللي بتتحملها لكن ده ميمنعش إني أنتقدك أو إني أفضفض معاك بمخاوفي.

- أنا مش زعلان بالعكس أنا عاوزك تتعلم من حياتي ومتكررش أخطائي وأنا بقولك إن كل خوفي على عيالك، مكنتش أحب إنهم يتربوا بعيد عنك، لكن في الأخر القرار قرارك.

- لأ أنا مش عاوز كده أنا عاوزك تشاركني في القرار، سيبك من حنين واعتبرها مش موجودة، وادِيني سبب مقنع يخليني أفضل ميت بالحيا ؟

- يعني إنت كنت هتطلقها قبل موضوع حنين ده ؟

- وأنا قلتلك كده كذا مرة ممكن الموضوع ده شجعني لكن مش هو الأساس في إني أنهي العلاقة دي، العلاقة دي أنا عاوز أنهيها حتى لو مش هبدأ في غيرها.

- للدرجة دي ؟

- إنت مش حاسس؟ يا سيدي أنا بقولك إني بيجيلي اكتئاب بمجرد ما بدخل البيت ليه مش عاوز تفهم، مفيش بينا حياة أو روح أو حاجة مشتركة، كان مجرد حب أعمى وراح لحاله وانتهى ووقفت الدنيا.

- طيب أيه اللي مخليك متردد في الطلاق ؟

- مش عاوز اجرحها، خايف عليها جدًا.. مرعوب...

- وإنت مالك بيها بقى؟!

- يا سامي الست دي كانت مسئولة مني في يوم من الأيام وأنا اللي كنت بدافع عنها واتعامل مع الدنيا بدالها ازاي في يوم وليلة اسيبها للدنيا لازم أخاف عليها، هي على أي حال صعبانة عليّ، وان كنا فشلنا مع بعض فأنا في النهاية متمنلهاش الفشل في حياتها، مراتي دي غلبانة جدًا ومظلومة جدًا.

- حب الخلود ده هو اللي بيعمل في حياتك أزمات متتالية في كل علاقاتك.

- علشان خايف عليها بعي يعني؟ ليه هي العشرة ملهاش تمن؟

- طيب أنا عاوز أسألك سؤال وتجاوبني بصراحة.

- اتفضل.

- إنت لسه بتحب مراتك والا فعلًا خلاص مبقتش تحبها ؟

- بقت أم عيالي، أم طاهر وبس.

- وبس ؟

- وبس.

- غريب إنت يا أخي، ده إنت كنت هتهد الدنيا علشانها، كانت كل أمالك !

- و النهارده ما أنا بهدها برضه علشانها، ماذا تفعل يا صديقي عندما تصبح أمالك ألامك ؟ أنا سلمتلها قلبي وهي اللي غسلته من حبها.

- يااااه المعنى ده كبير.

- أنا عارف وأكيد اقصده، أنا وجعي فيها كبير قوي على الأقل قدرت تقنعني إنى أحب واحدة معاها عيلين، عارف يا سامي العدل كان إن حنين تبقى حبيبتى أنا مراتي أنا مش حد تاني.

- العدل كان إنك متتجوزش مراتك وتسمع كلام أبوك اللي مكنش عاوز إلا مصلحتك.

- خلاص يا سامي اللي حصل حصل وأنا اعترفتلك إني استاهل ضرب الجزمة بس هو أنا هفضل أسدد تمن الغلطة دي طول عمري؟ خلاص خسرت وقت وفلوس ونكد وأخيراً عيال هشوفهم بمواعيد مش ضروري أخسر كل حاجة يا سامي وبعدين ماهو التاريخ لازم يعيد نفسه، أمي كانت قالتلي إنك زمان كنت حاطط فلوسك في الريان.

- أه...

- طيب وأنا مكنش معايا فلوس أحطها في الريان فحطيت عمري.

- سلامة عمرك.

- قويني بقى يا سامي بلاش تفضل تحسسني إني خلاص راحت عليّ وإني لازم أموت وأنا متنكد كده على طول.

- ربنا يصلحلك الحال يا حبيبي.

*****

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

- هو احنا عايشين مع بعض ليه ؟

- أكيد علشان متجوزين.

- أيوه وليه نفضل متجوزين ؟

- يعني أيه ؟

- يعني أنا مش مرتاحة.

- ولا أنا.

- وإنت مش مرتاح في أيه ؟!!

- مش مرتاح لسرحانك وتليفونك اللي على طول مشغول إنتِ من ساعة ما نزلتِ الشغل وإنتِ اتغيرت.

- اتغيرت ازاي ؟

- يعني كلامك قل عن الأول لكن اعتراضاتك كترت، على فكرة البيت مبيتبنيش على طرف واحد لازم الطرفين يضحوا.

- وإذا كنت أنا مش مرتاحة ؟

- يبقى نطلق ماهو كلامك ده مفيش حاجة في أخره إلا الطلاق، حنين اهدي ومتخربيش البيت.

- أنا لو عاوزة أخرب البيت عمري ما كنت هنبهك إن أنا عندي مشاكل وإني مش مستريحة وتعبانة، حبيبي اتغير علشان خاطري وعلشان خاطر البيت ده لو يهمك فعلًا .

- طيب ما تتغيري إنتِ وادي البيت ده اللي عليكِ.

- عمرك ما هتفهم .. عمرك ما هتفهمني.

- مش مهم افهم طالما إنتِ فاهمة ..

*****

أحببتك كما فرض عليّ ضميري ولكن القلوب أوعية ومنها قلوب لا تستطيع أن تحمل الحب فيندلق ويسبح بين الدماء.

*****

- تفتكري فعلًا هيجي اليوم اللي مش هنبعد فيه عن بعض أبدًا يا حنين ؟

- أنا أملي كبير.

- على فكرة الخوف والتردد اللي احنا فيه ده طبيعي جدًا لان المرة دي مش زي اللي فاتت، احنا المرة دي بنضحي تضحيات تحفها الدماء من كل الجوانب، مفيش فرصة تاني نفشل ونصلح، أنا عمري ما بصيت لعلاقتنا على إنها تجربة لكن لو اعتبرناها تجربة فهي أخر فرصة للحياة، مش محتملة غير النجاح، هنكسر حاجات كتير قوي في السكة يا حنين.

- بإذن الله هننجح وهنبقى مع بعض على طول وهشوفك وإنت راجل عجوز وسنانك واقعة.

- بس أنا هموت قبل سناني ما تقع.

- حرام عليك يا وحيد ليه تقول كده عاوز تموت و تسبني ؟

- عاوز أموت واحنا مع بعض يا حنين، اوعديني متسبنيش يا حنين، امسكي في أيدي قوي، واوعي الموج يفرقنا، خلي عنيكِ دايمًا على عنيا متفارقهاش واصبري، حنين أنا متفائل .. متفائل جدًا.

- فاكر لما حكتلي إنك أول ما شوفت مراتك في الفرح عرفت إنها هتبقى مراتك.

- أه فاكر.

- وأنا لما شوفتني حسيت بأيه؟

- أول ما شوفتك عرفت إن في حاجة كبيرة هتحصل بينا.

- لكن مشفتنيش مراتك ؟

- أول ما شفتك اتمنيتك تبقي مراتي، كنت عارف من أول لحظة جمعتنا إننا هنقرب مش عارف لحد فين، مع إني كنت بسأل نفسي هنقرب ازاي !

- يعنى مشفتنيش مراتك؟

-هي قدري لكن إنتِ اختياري.

- أنا نفسي اعرف إنتِ ازاي مقاسي قوي كده !

- أنا اللي حاسس إنك موجودة في الدنيا بس علشان أقابلك وأكمل حياتي بيك.

- كل اللي كنت بتمناه زمان وأنا لسه في بيت بابا شايفاه كله فيك، حتى كلامك .. طريقتك .. أسلوبك .. كل حاجة يا وحيد.

- أول ما شفتك افتكرت حلم حلمته وأنا في المستشفى، تخيلي إن أنا شفتك بشكلك ده قبل حتى ما نتقابل ؟!

- فعلًا ؟

- أه بس إنتِ بعد ما وعدتيني في الحلم سبتيني وغوصتِ في الميه.

- عمري ما هسيبك يا حبيبي، إنت عمري اللي ماصدقت لقيته.

- وإنتِ عمري اللي ضاع واللي نفسي أعيش بقيته.

- عملت أيه في الرواية ؟

- مستعجلة عليها قوي ؟

- جدًا جدًا، مفتقدة جو إني اقعد اقرأ كلماتك وأعيدها كذا مرة وأقول يا ترى يقصد هنا أيه واقعد أخمن لحد ما أوصل .

- عارفة مسميكِ أيه في الرواية ؟

- أيه ؟

- حنين.

- نفس الإسم، طيب كويس علشان أنا بغير أصلًا عليك ومش هستحمل تقعد تقول إنك حبيت فلانة.

- ضاحكًا: مجنونة.

- أنا أصلًا جالي تفكير النهارده مش عارفة ازاي كان غايب عننا.

- تفكير أيه ؟

- الحاج أشرف.

- ماله ؟

- ممكن ينشر الرواية لو عجبته وأنا كمان أقدر أقنعه بيها.

- فكرة جميلة، إنتِ وش الخير يا حنين وأيقونة نجاحي مش بقولك أنا حاسس إني معاكِ هبقى إنسان تاني، مش عارف فيكِ طاقة كده بتحسسني إني هملك الدنيا بعد ثانية واحدة.

- بإذن الله نملكها مع بعض، هاتلي الجزء اللي خلصته من الرواية بكرة وإنت جاي.

- يا حبيبتي الرواية أنا خلصت أغلبها لكن لسه النهاية، في رواية من غير نهاية ؟

- متقلقش الحاج أشرف قارىء متمكن ويقدر العمل اللي يتعرض عليه حتى قبل ما يكمل، إنت خلاص هتسميها رائعة العذاب ؟

- أه عجبني الإسم جدًا.

- لكن أنا مش فاهمه المقصود منه أيه ؟

- زي رائعة النهار كده، عارفة العذاب الواضح ؟ هو ده العذاب الرائع.

- وليه العذاب يا وحيد ؟

- علشان أنا عنيا دايمًا بتسبقني يمكن أكتر من سنة أو سنتين.

- هستناك بكرة.

- حاضر يا حبيبتي.

وفي المساء تقابل وحيد مع صديقه ياسر وراحوا إلى كورنيش النيل كل واحدًا منهم بأمنياته وأحلامه.

- في جديد عندك بخصوص موضوع مراتك ؟!

- أه في جديد، ياسر هو أنا اقدر اتكلم معاك وأنا مطمئن ؟

- طبعًا يا وحيد اتكلم أنا كلي آذان صاغية.

- أيه رأيك في واحد متجوز بيحب واحدة متجوزة ؟

نظر إليه ياسر مستنكرًا :

- ده من قلة الستات مثلًا ؟!

- لأ من قلة العقل، من قلة الحظ، من الظروف المبعترة.

- وحيد أنا شايف إنك بتوه كل يوم عن اليوم اللي قبله، مش حاسس إنك ماشي في طريق هيوصلك لأي حاجة من اللي إنت عاوزها، أنا بحب واعرف أقدر يعني أيه إنسان بيحب وعلشان كده اسمحلي أقولك إن الحب أنواع في نوع من الحب مينفعش يتجاوز قلبك ويوصل لعنيك ونبرة صوتك، أنا مش عاوز اسمع الحكاية اللي إنت كنت عاوز تحكيهالي دي بالذات، عارف ليه ؟

- عارف.

- هو إنت اللي اتجوزت مراتك والا هي اللي اتجوزتك ؟

- أكيد أنا.

- يعني إنت اللي اخترتها من البداية.

- أيوه أنا اللي اخترتها وبكامل إرادتي.

- الخيانة مش إنك تعرف واحدة غيرها، الخيانة إنك تتخلى عنها لأي سبب، اتعامل معاها على إنها بنتك قبل ما تكون مراتك، لازم تتعلم تتعامل مع ضعفها مع كل حاجة ناقصة فيها، وربنا لما قسم الرزق والعقل والحكمة وكل حاجة من الخير والشر قسمها بحكمة وأكيد مكنش من ضمن الحكمة دي إن مراتك علشان نقص معين عندها إنها تكون الجزء المهمل من حياتك.

- عارف الإنسان الآلي؟ أنا بقيت زي الإنسان الآلي، أول ما بشوفها بتتقطع صلتي بالمشاعر الإنسانية وببقى إنسان آلي، شعور الرفض ماليني غصب عني.

- إنت عارف إني بحبك وإني مش هخدعك.

- أكيد.

- إنت اللي محتاج تتعالج يا وحيد، أيه رأيك لو روحنا لدكتور نفسي تقعد معاه وتتكلم وتقول كل اللي في نفسك وأكيد الدكتور هيفيدنا كتير في حالتك.

- أنا حالة عصية على العلاج، زي ما أكون حالف متعالجش إلا بنوع معين من الدواء.

- بس أنا قررت إنى احجزلك ميعاد ونروح مع بعض.

- سبني أفكر في الموضوع شوية.

- فكر .. اوعدني إنك تفكر، وأنا هستنى على أخر الأسبوع تقولي احجزلك ميعاد مع الدكتور.

- بإذن الله.

عاد وحيد إلى بيته يفكر في كلام ياسر كان مقتنع إنه يحتاج فعلًا إلى علاج ولكن لا يدري عند أي طبيب يكمن علاجه، فتح جهاز الحاسب وراح يبحث عن صديقه فهد والذي كان بدوره ينتظره عبر شبكة الإنترنت.

- أيه يا وحيد اتأخرت ليه أنا مستنيك من بدري ؟

- مفيش كنت مع ياسر بنتمشى على الكورنيش، أما النيل ده جميل بشكل يا أخي.

- إنت كنت بتتمشى على النيل كمان، ماشي يا عم.

- وياسر اكتشف حاجة مهمة جدًا واحنا بنتمشى على النيل، اكتشف إني مريض نفسي ومحتاج لعلاج.

- مريض نفسي ؟!!

- أه ومحتاج لعلاج ومستني أرد عليه أخر الأسبوع علشان يحجزلي ميعاد.

- يا أخي أنا ياسر ده مبقبلوش لله في لله كده.

- إنت يا فهد مبتقبلش أي حد ياخدني منك الموضوع مش في ياسر على الخصوص.

- على فكرة هو فعلًا مفيش حد يعرف ياخدك مني، لكن أنا بتكلم على ياسر بالخصوص.

- هو إنت تعرفه أصلًا يا فهد.

- أعرفه يا وحيد واعرف إنه هيدخل في دماغك تخاريف، مريض نفسي أيه بس، طيب قولي اكتشف الاكتشاف اللوزعي ده ازاي ؟

- أبدًا سألته سؤال قلب كيانه.

- أيه هو؟

- قولتله أيه رأيك في واحد متجوز بيحب واحدة متجوزة ؟

يضحك فهد بصوت عالي..

- طيب ما هو لازم يقولك إنك مجنون مش مريض نفسي بس، بقولك أيه يا وحيد إنت بتحب حنين صح ؟

- أه جدًا.

- وهي ؟

- مش عارف تقريبًا بتحبني.

- نعم ؟!! تقريبًا...

- أه ما أنا مدخلتش قلبها.

- من غير ما تدخل عمومًا أنا بثق في اختياراتك، لو إنت ناوي فعلًا تتجوزها يبقى لازم تكون على علم إن الموضوع مش سهل الموضوع معقد جدًا لكن في الأخر هتوصل للي إنت عاوزه لو كنت عاوزه فعلًا، بس لازم تفكر كويس قبل أي قرار.

- أكيد هفكر....

- سيبك من موضوع الدكتور النفسي بتاع ياسر ده متروحش في حتة.

- ليه ؟

- علشان إنت مش مريض، إنت واحد متسرع بس كده.

- بقولك أيه أنا عاوز أنام علشان الحق أحلم بحنين شوية قبل ما أقابلها بكرة.

- وتقولي مريض نفسي ؟! قوم يا عم الله يسهلك.

*****

وفي اليوم التالي ذهب وحيد إلى المكتبة حاملًا نسخة من الجزء الذي أتمه من روايته، دخل إلى المكتبة وألقى بين يديها روايته.

- اتفضلي يا حبيبتي.

تهلل وجهها وهي تنظر إلى الورق الملقى أمامها.

- في حد يرمي الورق كده مش خايف حبيبة المؤلف تشوفك؟ دي ممكن تموتك لو كانت شافتك وإنت بترمي الورق اللي كتبه حبيبها كده.

- طيبة حبيبته دي قوي، شايفة الدنيا وردي.

- ماهي وردي فعلًا، عارف لما بشوفك بحس بأمان غريب.

- وأنا لما بشوفك بحس إني تايه أو محتاج أتوه واسرح بخيالي شوية، جميل قوي حب اللصوص وقطاع الطرق ده.

- بطل الكلام ده إنت عارف إني مش بحبه، احنا مش لصوص ولا قطاع طرق.

- أكيد، حنين هو احنا هنتجوز إمتى ؟

- إنت اللي تقول مش أنا.

- بس أنا قلتلك إني مش هساعدك في موضوعك ده، أنا مينفعش يكون ليّا أي دخل.

- متقلقش أنا عارفة وفاهمة.

- وواقفة مكانك مبتتحركيش خطوة واحدة.

- ولا إنت بتتحرك يا وحيد.

- قوليلي يا حنين، هي الفلوس مهمة قوي؟

- أكيد مهمة.

- أد أيه ؟

- مش عارفة أو مش فاهمة قصدك.

- يعني أنا فقير يا حنين لازم تعرفي إني فقير ممكن مقدرش أوفرلك حاجات كتير موجودة عندك دلوقتي، زي مكان سكنك مثلًا هتقدري تسكني معايا في أي مكان ؟

- ماهو أكيد حبيبي علشان بيحبني هيتعب شوية وهيشتغل علشان نقدر نعمل كل اللي احنا عاوزينه.

- أكيد حبيبك هيتعب كتير علشان يعمل كل اللي إنتِ عاوزاه، بس هل في الأخر هلاقيكِ ؟

- أنا جنبك يا وحيد خطوة بخطوة.

- تخيلي إننا في أول يوم جواز هيبقى عندنا خمس أطفال !

سرحت للحظات ثم قالت :

- أه داخلين الموضوع واحنا جاهزين من كل حاجة.

- هتتعاملي معاهم ازاي يا حنين ؟

- عارف المشكلة إن أربعة منهم صبيان و توق البنت الوحيدة ربنا يكون في عون اللي هيقعد معاهم.

- هتحبيهم زي ما أنا بحب طارق كده ؟

- أكيد يا وحيد كفاية إنهم ولاد حبيبي.

- هنكافح علشانهم كلهم صح.

- طبعًا.

- وإنتِ معايا ؟

- طبعًا

- إنتِ هتفضلِ معايا على أي حال ؟
- هفضل معاك على أي حال.
- هتستحملِ ظروفي؟؟
- هستحمل.

- هنربي العيال مع بعض ؟
- أيوه يا حبيبي هنربيهم مع بعض.
- هنجوع ونحرم نفسنا علشان نعلمهم ؟
- أيوه يا حبيبي.
- لأ هنجوع مش هجوع.
- أيوه يا حبيبي احنا الاتنين.

- ربنا يطمنك يا حنين.

- اطمن يا حبيبي على الأخر احنا مع بعض في كل الظروف والأحوال.

- أنا بطمن بيك علشان كده بتفزع أول ما ببص جنبي وملقاكيش.

- فترة وهتروح لحالها يا وحيد.

- طيب أنا همشي وممكن ارجعلك تاني.

- هو إنت لسه قعدت معايا.

- أنا جيت علشان اجيبلك الرواية وامشي هحاول ارجع تاني.

- مش هتلحق أنا نص ساعة وهمشي.

- طيب كلميني في التليفون زي كل يوم.

- هتوحشني لحد ما أكلمك.

- إنتِ وحشاني دلوقتي حالًا ، يلا بقى سيبني امشي أنا بتلكك أصلًا علشان اقعد.

- خلاص روح مشوارك وأنا هكلمك أول ما أروح.

- ماشي يا حبيبتي.

ذهب وحيد لقضاء بعض أعماله ولم يستطع الحضور إلى المكتبة في اليوم التالي والذي حضر فيه الحاج أشرف صباحًا إلى المكتبة مع حنين لاستلام شحنة الكتب الجديدة وبعد انتهائه من استلامها وعندما هم الحاج أشرف بالقيام ينوي الذهاب إلى بيته أخذت حنين رواية رائعة العذاب والتي لم تكتمل بعد وأعطتها له وقالت :

- الرواية دي عجباني جدًا ممكن تقرأها وتقولي أيه رأيك فيها ؟

تناول الحاج أشرف الرواية وأخذ يقلب فيها.

- حاضر هقرأها وهقولك رأيي فيها بكرة بإذن الله.

ثم انصرف...

اتصلت حنين بحبيبها وحيد :

- حبيبي.

- وحشتيني يا حنين.

- وحيد أنا اديت الرواية للحاج أشرف هيقرأها ويرد عليّ بكرة.

يضحك وحيد بخجل :

- إنتِ قولتيله إن أنا المؤلف ؟

- لأ يا حبيبي زي ما قولتلك مفهمتهوش أي حاجة قولتله إن الرواية دي عجباني وعاوزة رأيه فيها، هو استغرب إنها ورق عادي مش كتاب بس معلقش قالي هقرأها وأرد عليكِ بكرة، أنا متفائلة جدًا ومتأكدة إنها هتعجبه زي ما عجبتني إنت كلامك رائع يا وحيد.

- رائع علشان حنين حبيبتي هي اللي بتقرأه، لازم تفهمي إن الرواية دي أنا كتبتها ليكِ إنتِ علشان كده إنتِ بتشوفيها رائعة لكن أأ حد غيرك هيقراها أكيد مش هتعجبه.

- ليه بتقول كده يا وحيد أنا واثقة في موهبتك جدًا وبكرة أفكرك.

- وأنا واثق في حبي ليكِ، عارفة نفسي تشوفيني ناجح، خايف أخيب أملك فيّا.

- عمري ما أملِ فيك يطلع غلط إنت موهوب وأنا من أول حاجة قرأتها حسيت إني قدام كاتب، حرام عليك تفضل تدفن مواهبك كده بالحيا، اوعدني تكمل الرواية.

- مش لما تعجب الحاج أشرف الأول.

- ليه وهو إنت بتكتبها علشانِ والا علشانه ؟ أنا مليش دعوة أنا عاوزة اعرف نهايتها متشوقة جدًا إني اعرف أيه اللي هيحصل.

- حاضر يا حبيبتي بس الموضوع محتاج شوية إلهام وإنتِ مش مركزة معايا خالص.

- لأ بلاش حجج أنا في المكتبة كل يوم هستناك بكرة تيجي علشان نقعد مع بعض وتاخد شحنة الإلهام وتكمل روايتي.

- عاوز أشوفك بره المكتبة.

- اصبر يا حبيبي كام يوم وهنتقابل.

- قال متذمراً : حاضر.

- هتعدي عليَ بكرة ؟

- أكيد هو أنا عارف أعدي يوم من غير ما أشوفك.

- ومالك زعلان كده ؟

- وإنتِ مالك فرحانة كده ؟ فرحانة إني أسير.

- إنت أسيري أنا بس.

- ماشي يا اللي ملكتي قلبي.

- وحيد خلي بالك مني يعني من نفسك.

- حاضر يا نفسي هخلي بالي منك.

*****

كم أعجبت الرواية الحاج أشرف وشعر معها بأشياء يفتقدها منذ زمن بعيد فلما قابل حنين كانت بداية كلامه :

- أيه الرواية الجميلة اللي إنتِ ادتيهاني دي ؟

- بجد عجبتك ؟

- جدًا أنا شايف مستقبل هايل للمؤلف بس فين بقية الرواية والا إنتِ بتشوقيني.

- لا والله هو كل الموضوع إنها فعلًا لسه مكملتش.

- ازاي رواية زي دي متكملش إنتِ جبتيها منين ؟

- أنا أصلي اعرف المؤلف وهو كان بياخد رأيي فيها، أنا بجد مبسوطة جدًا إنها عجبتك.

- الرواية فيها كلمات معبرة جدًا وقضيتها كمان واضحة وجديدة، لازم تعزمي المؤلف ده يجي أشوفه، هو اتفق مع دار نشر خلاص ؟

- لا لسه معرضهاش على أي حد إنت أول حد يشوفها.

- طيب كويس جدًا أنا موافق أطبعها وانشرها أول ما يخلصها.

وعندها لم تتمالك حنين نفسها من الفرحة شعرت أن كل الدنيا ترقص من حولها لم تكن تظن أن يتحمس الحاج أشرف بهذه السرعة فقد اختصر عليها طريق طويل من المناقشات والإقناعات، فقد رأى أن الرواية تستحق أن تحمل اسم دار قلم يصارع الأحداث.

- عارفة يا حنين أنا متشوق جدًا اعرف نهايتها، أسلوب الكاتب كمان شدني جدًا.

- على فكرة إنت عارف المؤلف وبتشوفه كتير.

- اعرفه ؟! مين هو ؟

- وحيد.

- وحيد اللي بيجلنا هنا ؟ هو بيألف ؟

- أه دي روايته الأولى.

- والله هايل جدًا إن تكون بدايته قوية كده، طيب استني بقى لما اكلمه.

وتناول هاتفة واتصل على وحيد.

- ازيك يا وحيد أيه الرواية الجميلة اللي نزلت دموعي دي؟!

- ازيك يا حاج أشرف عامل أيه ؟ الرواية فعلًا عجبتك ؟

- أنا منبهر بيها جدًا أنا لازم أشوفك النهارده علشان نتفق هننشرها إمتى.

- ننشرها ؟!!

- آه طبعًا ننشرها أمّال إنت فاكر إني هسيب حاجة زي دي تتنشر في أي دار تانية، يلا شد حيلك وكملها علشان أنا متشوق جدًا أنا وحنين نعرف نهايتها أيه؟؟

الفرحة والاضطراب قد ألجم وحيد.

- أكيد طبعًا يا حاج أشرف هكملها، أنا هعدي عليك النهارده بإذن الله بعد ساعتين.

- وأنا في انتظارك مع السلامة.

وأغلق الهاتف وعاد لحنين :

- ازاي أنا مكتشفتش طول الفترة دي إن وحيد بيكتب ؟!

- هو مبيتكلمش عن الموضوع ده كتير، لكن إنت حفزته جدًا بكلامك ده.

- أنا هطبع الرواية فعلًا يا حنين.

- بإذن الله هتعجب الناس زي ما عجبتني أنا وإنت.

- بإذن الله أنا متأكد إن وحيد هيبقى مؤلف ناجح جدًا لو فضل على المستوى اللي أنا شفته في الرواية.

- بإذن الله بتشجيعنا ليه هيفضل على المستوى ده وأحسن كمان.

- طيب يلا إنتِ اتأخرتي على ميعاد الحضانة.

- حاضر أنا ماشية.

- مع السلامة.

- مع السلامة.

وبمجرد ما خرجت حنين إلى الشارع هاتفت وحيد :

- شوفت يا حبيبي مش قلتلك.

- أنا مش مصدق نفسي يا حنين، من يوم ما عرفتك وأنا بتفائل بيكِ، وعارف إني هبقى كويس علشانك علشان أليق بيكِ.

- يا وحيد إنت حاجة كبيرة قوي في نظري.

- وإنتِ كل حاجة حلوة في حياتي، وعمري اللي لسه جاي، إنتِ النهارده وبكرة يا حنين بكرة اللي مستنيه من زمان.

- بتحبني يا وحيد ؟

- بحبك من قبل ما أشوفك.

- حكايتنا غريبة فعلًا.

- لأ مش غريبة ولا حاجة كانت تبقى غريبة لو متقابلناش.

- هتكمل الرواية إمتى أظن دلوقتي ملكش حجة ؟

- هكملها علشان حبيبتي مستنياها.

- لأ دلوقتي مبقتش حبيبتك بس بقالك معجبين غيري.

- إنتِ كل قرائي، أنا مكتبتش إلا علشانك.

- يعني هفضل القارىء المميز؟؟

- لأ هتفضلِ القارئ الوحيد.

كانت حياة وحيد تأخذ منحنيات جديدة ومفاجئة، تجدد في داخله الأمل والإقبال على الحياة، فمن أكثر بواعث الحياة في النفس البشرية تلك الطاقة التي تسرى على مهل في العروق الضيقة حتى تصل إلى القلب فتعطيه دفقات سخية من الدماء و طاقة الأمل وتجدد الحلم، فلا حياة حقيقية بغير بواعث، لذلك كثيرًا ما نرى أموات يسيرون على قدمين دون أن يدري أصحاب هذه الأقدام أنهم أموات محمولين وكأن مشيتهم جنازة مهيبة قد يراها كل الناس إلا الميت، أصبح موضوع رواية وحيد هو شغله الشاغل ليل نهار ما بين عمله ومداعبة أطفاله وما بين كتابة وقراءة، ومقابلة لحنين التي يستمد من روحها وبريق عيونها إلهامه الذي يكتب على ضوئه، ورغم

عدم وجود التشجيع الذي يحتاجه من في مثل حالته وبدايته إلا إنه كان قد رأى طريقًا مفتوحًا على مصراعيه ينتظر تحركه متذكرًا كلمات فهد قبل سفره

- "يا وحيد صدقني أنا أرى مستقبل أفضل ينتظر ... ينتظر فقط أن نخطفه"

فقد كانت حنين وفهد ضوء النور وشعلة النار التي يكتب وحيد على أثرهم كلماته ما بين الفرح والشجون وتصوير السعادة والهموم، كثيرًا ما كان يخاطبهم بقلمه على صفحات روايته بين معاتب ومبررًا ومتمني، فكم يحمل قلبه منهم وجع يخفيه عنوة يجبره على التقوقع وعدم البروز إلى السطح، فسفر فهد كان قاسم له وسهم ألقيَ من بعيد فأصاب منطقة مظلمة في قلبه، وكذلك ما كان يراه من اهتمام حنين بالمال والمادة كان يؤرقه، فلم يكن وحيد فقير بالشكل الذي كان كثيرًا ما يتفنن في إبرازه أمام حبيبته، ولكن كم كان يتمنى أن يرى الإصرار عليه في عينيها، يرفض أن تحبه بالحياة الجاهزة كان يتمنى أن يرى منها الإصرار على البذل والتضحية حتى بهذه الحاجيات التي قد تكون لا تعني شيء.

وثمة أمور كانت تكشف تناقضات مرعبة وبون شاسع بين شخصية وحيد التي تحب الهدوء وتكره المال والمادة؛ وبين حنين التي تعشق الصخب والحياة التي تحفها الرفاهية من كل جانب، فوجهات نظرهم في التمتع بالمال كانت مختلفة إلى حد بعيد يصل أحيانًا إلى المفارقة، في الوقت الذي يرى وحيد أن سعادة إنفاق المال تكمن في تلك البسمة المتعثرة على هذه الشفاه التي أنهكها الفقر حين يمد يده إليها ببعض ما تحتاجه من هذا المال، كانت ترى حنين أن سعادة إنفاق المال تتجسد في تلك الماركات العالمية التي ترصع أسماء الملابس الفاخرة حين نذهب إلى أفخم الأماكن بحثًا عن شرائها وإنفاق المال فيها، وكأنهم يجسدون أطوار نمو الزهرة بدءً من أن يغوص وحيد في الطين ليغرس البذرة نهاية إلى حنين التي تأتى بوجهها المشرق لتقطف تلك الوردة بعد أن تفتحت وبان جمالها لكل عين.

*****

رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

بعد أربع شهور...

- هو إنت فاكر يا وحيد إن أنا مش فاهمة اللي في دماغك ؟

- وأيه اللي في دماغي ؟

- إنت بتفكر إننا نطلق صح ؟

- نفسي.

- وأيه اللي مانعك ؟

- مش عارف.

- لأ أنا ممكن أسهلك الموضوع تحب نطلق إمتى ؟

- بالسهولة دي ؟

- مش إنت بتفكر في كده ؟

- أنا بفكر في كده من زمان مش من دلوقتي.

- بس واضح إن الموضوع خلاص كبر في دماغك.

- وإنتِ حاسة من إمتى إن أنا ناوي فعلًا خلاص إننا نطلق.

- من بدري زي ما أنت قولت، لكن من خمس شهور وأنا حاسة إن إنت بتحارب نفسك وبتتقدم خطوة وترجع خطوة، أيه اللي مانعك يا وحيد ؟ العيال ؟

- هو أنتِ عاوزة تطلقي ؟

- لأ أنا مش عاوزة.

- ليه رغم إن إنتِ مش سعيدة ؟

- هي حتى لو اطلقت برضه مش هبقى سعيدة.

- توافقي أتجوز عليكي ؟

- لأ موافقش أنا أخد عيالي وأطلق وإنت تتجوز وتشوف حياتك وربنا معاك، وعلى فكرة أنا مش هحرمك من عيالك لو كان ده السبب اللي بيخليك متردد.

- إنتِ مصدقة إني كنت بحبك ؟ وإنك كنتِ أهم حاجة في حياتي ؟

- بيتهيألي الكلام ده ملهوش لازمة دلوقتي.

- طيب ينفع ننفصل بشكل محترم ونفضل أصدقاء بعد الطلاق.

- أكيد، متنساش إن في بينا عيال يعني لازم نتعامل مع بعض طول العمر.

- طيب إنتِ عمرك ما حسستيني إنك جنبي أو إني اقدر اعتمد عليكِ، عارفة إنتِ عمرك ما واسيتيني كمان، ينفع تقومي بالدور ده دلوقتي؟

- ازاي؟!

- تساعديني إننا نطلق...

قامت بعصبية.

- حاضر يا وحيد هساعدك أنا هاخد الأولاد بكرة وهمشي وهستنى تبعتلي ورقة الطلاق.

أشعل وحيد سيجارة بعصبية وقال لها :

- اقعدي عاوزك.

جلست في تذمر..

- اتفضل اتكلم.

- لأ مش عاوز اتكلم عاوز أبصلك شوية.

كان وحيد يتأمل قسمات وجهها الذي تغير كثيراً عن قبل، يتذكر كيف كانت زوجته مشرقة الوجه صافية الملامح ذي ضحكة ذهبية وعيون صافية وكيف هي اليوم تشبه شجرة الصبار العريقة بلونها الشاحب وشوكها المتوهج وطعمها المر وصبرها على العطش في الصحراء المقفره، كان يتأمل روحها التي قضى الروتين والإهمال على أجمل ما فيها يحاول أن يجمع من شتات وجهها كل ما يلزمه للرحيل، فذلك الوجه العابث الباعث على المفارقة الفورية كان يومًا يعني له قمة الأمل وسقف الأحلام ، كان يكلمها بغير صوت يلوم عيونها الخرساء وشفاهها التي كثيراً ما كانت تحظى منه بأشهى القبلات .

- أيه أقوم ولا لسه عاوز تقعد تتفرج على شوية كمان.

- لأ قومي.

قامت مسرعة في غضب تحاول أن تمسك دمعة غافلتها وفرت إلى خارج مقلتيها...

- على فكرة أنا مش هتأخر كتير هبعتلك الورقة قريب خلي بالك من العيال إنتِ هتكوني أمهم وأبوهم.

- حاضر.

وبعد ثلاثة أسابيع من هذه الجلسة كان وحيد قد طلق زوجته والتي بدورها تلقت الخبر بجمود مصطنع وفرحة مزعومة وكأنها تبعث برسائل لكافة الدنيا على عدم حزنها بل وسعادتها على إصلاح خطأ وقعت فيه ذات يوم وأسفر عن ثلاث زهرات من نوع نادر يقال لهم طاهر وأحمد وزياد، كانت تفكر كيف تغير حياتها إلى كل ما كان يتمناه وحيد لا لينعم به بل ليسري له أخبارها الحسنة فيعلم كم خسر من فراقها هذا.

كانت تتملكها روح الإنتقام ولكن هيهات لمثل هذا القلب الضعيف أن يتقن مثل هذه الأمور القاسية وهيهات لروحها أن تستأنس بمثل هذه المشاعر المتشابكة، كانت كطفل فقد أمه التي كانت كثيراً ما تضربه وتوبخه جراء أعماله الشنيعة، ولم تجد ملاذ لها إلا في وسادة في غرفة بعيدًا عن الناس وعن الزهرات الثلاثة لتنطلق في بكاء مرير يشبه العويل، لا تبكي على رجل فقدته وخسرت ما أعطاه لها الزمان من غير تعب ولا نصب ولكن كانت تبكي بكاء المتألمين في المستشفيات ذلك البكاء المنتظم الذي لا يغني المريض شيء ولا يخفف عنه بل ويجهل حتى سبب إصراره على انتظام نغمته .

*****

- طيب ليه حاسس إنك حزين المفروض إن إنت دلوقتي أحسن.

- لأ يا فهد أنا مش أحسن.

- يا حبيبي أكيد لازم تحس إن في حاجة ناقصة العشرة وصوت العيال حواليك كل ده هيقل بالتعود زي ما اتعودت عليه هتتعود على عدم وجوده.

- على أي حال أنا فرحان إني عملت الخطوة دي.

- وأنا كمان فرحان إنك عملت الخطوة دي عقبالي أنا كمان، وحنين رأيها أيه ؟ أكيد مبسوطة ومزأططة خلي لها الجو.

- حنين متعرفش إني طلقت يا فهد أنا محكتلهاش على حاجة وبقالي يومين مكلمتهاش، وبعدين جو أيه اللي خلى هو كان في حد في الجو أصلًا ماهو خالي من قبل ما أشوفها.

- هو أنا مالي حاسس إنك بقيت تكره حنين هي كمان ؟!

- لأ دي أضغاث أحلام أو يمكن أمنية مكبوتة جواك بتحاول تخرج، عمومًا بعينك حنين حبيبتي.

- ربنا يهني سعيد بسعيدة يا سيدي وأنا اكره؟؟

- المهم يا غطروس أفندي عملت أيه؟ لقيت شغل؟

- أنا متبهدل على الأخر يا وحيد وقاعد هنا على كف عفريت ممكن يتقبض عليّ في أي لحظة.

- أحسن أهو استريح منك.

- عملت أيه في الرواية خلصتها ؟

- أه خلصتها وبراجعها.

- طيب مبعتليش ليه الجزء الأخير علشان أقولك تعليقي عليه ؟!

- هي لسه بحط اللمسات الأخيرة عمومًا هبعتهولك بكرة بالليل هكون خلصت، مش عارف ليه حاسس إن مفيش حد هيقراها غيري أنا وإنت.

- ليه وحنين راحت فين؟ وعمك أشرف؟ وسامي إوعى سامي يفلت منك خليه يقراها بالعافية، وبعدين أنا ممكن أكلم كام واحد من اللي أعز عليهم وأخليهم يقعدوا يقرأوها المهم يا حبيبي إنك تكون مبسوط.

وحيد ضاحكًا : آه خلي بالك مني لحسن أنا ممكن أفقد الثقة في نفسي.

- لا متقلقش أنا مجهز كل حاجة، اطبع إنت بس.

- صعبان عليّ الحاج أشرف قوي الراجل عمره ما أذاني.

فهد ساخرًا : الراجل اللي هيضيع فلوسه ده، يا سيدي نصيبه..

.....

*****

رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

إن أكثر ما يميز كلماتي هي روحك التي تسكنها، فإن تهجر روحك كلماتي تمسي خاوية وأعود قلمـًا عـاديـًا حبراً منثورًا على ورقٍ، شيءً مكسورًا على رفٍ ، حُلمٌا منتهي الصلاحية !!

حضر إلى البيت قبل موعده المعتاد وهو يحمل باقة ورد رائعة وعلبه شيكولاته من نوع فاخر وبدأ في تهيئة المنزل بشكل يفوح بالرومانسية التي تعشقها حنين فراح ينثر الورود هنا وهناك ويرش العطر في الأرجاء وجعل بوكية الورد في منتصف الصالة في واجهة باب الدخول، وبعد قليل كانت حنين قد وصلت إلى المنزل ومعها طارق وتسنيم : وفور رؤيتها باقة الزهور في الصالة انتابتها قشعريرة غريبة وشعرت أن وحيد سيخرج لها للتو من غرفة نومها ولكن كان زوجها هو الخارج من الغرفة بطريقة مسرحية.

- حبيبتي وصلت؟؟

- ازيك يا حبيبي..

- وحشتوني جدًا جدًا جدًا...

- أيه الحاجات الحلوة دي.

- ممكن الأميرة تيجي تتفضل معايا ؟

ثم ربط عينيها بقطعة حرير حمراء وراح يسوقها إلى غرفة النوم بعد أن أدخل الاولاد إلى غرفتهم وأعطاهم بعض اللعب والحلوى.

- ادخلي يا حبيبتي.

ثم فك عن عينيها الرباط لترى سرير الزوجية وقد فرشه الورد ورائحة العطر التي تنساب من أركان الغرفة ثم لفها إليه واحتضنها.

- هاتي صباعك الجميل.

مدت حنين يدها في ذهول وفرحة فألبسها خاتمًا ذهبي يجمع بين اللونين الأبيض والأصفر .

- أبسط حاجة أقدمها لحبيبتي اللي وحشاني.

- إيه الرومانسية دي كلها أنا ممكن اتعود على كده.

- اتعودي يا حبيبتي طبعًا، الأول أنا عاوز أقولك إني منتظم في العلاج بقالي شهرين والنهردة عملت شوية تحاليل كده والنتائج مذهلة، وعلى فكرة بعدي عنك الفترة اللي فاتت دي كانت بتعليمات الدكتور علشان موضوع العلاج وخلاص يا ستي كل اللي إنتِ عاوزاه هنعمله يلا اجهزي وخدي دش وأنا هروح أنيم العيال.

- هي الساعة كام.

- انسي متبصيش للساعة طارق وتسنيم هيناموا دلوقتي، بقولك وحشاني.

ضحكت حنين بغنج وسعادة وراحت إلى الحمام، فأسرع إلى غرفة الأولاد وأحضر لهم بعض الطعام وراح يلاعبهم لينامو واستسلم طارق للنوم سريعًا ثم تبعته تسنيم بعد يومهم الشاق في روضة الأطفال ليخرج بعدها ممنيًا نفسه بليلة أسطورية.

كانت حنين تهيىء نفسها كعروسة في ليلة زفافها، كانت تتذكر وحيد بين دفقات الماء المنهمر من صنبور الماء على رأسها، كان يزعجها اختفائه لليوم الثالث وإصراره على غلق هاتفه.

- يلا يا حنين أنا مستنيك.

- حالًا يا حبيبي.

*****

- ازاي يا وحيد تاخد قرار زي ده من غير ما تعرفني ؟!

- المفروض إنك عارف.

- لكن إنت مقلتش إنك هتطلقها كان مجرد تفكير، بجد حرام عليك.

- لأ مش حرام ولا حاجة.

- وناوي على أيه بقى؟؟

- ناوي أنام، أنام نوم عميق وبعدين أفوق.

- فعلًا حرام عليك حرمتني من أحفادي.

- موجودين إنت عارف عنوانها روح وشوف أحفادك أنا كمان مشفتهمش أخر يوم قبل ما يمشوا.

- إنت بتجيب القسوة دي منين يا أخي؟؟؟

- لو كنت شوفتهم كنت هضعف ومش هاخد القرار ده.

- يا ريتك ما كنت عملت كده.

- الحمد لله أنا حاسس برضا نفسي مريحني جدًا.

- وحنين قالتلك أيه لما عرفت ؟

- لسه معرفتش أكيد هتفرح هي كتير كانت بتشجعني على القرار ده.

- ما أنا عارف إنها هي اللي ورا كل الكلام ده مهما أنكرت.

- أقسم لك إنها ملهاش دعوة، بقولك هي حتى متعرفش حاجة.

- وقلت لألفت ؟

- لسه هقولها النهارده أنا رايح أقعد عندها يومين.

- طيب يلا قوم روح علشان متتأخرش.

- ماشي.

وعند والدته...

- مش مهم كل الكلام ده أنا بقلك إني خلاص طلقتها مش بقلك إني ناوي.

- إنت بتتصرف بدماغك ومن غير ما تقول لحد حاجة.

- مش إنتوا اللي سمتوني وحيد فأنا بتصرف لوحدي أهو.

- براحتك اعمل اللي يعجبك إنت مبتسمعش كلام حد.

- حبيبتي أنا جاي تعبان جدًا عاوز ارتاح، عندك راحة والا أروح أدور عليها في حته تانية ؟

- هتنام ؟

- أه هنام ومش عاوز اصحى إلا الصبح في ميعاد الشغل.

- ده الساعة لسه ستة !

- آه عارف.

- طيب.

*****

- مش ممكن يا حبيبي، العلاج خلاك واحد تاني خالص.

- احنا جامدين قوي أمّال إنتِ فاكره أيه؟؟

- ربنا يخليك ليا..

- مبسوطة يا ستي ؟

- جدًا.

- كل يوم من ده.

- أيوه بقى عيشني كل اللي كنت محرومة منه.

- حاااااضر، ممكن انزل أغيب عنك ساعة بالظبط وارجع.

- هتروح فين ؟

- هقابل واحد بخصوص شغل مش هتأخر.

- هستناك نسهر سوا.

- طبعًا..

وبعد أن غادر قامت حنين وأخذت دش دافىء، نامت في البانيو وهي تفكر في هذا التغيير المفاجىء لزوجها ، وكانت تسأل نفسها هل يستمر على هذا التغيير أم أنه سيذهب أدراجه في صباح الغد، وبينما هي غارقة في أفكارها وتحليل كل ما حدث تذكرت غيبة وحيد فانهت حمامها وخرجت تبحث عن هاتفها وأثناء ارتدائها ملابسها كانت تجري اتصال بوحيد ولكن هاتفه كان لا يزال مغلقًا.

*****

عاد وحيد من عمله وبدأ في مراجعة روايته للمرة الأخيرة ووضع اللمسات النهائية عليها ثم فتح هاتفه وتوجه إلى المكتبة ، كانت الساعة تشير إلى الرابعة عصرًا حين وصل وحيد إلى المكتبة.

- ازيك يا حبيبتي.

- إنت ازاي تقفل تليفونك كل الوقت ده ؟؟

- حنين أنا تعبان.

- مالك يا حبيبي.

- مش مهم المهم إني قدامك دلوقتي.

- لما تبقى تعبان المفروض تهرب ليا والا تهرب مني ؟!

- أنا بكره الهروب عشت كتير هربان مش عاوز اهرب تاني خلاص.

- قدرت متسمعش صوتي الفترة دي ولا تشوفني.

- حبيبتي كان عندي مشاكل كتير محبتش ازعجك بيها بس خلاص كل المشاكل خلصت والحمد لله وأنا قدامك ينفع تسامحيني على الغياب.

- لما توعدني إنك متكررهوش تاني.

- أوعدك.

- إمتى هعرف نهاية رائعة العذاب، أنا متوقعة أكتر من نهاية، إنت قدامك فيها كتير والا أيه ؟

- يعني لسه شوية أكيد لما هخلصها هقولك، من أكتر الحاجات اللي قلقاني إن ممكن النهاية متعجبكيش يمكن لأن إنتِ حالمة أكتر مني أو أنا واقعي أكتر منك.

- مش عارفه ليه مصمم تعمل كده في الأبطال وألا علشان إنت اللي بتحركهم تبهدل فيهم كده ؟

- طيب إنتِ قرأتِ الجزء بتاع السعادة.

- أه بس مش عجبني، حاسة إنه طالع من واحد يائس.

- حبيبتي أنا لازم أقدم حقيقة مش ما يطلبه المستمعون لازم يكون في رسالة في أي رواية.

- عمومًا أنا الرواية عجباني جدًا إلا الجزء اللي قلتلك عليه لكن مجملها حتى الآن ممتاز...

- كمال عامل أيه ؟

- الحمد لله بخير بس غريب كده بقاله كام يوم.

- ليه غريب.

- مش عارفة اتغير في حاجات كتير، بقى يعمل كل اللي أنا عايزاه منه.

- طيب ما ده كويس.

- لأ مش كويس الحاجة لما بتيجي بعد ما نكون فقدنا فيها الأمل مش بيبقى ليها أي طعم، مش ده كلامك والا أنت نسيت ؟

- لأ منستش بس يمكن لمعة عنيك اللي اتغيرت.

- وحيد أنا مرهقة وكنت مشغولة عليك وعنيا مفيهاش أي حاجة اتغيرت.

- وأنا مصدقك.

- وإنت أخبارك إيه مع مراتك ؟

- زي ما احنا مفيش جديد.

- عارف إنت غريب جدًا يا وحيد زي ما تكون بتحب وجع الدماغ.

- ليه علشان لسه مطلقتهاش ؟

- أكيد، يعني أنا مش عارفة إنت واقف على أيه؟ أو مستني أيه؟

- مستني إنك تطلقي.

- يعني أيه ؟

- يعني أنا مش هطلقها إلا لما إنتِ تطلقي الأول.

- أيه اللي إنت بتقوله ده يا وحيد ؟

- ماله يا حنين ؟ مش عاجبك في أيه ؟

- حاسة إنه مش طالع من وحيد حبيبي، ده زي ما يكون مساومة.

- مساومة !! على أيه؟ على حبنا ؟!

- المفروض إن إنت هطلقها والمفروض إن ده من قبل ما تعرفني أو يكون في بينا أي حاجة، أيه اللي اتغير دلوقتي ؟

- مفيش حاجة اتغيرت بس احنا جوازنا مش متوقف على إني أطلقها متوقف على إن إنتِ اللي تطلقي

- أنا لسه موضوعي هياخد وقت وإنت أكيد عارف كده كويس، إنت مش عاوز تخسر حاجة يا وحيد

- وليه حبي ليكِ لازم يكون مرتبط بالخسارة ؟

- وحيد أنا مش هقبل إنها تفضل على ذمتك وأنا مراتك.

- ليه بتغيري عليّ ؟

- متستفزنيش يا وحيد، طبعًا بغير عليك ومتبصش إني سيباك معاها ومبتكلمش.

- على فكرة مفيش حاجة تستدعي إنك تضايقي، وأنا أكيد هطلقها بس محتاج أرتب أموري شوية.

- زي ما تحب يا وحيد.

- ممكن تبتسمي بقى؟

- إنت متأكد إني وحشتك ؟

- متأكد جدًا، وعاوز نروح مكان فيه خضرة كده نقعد مع بعض وأشوف ملامحك اللي مش عارف امسكها لحد دلوقتي.

-احنا ممكن نخرج بكرة.

- اتفقنا يبقى نتقابل في مكان على طول مش هعدي عليكِ هنا.

- ماشي.

*****

- ليه يا أستاذ محسن نستنى سبع شهور مادام كل حاجة جاهزة؟!

- احنا متفقين من الأول يا ياسر.

- أيوه يا عمى لكن الظروف اتغيرت وإنت جاهز وأنا خلاص الحمد لله جاهز يبقى نستنى أيه أنا مستعجل جدًا.

- سبني براحتي يا ابني أنا مرتاح إننا نخلي الفرح في ميعاده زي ما اتفقنا.

- ماشي يا عمي أنا مش هزعلك لكن ياريت تفكر تاني، لو نقدمها شوية يكون أفضل.

- متستعجلش يا ياسر كل شيء مكتوب له ميعاد في السماء.

- يا رب يكون الميعاد ده قريب

- خطيبتك عاوزة تكلمك اتفضل يا سيدي.

- حبيبتي عاملة أيه ينفع اللي بابا عامله فيا ده؟؟

- استنى ادخل البلكونة علشان اعرف أكلمك.

- ماشي يا حبيبتي أنا معاكِ.

- يا ياسر بابا معندهوش غيري فطبيعي يبقى مش عاوز إننا نتجوز بسرعة كده، هو عاوزني أفضل معاه أكبر وقت ممكن وبعدين يا حبيبي فات الكتير خلاص وسبع شهور هيعدوا قوام وهنبقى مع بعض في بيتنا.

- أنا مستعجل قوي يا منى.

- وأنا كمان مستعجلة أكتر منك بس يا حبيبي مش عاوزين نزعله.

- لأ طبعًا أنا مقدرش على زعله، بس أنتِ حاولي تقنعيه وليكِ الحلاوة.

- هو إنت بتحبني قوي كده ؟

- لأ مش قوي ولا حاجة بس لما بنام مبعرفش اصحى للشغل قلت إنتِ تيجي تصحيني أهو بالمرة تطبخي لقمة تكوي الهدوم كده يعني مش هموت عليكِ ولا حاجة.

- كده، طيب يبقى بعد سنة يا حلو.

- لا لا لا هو إنتِ صدقتِ.

- طب اعترف.

- اعترف إني بحبك جدًا ومش قادر خلاص افتح عيني الصبح وملقاكيش في حضني وكل لحظة بحلم بحياتنا وابننا، بحلم وإنتِ جنبِ وبنحقق كل اللي رسمناه مع بعض.

- أنا عملت كراسة جمعت فيها كل أنواع الأكل اللي إنت بتحبه بطرق مختلفة علشان اعملهولك مرة بالطريقة السورية ومرة باللبنانية وكل مرة اعملك أكل من بلد.

- يعني هناخد الطبق ونلف بيه الدنيا.

- مش هما بيقولوا أقرب الطرق لقلب الراجل بطنه؟؟

- بس إنتِ جوا قلبي فعلًا وإنتِ دلوقتي الطريق الوحيد لقلبي.

- هتغنيلي في الفرح زي ما وعدتني ؟

- أنا عمري وعدتك ومنفذتش.

- طول عمرك يا حبيبي بتسبق خيالي.

- علشان إنتِ أكبر حاجة في خيالي.

- متخيلة فرحنا قدامي دلوقتي وإنت لابس البدلة السودا وبابا بيديك بنته الوحيدة.

- وإنتِ لابسة أجمل فستان فرح أبيض زي قلبك الجميل، عارفة خايف قوي من اللحظة اللي باباكِ هيجي ويسلمني إ يدك، مش هقدر أشوف في عنيه أو عنيكِ أي دموع هتلاقيني أنا كمان غرقتك بالدموع.

- وأنا كمان مش هقدر أمسك نفسي.

- طيب وبعدين يا قمر نروح المعازيم ونقعد نعيط بقى والا أيه ؟

- بس يا رخم، بابا صعبان عليّ قوي هو وماما، تخيل إن البنت أهلها يكبروها ويصرفوا عليها وفي لحظة ميلاقوهاش جنبهم وميعرفوش يقابلوها إلا بمواعيد !

- لأ يا حببتى احنا معندناش مواعيد بيتنا مفتوح لبابا وماما أي وقت، أهلي وأهلك واحد اللي يحب واحدة يا منى يعشق أهلها اللي جابوها للدنيا..

- ربنا يخليك ليا يا ياسر..

- إنتِ أغلى حاجة في حياتي جوهرتي الغالية..

- وإنت حبيبي اللي هكمل معاه بقية حياتي...

*****

- وأيه الحكمة إن إنت متقولهاش إنك طلقت مراتك ؟!

- عاوز أشوف إصرارها وتمسكها بيا، لكن إن هي بتقدم رجل وتأخر رجل ده مخليني مش حاسس بالثقة.

- الثقة في أيه ؟ في حبها ؟

- مش عارف مش حاسس بالثقة وبس.

- الحاج أشرف قال أيه بعد ما شاف الرواية كاملة ؟

- لسه ميعرفش ولا حنين كمان عرفت.

- إنت غريب وحالك بقى عجيب أنا حاسس إن إنت بتبعد عن حنين والا أنا بيتهيألي.

- لأ مش ببعد لكن مش بقرب، موضوع إن في حد تاني في حياتها ده مجنني ادعيلي يا فهد.

- المهم خلينا في الرواية أنا بدعيلك كل يوم إن بدايتك تكون موفقة.

- أنا كتبت مشاعري وإحساسى في الرواية دي

- إنت نزلت دموعي اكتر من مرة وأنا بقرأها، أنا واثق إنك هتنجح.

- ليه كلكم واثقين كده إلا أنا ؟

- طبيعي تخاف.

- أنا عديت على بابا مكنش في الشقة روحت سبتله نسخة من الرواية هناك ومستنيه يبعتلي رأيه، أصل سامي ده علاقة مش ممكن حد في الدنيا هيفهما أبدًا، هو مش بس أبويا أو صاحبي أو مرايتي هو مصدر القوة والطاقة اللي بتخليني أفضل عايش، كتير بنختلف بس عمري ما نسيته لحظة، أوقات كتير بكون قاسي معاه لكن إنت عارف مقدرش استغنى عنه ولا عن وجوده.

- هو لسه زعلان منك من ساعة ماعرف إنك طلقت مراتك ؟

- مش عارف زعلان والا لأ كل اللي اعرفه إن عنينا مبتتقابلش بنهرب من بعض أنا روحت مخصوص وهو مش موجود هي مش عارف ابص لعنيه، علشان عتاب عنيه أصعب من إني اعرف اتحمله.

- في النهاية هيسامحك متقلقش.

- أما أشوف هيقولي رأيه أيه في الرواية أنا مستهلش منه غير إنه يسامحني يا فهد.

*****

جلس سامي يتفقد الأوراق التي تركها له وحيد في ظرف مغلق تحمل الورقة الأولى اسم الرواية - رائعة العذاب - نظر إلى الاسم وتأمله فترة، كان يحاول أن يستخرج المعنى الخفي منه :

- يااااه يا وحيد بتحقق حلم كان أبوك نفسه يحققه من زمان، مش عارف هل إنك تورثني في كل حاجة وتعيش أطوار حياتي كلها دي حاجة في مصلحتك والا ضدها، لكن مش عارف ليه مورثتش حنيتى، قاسي إنت قوي يا وحيد، عمري ما تخيلت إنك فعلًا هتنفذ كلامك وتبعد عن الأولاد يمكن تكون صح ويمكن تكون قدرت تلحق اللي باقي من عمرك بس أكيد مكنش ينفع أنا اللي أنصحك بالنصيحة دي.

أخذ يقلب الورق حتى وصل إلى نهايته كانت عيناه تفيض بالدمع في مواقف عدة.

- بكيت أبوك يا وحيد كلماتك لمست قلبي كأنك بتتكلم جواه وبتعصره يا رب أشوفك زي ما اتمنيت.

*****

- وأنا ماسك إيدك حاسس إني ماسك كل حاجة حلوة في الدنيا، بقيت بصحى من النوم علشان أشوفك يا حنين.

- عارف زمان وأنا صغيرة كنت بحلم واتخيل نفسي وأنا في قصة حب اتمنيت حاجات كتير الحاجات دي هي اللي أنا بعيشها معاك دلوقتي يا وحيد، اهتمامك بيا حبك اللي بشوفه في عنيك كلامك، مش عارفة احنا ازاي اتقابلنا كنت فاكره إنك وهم بصبر نفسي بيه.

- حتى وإنتِ مش معايا بفضل أكلمك وبحكيلك عن كل حاجة عملتها في يومي، بس إحساسى إني مقدرش أكلمك وقت ما أحب ده بيخليني عامل زي المجنون، عمري ما كنت بقدر أصبر مش عارف ازاي اتكتب عليّ الصبر في كل علاقتي بيكِ.

- أنا أي وقت مبيكونش كمال موجود فيه بتصل بيك على طول احنا تقريباً بنتكلم مع بعض أكتر ما بتكلم معاه.

- بس في النهاية إنتِ معاه هو .. بتنامي في حضنه هو.

- مين قالك إني بنام جنبه أصلًا أنا بنام مع طارق وتسنيم لوحدنا.

- فعلًا يا حنين ؟

- طبعًا يا وحيد من ساعة ما عرفتك وأنا حاسة إن حياتي مع كمال بقت مجرد كابوس مش عارفة هخرج منه إمتى.

- عمري ما كنت طيب ومسالم كده زي ما بكون معاكِ، عارفة إنتِ خلتيني أحب كل حاجة من تاني، النهارده الصبح وأنا راكب الميكروباص كنت عمال اتخيلك وافتكر كل كلامنا مع بعض حسيت إن روحي طايرة كده وعاوز امشي أسلم على الناس واخد السواق بالحضن وأبوس الناس اللي في الشارع.

ضاحكة : السواق بس، إوعى تسرح وتكمل وتدخل على البنات كمان.

- لأ متقلقيش ما أنا مسكت نفسي..

- هو أنا بالنسبالك أيه يا وحيد حبيبتك بس ؟

- إنتِ بالنسبالي أنا، الفرحة اللي عمالة تقرب مني وتلون الدنيا كلها حواليا، حنين أنا حياتي خلاص وقفت عليكِ، مش عارف ازاي أنا بقيت بخاف على قلبي وكل حاجة حلوة علشان أقدمها ليكِ.

- بحبك.

- تيجي نركب فلوكه ؟

- الوقت يا وحيد.

- مفيش وقت إنتِ ملكِ يلا.

جذبها وحيد من يدها وجرى بها مسرعًا متوجه لباب الخروج من الحديقة.

- يا مجنون استنى الناس بتتفرج علينا.

- بيحسدونا يا حبيبتي أول مرة يشوفوا الحب.

- أكيد فاكرنا اتنين مخطوبين جداد.

- من أول ما شفتك وأنا نفسي نركب المركب ده بس مش في النيل كنت عاوز نركب في بحر ملهوش نهاية نتوه في البحر.

- وطارق وتسنيم نسيبهم لمين؟؟

- لأ طبعًا يبقوا معانا، يلا اركبي يا آنسة.

- مش عاوزة اتأخر.

- متخافيش هي ساعة واحدة وهنرجع على طول، اطلع يا عم محمد.

وعلى طرف المركب كانت تنام حنين في حضن وحيد الذي راح يداعب خصلات شعرها ويهمس في أذنها:

- بحبك..

- بحس معاك بحاجات أول مرة أمر بيها..

- كل أحلامي بتتحقق معاك، خايف أكون بحلم يا حنين واصحى ألاقي نفسي لسه في المستشفى، أصل أنا حلمت بيك هناك وبعد ما بقيتي خلاص في حضني ضعتي مني في وسط البحر.

- أنا أكتر حاجة بتخوفني إني متجوزة خايفة جدًا.

- خايف ميرضاش يطلقك ؟

- ممكن .. هتعمل أيه يا وحيد لو معرفتش أطلق ؟

- هموتك، أكيد مش هقعد اتفرج عليك مع راجل تاني.

- تموت حبيبتك ؟

- ما أنا هكون ميت، ليه عاوزة تعيشي وأنا ميت؟ هو انتِ ممكن تعيشي في حياة أنا مش موجود فيها؟

- ونسيب طارق وتسنيم لمين ؟

- عندك حق ونسيب كمال كمان لمين؟؟

- متبقاش رخم بقى.

- حبيبتي.. مشاكلك أكيد إنتِ عارفة ازاي هتتعاملي معاها، أنا بقى مش عارف ازاي هقابل بباكِ وأقوله يا عمي أنا جاي اطلب إيد بنتك، كل يوم بقعد أعمل بروفة.

- لسه قدامنا طلاق وعدة ولازم ناخد فترة لأن أكيد مش هينفع نتجوز على طول بعد الطلاق وكمان لازم تعرف إني لو اطلقت أكيد هقعد من الشغل.

- عارف إن الموضوع هياخد وقت، أنا حتى الآن مجتش الفرصة اللي أحارب عليكِ يا حنين أصل أنا لما أحب ببقى شبه العاصفة، أيه يعني تقعدي من الشغل هاجي تحت البيت وأشوفك من الشباك واكلمك في التليفون، حبيبتي أنا هفضل محاصرك كده لحد ما تبقي في حضني ومتخرجيش منه أبدًا.

- وحيد الوقت.

- حاضر، ارجع يا عم محمد.

- معلش يا حبيبي بس إنت عارف مواعيد الحضانة.

- أنا مش عارف غير إني بحبك وبحب أعمل كل حاجة تخليكِ فرحانة، أنا أصلي محروم بقالي كتير إني أضحي مش عارف أنا بحبك كده ليه، قوليلي بصراحة إنتِ عملتيلي أيه ؟

- ولا حاجة دخلت هنا- تشير إلى قلبه - ومش هخرج أبدًا.

- تفتكري طارق وتسنيم هيحبوني ؟

- أنا متأكدة إن إنت هتكون أحن عليهم من كمال.

- لازم نتفق إن أنا اللي هربيهم ماهو هيبقى ابني ده ابني الرابع وتسنيم بنتي الأولى، ياه طاهر وحشني قوي وحشني وهو بيقولى بحبك قوي يا بابا.

- ليه هو فين ؟

- أبدًا عند جدته زيارة.

- طيب ما تستغل الفرصة دي وتقعد تكتب بقى وتخلص الرواية.

وصلوا الى البر واستقلوا سيارة حنين في اتجاه العودة.

- محتاج أشوف شغل تاني أحسن دخلي علشان في الوقت المناسب تلاقيني جاهز.

- خلص الرواية الأول يا وحيد متشغلش نفسك بأي حاجة تانية.

- حاضر، يلا احنا وصلنا، اركني هنا وتعالي ندخل الهايبر ده.

وحيد الآن تتعلق بذراعه حبيبته يتسوقان داخل إحدى الهايبرات يبحثون عن شيء غير واضح... يبحثون في صمت يلاحق بعضهم بعضًا... كأنهم زوجان... عاشقان... تلتقي نظراتهم عند إحدى الأرفف تمتد أيديهم إلى هذا المجهول الذي يبحثون عنه .. إنه الشيكولاتة !!

- هتروح على البيت ؟

- أه هروح أنام وأقعد افتكر إنك فضلتِ في حضني ساعة إلا ربع.

- أنا ممكن معرفش أكلمك النهارده لأن كمال هيكون موجود.

متذمرًا : ماشي.

*****

- اتأخرتي ليه كده يا حنين ؟

- كنت بشتري حاجات يا حبيبي، أيه وحشتك ؟

- طبعًا، عملتِ أيه النهارده ؟

- زي كل يوم، كان في كتب جديدة لسه واصلة المكتبة كنت بفهرسها وبحطها في مكانها كان يوم متعب بس ممتع.

بدلت حنين ملابسها وتوجهت إلى المطبخ لتعد الغذاء فتبعها وأتى من خلفها يقبلها.

- بعد ما ناكل خلي الأولاد يناموا علشان عاوز مامتهم في حاجة مهمة.

- لأ بلاش النهارده خلينا بكرة.

- ليه بس إنتِ وحشاني النهارده والا أنا موحشتكيش؟؟؟

- وحشتني طبعًا وأكتر من أي مرة بس أنا عاوزة أوحشك أكتر.

رفعها وهو يحتضنها وتوجه إلى غرفة النوم..

- أيه رأيك بقى مفيش أكل..

-علشان خاطري بلاش النهارده يا بيبي.

- لا يا حبيبة بيبي، إنتِ وحشاني وأنا جاي مخصوص بدري علشان نقعد مع بعض.

*****

- لا يا طاهر بابا مش وحش بابا بيحبك.

- لأ بابا وحش مش بيحبني، قالي نام واصحى هتلاقيني ... وأهو مجاش.

- بابا عنده شغل كتيررر ولما يخلصه هيجي ياخدك وتروح تتفسح إنت وأخواتك.

- هيجي بكرة ؟

- أه يا حبيبي هيجي بكرة إن شاء الله.

- أنا عاوز أكلمه.

- هات التليفون بتاعي وتعالى نكلمه.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- طاهر عاوز يكلمك بيقولي إنك قلتله نام واصحى هتلاقيني وهو زعلان علشان عاوز يشوفك.

- خليه يكلمني طيب.

- ازيك يا بابا وحشتني ماما ضربتني ومش بتجيبلي حاجة حلوة.

- هقولها تجيبلك حاجات حلوة كتير وأنا هاجي بكرة يا حبيب بابا علشان أشوفك إنت وأخواتك.

- وتشوف ماما ؟

- وأشوف ماما.

- وتيتة ؟

- وكل الناس يا حبيبي.

- زياد وحش مش بيغسل سنانه.

- إنت حلو يا طاهر وشاطر وبتسمع الكلام، بكرة هاجبلك اللعب والحاجات الحلوة اتفقنا.

- وعاوز طيارة زي اللي شوفتها في التليفزيون.

- حاضر.

- أيوه يا وحيد إنت هتعدي علينا بكرة؟

- بإذن الله، عاوز أشوف الأولاد.

- كويس علشان هما كمان عاوزين يشوفوك.

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

- خلاص بكرة هخلص شغل وهعدي عليكِ.

- ماشي.

*****

- اشرب العصير أنا عملالك حاجة جديدة هتعجبك.

- نفسك في الأكل والحاجات دي زي ماما بالظبط.

- بالهنا يا حبيبي.

- افتحي بقى الدرج اللي جنبك وشوفي أنا مجهزلك فيه أيه..

تفتح حنين الدرج بلهفة فوجدت رواية ملفوفة في هيئة هدية.

- أيه ده - قبلته - أنا مقدرش على التغيرات دي كلها.

- مراتي مجنونة بالكتب وأنا مجنون بيها يبقى لازم أحب اللي هي بتحبه...

- وأنا بحبك.

*****

- بقيت أحسن يا وحيد بعد الانفصال ؟

- لأ.

- ليه مش إنت كنت عاوز كده ؟

- الحياة من غير منغصات دي الحياة العادية مش الحياة السعيدة يا ياسر، إن كانت المنغصات خلصت فالسعادة لسه مجتش.

- إنت في طريقك... أنا لسه كنت بتناقش في روايتك مع الحاج أشرف امبارح، الراجل متشوق إنه يساعدك يا وحيد إوعى تضيع منك الفرصة دي.

- هو راجل طيب فعلًا وأنا نفسي نعمل حاجة ناجحة مع بعض.

- وأولادك أخبارهم أيه ؟

- بهرب منهم مش عارف كل ما أقابلهم بحس إني بتعب، بيفتكروا إني خلاص خلصت شغل وهقعد معاهم.

- بعد كده هيتعودوا وهيكبروا ويفهموا وإنت حاول تخلي زيارتك ليهم طويلة مش لازم في بيت جدتهم خدهم وفسحهم العبوا واجروا.

- أنا أغلب الوقت بكلمهم في التليفون وبخرجهم، وجدهم كمان قايم بالواجب.

- طيب يبقى متشلش هم، الأطفال لما بيحبوا مبيعرفوش يكرهوا.

- متعرفش محل هدايا شيك ؟

- عاوز تشتري هدية لمين ؟

- لأ ده سر.

- في محل في وسط البلد هتلاقي فيه هدايا حلوة وهتعجبك اسمه love story اسأل عليه هو محل مشهور.

- يبقى اسيبك بقى وأروح أنا أدور على المحل ده.

- ابقى اتصل بيا بلاش الاختفاء اللي بتعمله ده.

- حاضر، نويت تتجوز إمتى ؟

- ربنا يسهل أنا جاهز بس حمايا مش قادر يفارق بنته، بيني وبينك عنده حق أنا لو منى كانت بنتي عمري ما كنت هجوزها لحد أبدًا.

- ربنا يسعدك يا ياسر.

ذهب وحيد متوجها إلى محل love story يبحث عن هدية يقدمها لحبيبته في عيد ميلادها

داخل محل الهدايا.

- بتدور على حاجة معينة ؟

- بدور على هدية تليق بملكة يقدمهالها واحد غلبان زيي كده.

- حبيبتك ؟

- أه.

- في حاجة معينة عاوزها ؟

- لأ ممكن إنتِ تقترحي عليّ.

- اتفضل.

مرت عدة ساعات ووحيد يتنقل بين محلات الهدايا ولم يجد ضالته التي يبحث عنها فراح يفكر في أن يهديها بوكيه من الورد ثم فكر في هدية ذهبية ثم فكر في كل شيء ممكن أن يهديه حبيب لحبيبته، ولما أعياه التفكير ذهب إلى النيل وراح ينظر إلى صفحة الماء، يجلس بالقرب منه رجل تجاوز الستين من عمره، اقترب منه وحيد وألقى عليه التحية :

- مساء الخير ممكن أقعد معاك ؟

- اتفضل طبعًا، أنا شايفك من بدري وإنت واقف تكلم نفسك.

- لأ أنا كنت بكلمها مش بكلم نفسي.

- وهي سمعتك؟

- مش عارف أنا اتعودت أكلمها ومستناش منها رد.

- هي مين دي يا ابني ؟

- حبيبتي.

- اسمها أيه ؟

- حنين.

- وكنت بتكلمها في أيه ؟

- كنت بشكي حيرتي، أصل عيد ميلادها بعد كام يوم ومحتار في هدية، إنت حبيت أكيد قبل كده، كنت بتعمل أيه في عيد ميلاد حبيبتك ؟

- طبعا حبيت- انتصار - حبي الوحيد اللي دمرتني وخلتني راجل عجوز.

- ليه بس ؟ متجوزتوش ؟

- لأ أهلها مرضيوش يخلونا نتجوز كانوا عاوزين يجوزوها دكتور.

- وإنت متجوزتش خالص ؟

- اتجوزت بعد فراقنا ويا ريتني ما اتجوزت، اتجوزت واحدة فيها كل حاجة عكس حبيبتي انتصار كأني كنت بنتقم من نفسي، عشت معاها عشرين سنة عمرها ما فهمتني فيهم ولو يوم واحد وخلفت منها أربعة كلهم أنيل من بعض.

- معلش الدنيا مبتدناش كل حاجة.

- يا سيدي المهم خلينا في حبيبتك، إنت لازم تتجوزها متسبش أمها تحرمك منها حتى لو قالتلك عاوزة أجوزها دكتور خد حبيبتك واهربوا واتجوزوا وإوعى تسيب حد يسرق عمرك.

- إنت شايف كده يعني ؟

- طبعًا.

- طيب وأعمل أيه في الهدية؟

- أنا لو منها مطمعش في أكتر من نظرة من عيونك الحلوين دول.

- بس أنا بيتهيألي هيعجبها الذهب أكتر أنا محتار فعلًا.

- وإنت ليه مشغول باللي يعجبها واللي يرضيها، ده عيد ميلادها يعني اليوم اللي اتولدت فيه، اليوم اللي ربنا خلقها فيه علشانك علشان تقابلها وتحبها، هي هديتك وإنت عليك إنك تستمتع بهديتك و متسبش حاجة تفسد عليك استمتاعك بيها.

*****

- عارف يا حبيبي احنا محتاجين نسافر نغير جو في أي مكان.

- عندك حق فعلًا احنا محتاجين نسافر ونفسح الأولاد.

- طيب نسافر فين ؟

- أيه رأيك الغردقة ؟

- أنا نفسي نروح شرم الشيخ مرحنهاش ولا مرة.

- خلاص يبقى شرم الشيخ اعملي أجازة الأسبوع الجاي أربع أيام وأنا هحجز بكرة.

- على فكرة أنا فرحانة جدًا إنك غيرت حاجات كتيرة علشاني وفرحانة كمان إنك قللت خروجك.

- إنتِ مش فاكره كلامي لما قلتِ إن لازم كل واحد فينا يبذل كل اللي في وسعه علشان بيتنا ينجح ويبقى بيت جميل.

- لأ بس إنت اتغيرت بشكل مفاجيء.

- المهم إن التغيير عجبك.

- طبعا ونفسي نفضل كده على طول.

- في كمان خبر حلو عاوز أقولك عليه.

- أيه هو قول ؟

- الدكتور قالي إن احنا نقدر نخلف تاني ومن غير أي عمليات.

- فعلًا !!

- أيوه والتحاليل كلها قالت كده، أيه رأيك بقى لما نجيب عيل تالت قبل ما نكبر ونعجز خلينا نفرح بيهم واحنا لسه شباب ؟

- يا ريت يا حبيبي أنا نفسي يبقى عندنا عشر عيال وأفضل أجري وراهم.

- يبقى الموضوع يحتاج إن احنا نعمل زيارة للدكتور علشان نطمن عليكِ ونحدد أنسب وقت للحمل.

- أنا فرحانة قوي باللي إنت بتقوله ده وفي نفس الوقت مش مصدقه نفسي.

- لأ صدقي يا حبيبتي.

- يعني إنت خلاص موافق إننا نخلف تاني، وهنروح للدكتور إمتى ؟

- لما نرجع من السفر على طول.

تعلقت حنين برقبته :

- مش عاوزاك تكون زعلان مني إنت عارفني مجنونة بس برضه بحبك.

- أنا عمري ما ازعل منك.

- وعاوزاك تسامحني لو كنت غلطت في حقك بأي طريقة.

- مسامحك يا ستي.

- طيب هات بوسة بقى.

- بوسة واحدة مليون بوسة.

*****

جلس وحيد في غرفة مكتبه فوقع نظرة على صندوق خشبي كان معتاد أن يحتفظ فيه بذكرياته وأخذ يقلب محتوياته فوجد عملة معدنية كانت أعطتها له جدته وقالت له لا تنفقها ولكن احتفظ بها واعطيها مهراً لمن ستتزوجها، كانت تمازحه ولكنه بالفعل احتفظ بهذه العملة المعدنية ولم يهديها لزوجته بل ظل عمر هذه العملة يكبر مع وحيد حتى انتهى بها الأمر في داخل هذا الصندوق، فأخذها وحيد وأحضر ورقة وبدأ يكتب خطاب ينوي أن يهديه لحنين في يوم ميلادها، جاءه اتصال من والده :

- أيه يا وحيد إنت هتفضل متكلمنيش ومتتصلش ومشوفكش كده كتير ؟!

- عامل أيه يا بابا ؟

- الحمد لله بخير، أيه يا حضرة الكاتب الكبير الكلام الجميل ده ؟

- قريت الرواية ؟

- جميلة كلها مشاعر وأحاسيس متطلعش إلا من شاعر بيحس بكل كلمة بيكتبها.

- الحب بقى يا عم سامي.

- عامل أيه في حياتك طمني عليك ؟

- الحمد لله الحياة جميلة مش ناقصة غير وجودك معايا، أنا عاوز افهم دلوقتي إنت قاعد لوحدك وأنا قاعد لوحدي ليه متجيش تقعد معايا وأشوفك كل يوم.

- هي فكرة كويسة.

- المهم التنفيذ أيه رأيك تكمل الشهر ده عندك وبعدين تيجى تنقل وتقعد معايا ؟

- أنا مش عاوز أجي أقعد ابقى تقيل عليك.

- ميعادنا أول الشهر يا بابا.

- زي ما تحب يا ابني، الواد فهد عامل أيه مبيكلمنيش على النت خالص.

- حالته صعبه شوية لما تيجى نبقى نكلمه سوا.

- ربنا معاه، مش عارف تقنعه يرجع.

- مسيره يقتنع لوحده ويرجع.

*****

في يوم عيد ميلاد حنين الساعة العاشرة صباحًا في المكتبة يتصل وحيد بها.

- حبيبتي إنتِ فين ؟

- ازيك يا حبيبي وحشتني أنا في المكتبة إنت وصلت شغلك ؟

- استأذني ساعتين وتعالي المكان بتاعنا، عاوزك في موضوع مهم.

- خير يا وحيد في أيه ؟

- خير يا حبيبتي مش هينفع نتكلم في التليفون، سيبي ريهام مكانك وتعالي ساعتين مش هأخرك عن كده.

- حاضر يا وحيد أنا هتحرك من المكتبة بعد ربع ساعة علشان ريهام بره بتشتري حاجات.

- طيب أول ما تتحركي كلميني.

بعد عشر دقائق اتصلت به تخبره بأنها بدأت تتحرك بسيارتها ولكنها تفاجأت بوحيد يفتح باب السيارة ويركب بجوارها وبيده بوكيه ورد.

- كل سنة وحبيبتي بخير.

- حبيبي مش ممكن أنا أول مرة حد يهاديني بورد.

- ده من حسن حظي أنا، اتفضلي الجواب ده اقرأيه بعد ما تروحي البيت يلا اطلعي بينا على النيل.

- حاضر.

على الكورنيش.

- افتحي الشيكولاتة دي واديني نصها وكلي نصها ما احنا هنقسم كل حاجة في الدنيا بينا.

- بحبك يا وحيد.

- طيب خدي العلبة دي افتحيها فيها هديه ليكِ.

تناولت حنين العلبة وفتحتها فوجدت عملة معدنية قديمة.

- العملة دي ليها حكاية هتعرفيها من الجواب، هاتي بقى رقبتك.

أخرج من جيبه علبه أخرى بها سلسلة فضية ووضعها في رقبتها.

- ده طوق الحب أنا هلبسهولك مؤقتًا لحد ما ألبسك الطوق الذهبي أصل أنا مش هقتنع إلا لما أحط الكلبشات في إيدك.

- كلبشات يا مجنون.

- آه مجنون بيكِ.

- أنا عمري ما حسيت باللي حسيت بيه النهارده عمري كله قبلك مفرحتش زي مافرحت معاك إنت سر سعادتي..

- سعادتك مسئوليتي إوعي تنسي.

- بجد يا وحيد إنت بتعيشني في حالة كإني بخرج من الكوكب.

- بخصوص الخروج من الكوكب عارفة التخاطر.

- إن اتنين يتكلموا بعنيهم ؟

- لأ إن اتنين يتكلموا وكل واحد فيهم في بلد تانية.

- هو الموضوع ده حقيقي ؟

- حقيقي وأنا جربته كتير مع فهد وعاوز أعمله معاك.

- وده نعمله ازاي ؟

- لما تحبي تكلميني فكري فيا وركزي وخلي عندك ثقة إن كلامك هيوصلني متحاوليش تختبري الحاسة دي لأ ابعتي كل اللي عاوزه توصليهولي وأنا هستقبله.

- طيب أنا كتير بكلمك في خيالي كنت بتسمعني.

- كتير كنت بسمعك بتكلميني وكتير بلاقيك بتتكلمي في مواضيع بكون أنا مكلمك فيها قبلها في خيالي.

- يعني ممكن فعلًا نتكلم من على بعد؟!

- بشرط إنك تكوني واثقة و متحاوليش تختبري الحاسة دي متقوليش لنفسك يا ترى وصلت وتحاولي تتأكدي، سيبي الأحداث هي اللي تأكدلك.

- حاضر، معاك ورقة وقلم ؟

- معايا بس في الشنطة في عربيتك.

- طيب لما نقوم عاوزه اكتبلك ورقة.

- بتحبي حب المراهقة اللي كله جوابات ده ؟

- بحب كل ألوان الحب، أنا بحس نفسي مخلوق بيعيش على الحب والمشاعر.

- ولسه بتنامي لوحدك مع طارق ؟

- أكيد.

- وكمال مش معترض ؟

- لأ اتعود، أنا قلتلك إن هو أصلًا تعبان يعني الموضوع مش في دماغه.

- طيب كويس.

- الأسبوع الجاي أنا مش هاجي المكتبة أربع أيام.

- ليييه ؟

- كمال عنده شغل وهنضطر نسافر أربع أيام غصب عني يا حبيبي.

- لازم تسافري معاه ؟

- مش هيرضى يسيبني ده هو اتصل بيا مخصوص يفكرني إني أقول للحاج أشرف على الإجازة.

- وطبعًا مش هتكلميني الأربع أيام دول ؟

- إنت عارف أي فرصة هتيجي هتلاقيني بكلمك، يا حبيبي أنا ملهوفة عليك أكتر منك يعني أي يوم متصلش بيك اعرف إن مكنش في لحظة ينفع أكلمك فيها.

- بصي في عنيا ... شايفه أيه ؟

- شايفه حبيبي.

- هو أيه تفسير إني عاوز أكلك ؟

- إنك شرير.

- عاوز أكلك يا حنين زي القطة ما بتاكل ولادها.

- كل أفكارك شريرة، يلا يا شرير نقوم الساعتين عدوا من بدري.

- ما هو ساعتين مش ممكن يكفوا أبدًا.

- يلا نقوم ريهام لوحدها في المكتبة.

قام متذمرًا : يلا يا ستي.

وفي السيارة تناولت حنين الورقة وكتبت- يا رجل أذابني عشقًا، يا من لمست قلبي فأذبت الثلج كم أشتاق إليك، أتتركني غارقة ببحوري أم تنقذني ؟

وبالقرب من المكتبة توقفت حنين بسيارتها لينزل وحيد.

- هتعملي إيه في الورد ؟

- مش عارفة.

- قوليله لقيته على السلم.

- مظنش يقتنع.

- خلاص ارميه في الزبالة.

ثم مشى وحيد ويبدو عليه التوتر، ابتسمت حنين لغيرته العنيفة وأكملت في طريقها إلى المكتبة وعندما وصلت جلست وأخرجت الورقة فلم تكن لتنتظر حتى ترجع إلى بيتها.

في رحلة البحث عن هدية

عندما يعشق القلب تنساق له كل الجوارح، تلين القوانين وتُصنع من جديد حتى إنها لتكاد تبهرك من تغيُرها ربما إلى النقيض، من فترة كبيرة وقبل أن يأتي موعد ميلادك وأنا أفكر... ماذا تُهدى الملكات وماذا يُصنع لهم في مثل هذه المُناسبات ؟!

حيرة قاتلة كادت أحيانًا أن تودي بعقلي... فقبلك لم أرى الملكات فضلًا عن معاشرتهم أو مهادتهم، أحيانًا كنت ألوم قطعة الـدماء هذه التي تسكن صدري، أقول لها ما لك والملكات ؟؟؟؟؟

كنت في أول الأمر أظن أن المشكلة فقط عندما أتقدم بهذا الجسد النحيل لأقف في حضرتك ممسكًا بهدية، ولكني تعلمت أن الملكات أمثالك يُسكنَ من يعاملهم أو يقترب منهم نوعًا من الوسواس فالأمر يا ست النساء أعمق، فمثلك لا يُنظر إليه كما يُنظر إلى باقي البشر بل لابد أن ينظر لك نظرات ملكية وكذلك اللمسات والهمسات أيضًا.

وإن كنت تعلمت كيف أنصت لعيونك، وكيف أبادر لتنفيذ نظراتك، وكيف أكون مثل ما تتوقعي، إلا أن الهدية قد أعيتني، أرهقت قلبي وعقلي، بدأت الأمر بالورد فكل وردة حكاية أحكيها لك، ثم تطرقت للذهب ولكن هل مثلك يكفيه هدية من ذهب؟ نظرت للقمر متوسلًا أن يهبني منه جزءًا أهديه لك... كثيرًا ما راودته وحايلته ولكنه خذلني ورفض، قلت إنه ليس غير الألماس ينجدني وربما لو اشتريت لك عمرًا جديدًا لا لا بل قلبًا جديدًا... ولكن هل تتكرر الصدفة.. هل يمكن أن أجد في هذا القلب الجديد مكانًا لي ؟؟!

فكرة القلب أيضًا مرفوضة، فأنا حتى الآن لم أستوعب أني دخلت إلى قلبك!

وكلما اقترب الوقت زادت حيرتي وشجوني وتوترت أعصابي، جلست أقلب ذكرياتي لأجد في غياهب الماضي ذلك السرداب كنت اعتدت يومًا أن أجمع فيه مجوهراتي، من زمن بعيد لم أتطرق إليه يا حبيبتي كدت أنساه بعد ما نسيت قلبي وروحي... في ذلك السرداب وجدت قلم مقصوف وبقايا أوراق محترقة حرقتها بيدي يومًا عندما غابت عن خيال بلادي شمس ست النساء، وبين بقايا الحروف المحترقة وجدت عملة معدنية كانت أخر ما احتفظ به من متعلقات جدتي حبيبتي وميراثي الوحيد منها فأخذتها وكأنها غاية كنت أبحث عنها، هذه العملة هي الأقرب لقلبي فكلما لمستها بأصابعي تنتابني نوع من القشعريرة، وعدت جدتي ألا أهديها إلا إلى ملكة على عرش قلبي، كم أكره المال وأكره فقري وقلة حيلتي وكأني أشاكس المال لأحتقره فكيف تكون هديتي ثمينة وكيف لا يكون لها من المال حظًا وافرًا ؟!

وقبل أيام قليلة التقيت ذلك الرجل العجوز لا أدري كم عمره ولكن آثار الزمن التي خطت

بأقدامها على وجهه الباسم أكثر من أن تُعد أو تُحصى، كان رجلًا هادىء بثياب يبدو عليها الوقار لهجته ريفية صرفة، يجلس على النيل كشاب ينتظر حبيبته، تقدمت منه وتعرفت عليه وطرحت عليه مشكلتي التي تؤرق مضجعي، قال لي أتحبها؟ قلت انظر إلى عيني واقرأ ما فيها، فقال لي أهديها نظرة من عيونك هذه، فقلت وهل ترتضي النساء فضلًا عن الملكات بالنظرات المجردة ؟!

قال لي وما يهمك رأيها وما يُرضيها؟! هذا يوم ميلادها فهو لك وحدك اصنع فيه ما شئت لا ما تشاء هي وترضى، يا بني هذا يومًا أهديت أنت فيه بها فأقم شعائره كما ترى، فميلادها في هذا اليوم كان رسالة لك.. هدية لك فاستمتع بهديتك كما تحب ولا تترك شيء يفسد فرحتك.

*****

..... ولكن حبيبتي تُهدى بالقمر لا بجزء من القمر، تتقلد الماس لا عقد من زهور باهتة، حبيبتي ملكة ....

هو أنا ليه بعمل في نفسي كده ؟!! مش أنا اللي بعمل.... الدنيا هي اللي بتعمل، مش عارف أنا كل مدى بتوه أكتر، يعني أيه أشوفها بمواعيد؟ يعني أيه مقدرش أكلمها وقت ما أحب؟ يعني أيه أحب واحدة متجوزة ؟؟!!!

في الهاتف.

- فعلًا اخترتني أنا علشان تديني العملة دي ؟

- هي بقت معاك فعلًا ماهو إنتِ ملكة على عرش قلبي، يعني أنا وفيت وعدي مع جدتي زي ما طلبت.

- يعني أعتبر ده المهر.

- إنتِ مهرك الدنيا مش مجرد عملة.

- بس دي مش مجرد عملة أنا حسيت فيها بكل مشاعرك وهي في إيدي، حتى هداياك غريبة يا وحيد كإنك مش من الدنيا.

- أوقات بحس إن روحي بتخرج من جسمي وتجيلك، حتى وأنا عارف إنك في البيت بفضل أدور عليك في وشوش الناس كل ما أقابل حد بدور عليك في شكله في كلامه، إنتِ مش بعيدة عني بالشكل اللي بيصوره الواقع ده يا حنين بالعكس احنا قريبين قوي.

- أنا بحس إن طيفك حواليا مبيفارقنيش أبدًا، ساعات بتخيلك بتطبطب عليّ قبل ما أنام، ولما بكون زعلانة بلاقيك معايا وبتمسح دموعي.

- إلا دموعك يا حبيبتي، دموعك أغلى عليّ من الدنيا، حبيبتي ليه تبكي ؟؟

يسود الصمت لدقائق... يسرح وحيد يشعر بنفسه يقترب منها ويجلس على ركبتيه تحت قدميها... يمسك بيدها يقبل باطن كفيها، لا تبكي يا عمري... ألم أقل لكِ مرارًا أن دموعك هذه أغلى عندي من عمري؟ هكذا تسكبين عمري على الأرض يا عمري ؟

تجفف دموعها وتنظر إليه معاتبة.. أنت من أسقطها .

حبيبتي وهل ينتحر إلا مجنون ؟؟ حبيبك مجنون... مجنون بيكِ ... بيكِ وحدك... تعالِ ادخلي حضني.

- تدري لا أريد أن أخرج منه أبدًا، فكلما تركتني يجرحني حتى الهواء! لماذا تتركني وحيدة؟ وأين تذهب ؟!

يمسك بكلتا كفيه رأسها وينظر إلى عيونها لا يتكلم... يبتسم... يغازل خصلات شعرها المنسدل، تحتضنه وتنام على كتفه... يرفعها مرة أخرى وينظر إلى عيونها... هل ظننتِ أني تاركك ؟؟ أهكذا ظنك بي؟!

تحتضن هي كلتا يديه بيديها وتبتسم إنت حبيبي.. جزء مني... أنت خلقت لي أنا وحدي .

- وهل تركتِ لي شيء يا عمري في نفسي أملكه ؟؟

يفيق وحيد من خياله على صوت حنين.

- وحيد هو احنا كنا بنتكلم والا كنا ساكتين ؟

- كنا بنتكلم بس في خيالي.

- وحيد هو ده بجد ؟!!!

- أيه هو اللي بجد ؟

- اللي أنا حسيته دلوقتي ؟

- مش عارف أنا سرحت.

- وأنا كمان سرحت في خيال كنت دايمًا بشوفه قبل ما أعرفك أو حتى أشوفك.

- احكيلي كنتِ بتشوفي أيه ؟

- إنك داخل عليَ وبتقعد على ركبك وبتمسك إيدي وبتقولي لا تبكي يا عمري.

- حنين هو ده اللي أنا كنت بتخيله دلوقتي حالًا !

- فعلًا أنا حسيت إننا إنفصلنا عن الكون للحظة وإتقابلنا وعشنا موقف ورجعنا تاني !!

- مازحًا : شكلنا بنحب بعض والا إيه ؟

- حكايتنا غريبة قوي يا وحيد، وحيد أنا مضطرة أقفل كمال وصل.

- طيب يا حبيبتي خلي بالك ..... يأتيه صوت انقطاع الإتصال.

يلقي وحيد بالهاتف ويصرخ:

يعني أيه؟ يعني أيه؟ أنا مش هفضل كده...

*****

- أيه يا حنين قولتي للحاج أشرف على الأجازة ؟

- أه قولتله وهينزل هو يفتح من أول اليوم، المهم إنت حجزت ؟

- أه حجزت هنروح أنا وإنتِ وماما تغير جو معانا.

- طيب.

*****

- فادي أنا عاوز أشوفك دلوقتي.

- طيب تعالى أنا قاعد لوحدي عدي عليّ هستناك.

- أنا جاهز وهنزل دلوقتي.

وصل وحيد إلى فادي كان يشعر بمشاعر متضاربة نحو هذه المرأة التي تظهر وتختفي بغير موعد.

- ازيك يا فادي.

- بخير، مالك ؟

- عايش خيال طويل شوية كل ما أنام بشوفه وأول ما أصحى وأفوق ملقهوش.

- ده حلم بقى مش خيال.

- وأيه الفرق أهو في الأخر الاتنين مش حقيقة.

- طيب روق أنا هعملك فنجان قهوة.

- نفسي أحقق أمنيات كتير قوي يا فادي بس مش عارف ازاي ده يحصل، بحس إن الفشل محاوطني، كل حاجة أحبها بعد فترة أحس إنها بتفقد بريقها، وكأن حبي للأشياء يهلكها ويرديها قتيلة.

- لازم أمنياتك دي تبقى محددة وواضحة وتقييمها بشكل عملي أيه اللي ينفع يتحقق وأيه اللي نقدر نقول عليه مستحيل علشان متشغلش بالك بيه وتضيع فيه وقت.

- أنا حاسس إني فشلت في كل حاجة، معرفتش أكون زوج مثالي ولا أب بيضحي ولا حتى حبيب.

- أنا محتاج أعرف أيه اللي حصل النهارده وقبل ما تجيلي بالذات.

- مفيش حاجة حصلت ما أنا مش هقدر أحكيلك حاجة.

- ليه ؟

- علشان أعرف أبدأ في يوم بداية جديدة، أي كلام دلوقتي أكيد هيأخرني كتير بقولك أيه ما تسيبك من القهوة دي وتعالى نروح مشوار عاوز أروح أبص على حاجة.

- نشرب القهوة الأول وبعدين نروح مكان ما تحب.

- عاوز أروحلها البيت عاوز أشوفها.

- هي مين ؟

- واحدة متعرفهاش.

- آه جو جديد يعني، ما أنت خلاص فضيت وهايص.

- طب وإنت أيه اللي مانعك ما تهيص إنت كمان ؟

- لأ أنا راجل مستقيم.

- طيب يلا يا مستقيم عاوز أروح أشوفها.

ذهب وحيد إلى بيت حبيبته وظل جالس في السيارة مع صديقه فادي ينتظر أن تسعده الصدفة بخروجها إلى الشباك.

- اتصل بيها بقى قولها إننا تحت بيتها علشان تطلع تقف في البلكونة والا الشباك.

- لأ ما أنا مقدرش اتصل بيها.

- نعم !!

- أه أصل أبوها شديد شوية.

- هو إنتوا متفقين تطلعلك على الساعة كام ؟

- على الساعة تسعة.

- طيب كويس الساعة تسعة إلا ربع، احكيلي بقى حكايتها أيه دي.

نظر إليه وحيد وهو صامت لا يدري ما يقول، وأخذ يحاول أن يتكلم ولكنه ظل صامت وفادي ينظر إليه.

- معقول كل الكلام ده؟!! على فكرة أي إحساس ميتحكمش عليه إلا لما تعدي فترة تخلينا نتأكد منه.

- أنا أعرفها من سنة.

- مع إنك أول مرة تكلمني عليها، إنت تقريباً مكلمتنيش عليها لحد دلوقتي، يعني هي مين؟ وبتحبوا بعض من إمتى؟ والترتيب أيه؟

- لما اتجوزها هقولك.

- طيب الساعة بقت تسعة، هي أني شباك من دول ؟

- مش عارف.

- إنت أكيد بتهرج.

- ممكن تسكت شوية علشان أنا بكلمها دلوقتي؟

- فادي ضاحكًا: بتكلمها ازاي بالذبذبات ؟

- يا ابني أسكت سبني أظبط الإرسال والا عندك استعداد نبات هنا؟

*****

- إنت بتلبس ليه يا حبيبي ؟

- هنزل اشتري الطلبات اللي أنتِ كتبتيها وهعدي على فؤاد علشان كان تعبان.

- طيب يا حبيبي يا ريت متتأخرش.

- مش هتأخر.

نزل زوجها وذهبت حنين لتنعم بدش دافيء مع ابنها حملته وغاصت في مياه البانيو الدافئة، و بدأت تفكر في صنع ليلة شاعرية تحقق فيها كثيراً من طموحها وخيالها الذي كانت قد أجلته لمَّا رأت من تبلد زوجها من قبل ولكن ما دام الحال قد تغير فلا مانع اليوم من أن تعيد أحلام الماضي وتبعث فيها الروح بعد أن صارت كم مهمل في خانة المستحيلات.

أنهت حمامها وراحت تخلط الزيوت لتصنع منها ماسكات تفتيح وتنعيم للبشرة وتوجهت لدولابها وفتحته وبدأت في إخراج قمصانها والتبديل بينهم لترى أكثرهم جاذبية، حتى عثرت على بدلة رقص كانت اشترتها في أول زواجها فأخرجتها واحتضنتها كمن يحتضن غائب عائد من سفر طويل بعد أن آيس الناس من رجوعه، تركتها على السرير وراحت تعيد ترتيب المنزل، كانت نفسيتها مرتفعة لا يشغل بالها إلا أمر السفر القريب وكيف يمكن لوالدته أن تعكر صفو لحظاتها بغيرتها الشديدة على ابنها ومشاعر النقص التي تفيض عليها كلما لاحت سعادة في الأفق .

جاءها اتصال من زوجها يخبرها باقتراب مجيئه - فالساعة اقتربت على العاشرة والنصف يسألها إذا كانت قد تذكرت شيء عليه إحضاره ولكنها أكدت له أن الورقة بها كل المطلوب وأنهيا المكالمة سريعًا ، ورأت أن تتصل على وحيد ترى ما يصنع فأحضرت السماعة اللاسلكية حتى تستطيع أن تنهي ما تفعله أثناء مكالمتها .

*****

- تقريبًا كده حبيبتك أبوها قفشها ومش هتخرج ولا بعد بكرة.

- ماهي لو كانت خرجت مكنتش جبتلك البيتزا اللي إنت عمال تلُغ فيها دي.

- أنا عاوزك تاخدني معاك على طول كل ما تبقى ناوي تروحلها وتجيبلي بيتزا حلوة زي دي بس المرة الجاية بقى ندوق الحجم العائلي.

بابتسامة ساخرة : بعد ما تخلص أكلك و تشرب الكانز نمشي.

هاتف وحيد يصدر رنين خاص يخبره بشروق شمس حنين في العاشرة والنصف ليلًا.

- حبيبتي أنا مستنيكِ من بدري.

- كنت عارف إني هكلمك ؟

- كنت متأكد إنك هتكلميني من بدري منتظرك من الساعة تسعه إلا ربع.

- كمال لسه نازل حالًا ومش هيتأخر أنا قولت اسمع صوتك بس.

- إنتِ بتعملي أيه دلوقتي ؟

- برتب دولابي، طلعت كل الحاجات اللي جواه وبرتبها من جديد، - تناولت بدلة الرقص ذات اللون الذهبي - بتحب اللون الذهبي يا وحيد ؟

- ذهبي !! مش قادر أتخيل حاجة لونها ذهبي.

- يعني عمومًا بتحب اللون ده والا لأ ؟

- أكيد عليكِ هحبه أنا بحب أي حاجة منك، في كذا لون إنتِ بتلبسيه مبحبهوش لكن لما إنتِ اخترتيه وشوفته عليكِ أنا نظرتي ليه اتغيرت فعلًا وبقيت بحبه، وتقريبًا كده نضيف اللون الذهبي لجملة الألوان اللي إنتِ دخلتيها حياتي فاكره اللون الرمادي ؟

- طبعًا أنا بموت في الرمادي ، لما نتجوز هوريك حاجة باللون الذهبي هتعجبك جدًا.

- بإذن الله، نفسي أشوفك يا حنين دلوقتي قوي.

- وأنا كمان نفسي أشوفك رغم إن احنا كنا مع بعض الصبح.

- نفسك تشوفيني فعلًا والا كلام ؟

- نفسي أشوفك طبعًا .

- طيب ما تبصي من الشباك.

كانت الكلمة مفاجئة بحيث أشعرتها بدوار خفيف.

- شباك أيه ؟

- الشباك اللي على الشارع.

- هو أنت فين ؟

- أنا واقف منتظر حبيبتي.

خرجت حنين إلى الشباك تبحث عن وحيد.

- إنت فين أنا مش شيفاك ؟

- شايفة العربية الزرقا الي واقفة دي؟ - بدأ يضغط على أزرار أضواء السيارة -

- أيوه شوفتها انزل من العربية.

نزل وحيد وترجل على قدمه حتى صار بمسافة قريبة من شباك حبيبته.

- كنتِ متوقعة تشوفيني تاني النهارده ؟

- لأ إنت بتسبق خيالي دايمًا.

- أيه رأيك في حب الستينيات ده ؟

- أنا قلبي بيدق جامد.

- هي فين الشجرة اللي هطلعلك عليها ؟

- البواب قطعها مكنش عارف إنك جاي النهارده.

- المرة الجاية أجيب الشجرة معايا.

- عربية مين دي؟

- فادي صاحبي.

- جميلة وشيك قوي يا وحيد بإذن الله يبقى عندك واحدة أحلى منها.

- يا ستِ سيبك من العربية وركزي معايا، بقولك أيه ما تنزلي إنتِ أشوفك وألمس إيدك.

- بس يا مجنون مينفعش خالص ... وحيد أنا هقفل معاك علشان كمال بيتصل.

- طيب أقفلي.

يعود وحيد إلى السيارة فيجد فادي ينظر إليه ويضحك.

- أيه يا عم شغل روميو ده، خلصت؟

- أه خلاص يلا اطلع.

- ومالك مضايق ليه ما أنت شوفتها وكلمتها أهو عاوز أيه تاني.

- عاوز أمشي من هنا بسرعة اطلع يا فادي، بقولك أيه انزل إنت أنا اللي هسوق.

نزل فادي وسلم إلى وحيد عجلة القيادة فانطلق وحيد مندفعًا حتى أصدرت السيارة صوت صرخة مكتومة تشبه كثيرًا هذه الصرخة التي تسكن صدره.

- وحيد هدي السرعة شوية.

يبدو على وحيد أنه لم يسمع أو ربما غفل أنه يقود السيارة.

- وحيد احنا كده هنعمل حادثة، وحيد خلي بالك.

يفيق على صوت هاتفه كانت حنين تتصل.

- إنت مشيت ليه ؟

- مش عارف، أنا كنت عاوز أشوفك وشوفتك خلاص.

- كمال قدامه خمس دقائق ويوصل.

- ماشي يا حنين.

- هتروح على البيت ؟

- أه.

- مع السلامة يا حبيبي.

- مع السلامة.

كان قد هدىء كثيرًا من سرعة السيارة.

عمرو يس
مشاعر غالية للنشر الإليكتروني

- وحيد اركن هنا.

- ليه ؟

- اركن أنا اللي هنزل أسوق.

- ليه ؟

- يلا يا وحيد إنت مش حاسس بنفسك.

عادت حنين تلملم ملابسها وتضعها في الدولاب على غير ترتيب، كانت شاردة في وحيد الذي ترى من حبه ما فاق كثيراً من خيالها كانت تقارن بين حياتها مع زوجها وحياتها ما لو تزوجت هذا العاشق الساخر من كل شيء حتى أصعب الظروف، كانت كل كفة فيها ما يرجحها لتظل الكفتان متساويتان عند أي ناظر إلا نظرة العاشق التي غالبًا ما ترجح كفة العواطف، كانت كفة زوجها تحمل كثيراً من تباشير المستقبل فهو زوجها ووالد أبنائها طارق وتسنيم وهو صاحب هذا المكان الفاخر والمال والأعمال أما وحيد فكفته لا يوجد فيها إلا قلبه.. مشاعر تعتلي ورقة وقلم، قطعت أفكارها وارتدت لزوجها بدلة الرقص الذهبية التي أحبها وحيد قبل أن يراها .

*****

وبعد عدة أيام طارت حنين وزوجها ووالدته وطارق وتسنيم إلى شرم الشيخ، وعلى غير ما كانت تتوقع من حماتها من تنغيص هذه الرحلة وجدتها شريك حسن يريحهم من الأطفال في الأوقات المسائية، استطاعت حنين أن تستمتع بكل لحظة مرت بها في هذه الرحلة وما كانت لتسمح لأي شيء أن يخرجها من المود الذي كانت قد رسمته لفرحتها في هذه الأيام كانت تسمع الموسيقى وتمارس الرقص والخروج والسباحة.

وفي زحمة هذه الأمور اشترت عقد من الصدف لتهديه لوحيد بعد عودتها، أما وحيد فكان يقطع الأيام بالذهاب إلى المكتبة وإلى مكانهم المعتاد على كورنيش النيل يتفقد الذكريات هناك وينظر إلى الأفق وما تحمل له من أخبار سارة، لم تتصل به في رحلتها إلا مرتين على عجل، فكان يقطع أغلب الوقت مع فهد عبر الشبكة العنكبوتية وسامي الذي انتقل مؤخرًا ليعيش معه في شقته الزوجية سابقًا، كان وحيد جالس على النيل حين جاءه اتصال الحاج أشرف يتعجله في إنهاء الرواية.

*****

عادت حنين من السفر وهي تنوى إنهاء العلاقة مع وحيد فحياتها مع زوجها أصبحت إلى حد كبير كما كانت تريد بعد التغيرات التي أجراها زوجها في الفترة الأخيرة، كانت نفسيتها قد أجهدت من كثرة التفكير في ترك ما تملك لتبحث عن حياة جديدة لا تعرف ماهيتها ولا ترى كافة جوانبها مع وحيد، فضوء القمر مع رائحة البحر استطاع- زعمًا - أن يقنعها أنها سوف تضحي بهذه العلاقة لتحافظ على طارق وتسنيم بين أبويهم، ولكنها في

الحقيقة لم تكن تستطيع أن تحسم مشاعرها التي تميل إلى كلا الرجلين، فوحيد كان يد الأمل التي أشعرتها أنها أنثى يليق بها كل أبيات الغزل.

جاءها على غير موعد ومن غير أن تطلبه جمعهم القدر دون اتفاق وهيأت لهم الدنيا ساعات خلوة أحسنوا الاستمتاع بها وارتشاف كأسها إلى أخره، ما أصعب أن يتحمل قلب امرأة أن ينشطر لينقسم بين رجلين ولكن زوجها كان يمثل وجه الماضي والحاضر أما وحيد كان مجرد وعد بمستقبل لا يستطيع أحد أن يجزم كيف يكون، فعندما تساوت الكفتان في رأسها حملت طارق وتسنيم ووضعتهم في كفة زوجها لتنحاز له الكفة معلنة انتصاره على خصمه بعد أن أنزل به هزيمة ساحقة !!

دخلت حنين إلى المكتبة في اليوم التالي لتجد وحيد يجلس مع ريهام في انتظارها.

- صباح الخير.

- ريهام : أهلًا ازيك يا حنين اسمريتي خالص.

تغير وجه وحيد بسبب ارتداء حنين ملابس تبدو إلى حد كبير عارية.

- بسخرية : ازيك يا حنين أيه الشياكه دي.

بعد أن انصرفت ريهام.

- أنا وصلت القاهرة امبارح الساعة واحدة ونمت الساعة اتنين وصحيت متأخر النهارده لبست بسرعة وجيت علشان أشوفك.

- نفث دخان سيجارته في غضب: كان ممكن تشوفيني بعد ساعة بشكل أحسن من ده.

- هو أنا موحشتكش والا أيه ؟

- لحد من خمس دقائق فاتوا كنتِ وحشاني جدًا.

- ودلوقتي ؟

- دلوقتي هقوم أمشي، أيه اللي إنتِ لابساه ده ؟!

- على فكرة هو مش عريان قوي زي ما أنت فاكر.

- ليه هو أنا مش شايفك قدامي هو إنتِ بتوصفيه والا أنا شايفه؟ هو كمال شافك وإنتِ نازلة كده ؟

- بضحكة ساخرة : لأ بس كان معايا وأنا بشتريه وهو اللي إختاره.

- ده من باب العطف على الفقراء والا أيه ؟ يعني مساعدة للشباب اللي مش عارف يتجوز، أهو اللي ميقدرش على الجواز يتفرج.

- وحيد أيه اللي إنت بتقوله ده ؟!

- بوصف اللبس اللي إنتِ لابساه.

- مش هلبسه تاني علشان خاطرك.

- طيب يلا قومي روحي حالًا.

- وحيد مينفعش أنا راجعة من أجازة أربع أيام.

- لكن ينفع تقعدي عريانة ؟!

- أنا مش عريانة هو قصير شوية بس محترم.

- أنا اللي مش محترم؛ أنا أصلي رجعي متخلف، شايفة ده - أشار لقلم كان في جيبه - دي عضمة بتعكز عليها وأنا رايح أنام في الكهف بتاع العصور الوسطى.

ناولته كيس هدايا بداخله عقد من الصدف.

- طيب اتفضل الأول خد الهدية دي فيها ريحة البحر، أنا عارفة إنك بتستمتع بجو البحر زيي.

- خطف منها الكيس وأخرج العقد ولفه على يده وقام وانصرف.

- مجنون بس عسل.

*****

- وحيد لسه مرجعش من بره.

- كنت عاوز أكلمه ضروري.

- خير أيه الحكاية.

- محتاج فلوس يا عم سامي ضروري.

- أول ما يرجع أخليه يكلمك، صوتك مش مريحني.

- ميعاد سداد إيجار السكن بعد أسبوع مش معايا أي حاجة منه وأنا قلت لوحيد يتصرف ومردش عليّ من ساعتها.

- كام إيجار السكن.

- يعني بالمصري ألف جنيه.

- لو وحيد متصرفش فيهم أنا هبعتهملك النهارده.

- ربنا يخليك يا بابا أنا كده بتقل عليك.

- ليه يا فهد إنت ابني وأنا لازم أقف جنبك مش هسيبك تنام في الشارع يعني.

- ربنا يخليك يا عم سامي.

- طبعًا أنا مش هقولك ارجع ولا إن بلدك أولى بيك وإنك هنا هتبقى معانا وفي وسطينا ولا أي حاجة من دي.

- سيبها على الله كل حاجة هتبقى أحسن أنا بذاكر حاليًا وهمتحن بعد عشر أيام لو نجحت همسك وظيفة كويسة.

- ربنا يوفقك يا ابني.

وصل وحيد إلى المنزل.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته تعالى كلم صاحبك الأول.

- ازيك يا فهد عامل أيه؟

- الحمد لله هنام في الشارع كمان أسبوع.

- وأيه المشكلة لما تنام في الشارع مش بتكافح وبتخطف الحلم.

- متستعبطش عملت أيه في الفلوس؟؟

- ولا حاجة لسه..

- أبوك اتبرع وهيبعتهم بس استعجله إنت بقى..

- ساخرًا : يا عيني على فلوسك يا سامي، أبويا ده مبيتعلمش أبدًا!! قلت خسارته في الريان هتعلمه بس على مين.

- ريان مين يا عتيق إنت، احنا دلوقتي في عصر البزنس مش تقولي ريان، وبعدين أنا بسجل الفلوس دي كلها وإنت عارف ذمتي بقى.

- أه الله يكرمك سجل، سجلت الألف الي فاتت ؟؟

- ضاحكًا : أنا بسجل الديون بس مش الهدايا كمان.

- ديون يا نصاب، المهم أنا هقفل معاك عاوز أريح شوية وهبقى انزل أحولك الفلوس.

- ماشي وابقى ابعتلي رسالة طمني.

- حاضر.

أنهى الاتصال مع فهد والتفت لوالده..

- شوفتها النهارده ؟

- أه شوفتها واتخانقنا.

- ليه بس ؟

- عادي اختلفنا زي كل الناس ما بتختلف.

- قولي إنت ناوي على أيه في موضوع حنين ده ؟

- يعني أيه ؟

- يعني إنت ناوي تكمل والا مجرد علاقة بتداوي بيها جروحك.

- أنا حاليًا بجمع الفلوس اللي هتخليني أقدر أتجوزها، مصاريف الجواز مش سهلة إنت عارف.

- علشان كده عاوزك تاخد وقتك وتفكر أكتر من مرة، وبعدين جوازك ده مش هيأثر على إنك تشوف ولادك زي دلوقتي ؟

- لأ بالعكس هي هتساعدني أكون أحسن معاهم.

- هي طلبت الطلاق يعني والا وصلتوا لفين ؟

- واقفين متحركناش ولا خطوة.

اتصلت حنين أثناء مناقشتهم.

- إيه موحشتكش؟!

- عمرك ما هتوحشيني بالشكل اللي شفته النهارده، أنا قلتك إني بغير عليكِ لدرجة الجنون لكن إنتِ مش مهم بالنسبالك أنا أحس بأيه أو أشوفك ازاي!!

- وحيد محصلش حاجة لكل ده وقلتلك إني صحيت متأخرة وعلشان أرضيك مش هلبسه تاني.

- بس دي مش أول مرة يا حنين، قلتلك إن اللبس ده بيخليني أكرهك، أنا مش معاكِ في كل لحظة علشان أقولك البسي ده و متلبسيش ده، إنتِ بتخرجي بالليل وأنا مش شايفك بتخرجي ازاي، إذا كان معاكِ واحد كل حاجة عنده عادي الناس تتفرج عليكِ عادي وهو كمان اللي مشتريهالك، حنين أنا مش كمال ومش هكون كمال ومحبش أكون كمال.

- وبعدين.

- وبعدين المفروض إن إنتِ راجعة من سفر وبقالي كام يوم مشفتكيش وهتجنن عليكِ وخلتيني أقوم وأمشي وأنا زعلان، أنا لو هسامحك على اللي كنتِ لابساه ده ازاي أسامحك إنك حرمتي حبيبتي إنها تشوفني وأنا منتظرها علشان احضنها بعنيا بعد غياب أربع أيام ؟

- المفروض أنا اللي ازعل منك أنا اللي كنت غايبة وإنت حتى مرحبتش بيا.

- هو إنتِ ادتيني أي فرصة اعمل أي حاجة؟؟!!

أدارت حنين كاسيت سيارتها

عيناك ليالِ صيفية
ورؤىً وقصائد وردية
ورسائل حبٍ هاربةٌ
من كتبِ الشوقِ المنسيةْ
من إنت
زرعت بنقل خطاك الدرب
ورود اً جوريـة
من إنت
كالضوء مررت،
كخفق العطر،
كهزج أغانٍ شعبية
ومضيـت شراعـاً يحمـلني
كقصيدة شمـس بحرية
لـوعـود راحـت ترسمـها
أحـلام فتـاة شرقيـة
عيناك ليالِ صيفية
ورؤىً وقصائد وردية
يا حبيبي
عيناك ليالِ صيفية
من إنت
وسحـرٌ في عيـنيك
يـزفُّ العمـر لأمنية
لكـأنك من قمرِ تـأتي،
من نجـمة صـبحٍ ذهبـية
من أرضٍ فيها شمس الحـب
تعـانق وجـه الحريـة
وأنا في العمـر مسافرة،

ومعي عـيناك وأغنية
عيناك ليالِ صيفية
ورؤىً وقصائد وردية
عيناك ليالِ صيفية

- عيناك ليالِ صيفية، مفارقتنيش لحظة يا وحيد وأنا مسافرة.

- ليه بتزعليني منك يا حبيبتي، على فكرة العقد جميل بس ده البسه ازاي ده مسخرة خالص.

- مش مهم تلبسه أنا حبيت أجيبلك ذكرى من مكان أنا روحته.

- أنا عاوز الذكريات دي نعملها واحنا مع بعض، سامي بيسلم عليكِ.

- سلم عليه قوي وقله إني زعلانة إنه مبقاش يجي المكتبة من ساعة ما أنت طلعت من المستشفى.

- حاضر، المهم هنتقابل إمتى ؟

- في المكتبة ؟

- هنستعبط ؟

- أنا عاوزة نقلل شوية من الخروج علشان كمال بقى يسأل كتير.

- نقلل أيه هو احنا بنتقابل إلا ساعتين كل أسبوع ؟!

- ده غير إننا بنتقابل كل يوم في المكتبة.

- كل ده ميتحسبش.

- علشان خاطري يا وحيد اصبر.

- إنتِ متكلمتيش معاه في حاجة ؟

- تقصد الانفصال ؟

- أه.

- كمال اتغير قوي يا وحيد.

- اتغير ازاي ؟

- بقى يهتم بيا كتير غير زمان وبيحاول يرضيني بأي طريقة مبقاش يسبني لوحدي اتغير خالص يا وحيد.

- طيب هايل جدًا.

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

- هو أيه اللي هايل.

- إنك تبقي سعيدة ومرتاحة في حياتك.

- وحيد إنت عارف إن قلبي هو اللي بيستقبل وأنا قلبي عندك.

- ولسه بتنامي جنب طارق والا كافأتيه على التغيير.

- وحيد إنت بتسال أسئلة هتدمر أي حاجة حلوة ممكن تحصل قدام.

- هو فيه حاجة هتحصل قدام ؟

- إنت شايف إن مفيش حاجة هتحصل.

- لأ شايف إنك هتجيبي لطارق أخ.

- مفيش حاجة بتحصل علشان طارق يبقاله أخ.

- إنتِ عارفة لو حملتِ يا حنين أيه اللي هيحصل ؟

- أكيد عارفة أيه اللي إنت بتقوله ده؟!

- إوعي تضيعينا يا حنين عمرنا ما هنتقابل تاني.

- متخافش أبدًا يا وحيد.

- حنين أنا عاوز أقابلك هنا عندي في البيت مفيش حد الأسبوع كله.

- فين ؟!

- في البيت.

- ازاي يا وحيد.

- في أيه يا حنين زي ما بنتقابل أنا مش مبسوط من مقابلتنا في الشارع.

- وهتبقى مبسوط لما نتقابل في البيت ؟!

-هو إنتِ خايفة مني يا حنين ؟

- أنا مش عارفة ازاي إنت طلبت أصلًا الطلب ده.

- علشان بحبك.

- وحيد أنا عاوزة أسألك سؤال تفتكر أنا لو جيت وقعدنا زى ما أنت عاوز شكلي قدامك هيبقى أيه ؟ هتبقى شايفني ازاي أو إنت شايفني ازاي دلوقتي ؟

- أيه اللي إنتِ بتقوليه ده يا حنين، حنين انسي إني طلبت حاجة.

- أنا نسيت فعلًا.

- مع السلامة يا حنين.

- مع السلامة.

*****

في صباح اليوم التالي حضر ياسر إلى المكتبة فوجد حنين منشغلة في ترتيب الكتب فبادرها:

- السلام عليكم ازيك يا حنين عاملة أيه ؟

- الحمد لله ازيك يا ياسر، جاي لوحدك ليه فين صاحبك ؟

- أنا قلت هلاقيه هنا أنا عارف إنه بيجي على طول.

- مجاش النهارده، هو ملوش مواعيد وقت ما بيحب يجي بنلاقيه داخل علينا فجأة.

- هو من ساعة موضوع انفصاله وهو محدش بيلاقيه.

كان وقع الخبر على حنين صاعق.

- هو وحيد انفصل عن مراته ؟

- أه من فترة كبيرة إنتِ متعرفيش ؟

- لأ.

- متعرفيهوش بقى إني قلتلك حاجة ممكن يكون هو مش عاوز حد يعرف وأنا كنت فاكرك عارفة لو كنت عارف مكنتش اتكلمت.

- هو طلقها من أد أيه ؟

- من أكتر من خمس شهور.

- حاضر اعتبرني معرفتش حاجة.

شعرت حنين بضرورة الانسحاب الذي كانت تؤجل موعده يوم بعد يوم.

- أنا عاوز كتابين النهارده مش كتاب واحد.

- اتفضل اختار اللي إنت عاوزه وتعالى أسجله عندي.

وبعد انصراف ياسر بساعتين حضر وحيد إلى المكتبة كان يملىء وجه حبيبته الفتور والملل.

- شكلك مرهق.

- منمتش كويس امبارح.

- أنا هقوم أقعد هناك اقرأ كتاب وإنتِ خدي اقرأي الورقة دي اقرأيها محتاج إنك تفهمي حاجات كان لازم تفهميها من غير ما أقولها.

قالها وقام إلى ركن القراءة، فتحت حنين خطابه فوجدت....

اعتذار من قلب تألم حتى تخدر

حبيبتي لا أعرف لما أكتب الآن وكأني أشعر بذنب أنا أعلم جيدًا أني لم أفعله بل ولا أدري إن كان ذنب أم لا، أعتذر وبقلب يملأه التردد، أشعر وكأني أريد أن أترك لك الدنيا وأهرب !!

لا أعرف كيف فعلت؟ ولا هل كان صواب أم لا ولكنني أعرف أنني أحبك حتى وإن خشيت ردة فعلك حتى وإن كانت ردة فعلك مؤلمة سأتحملها، ليس كما أحمل كل الآلام بداخلي ولكن سأحملها كما تعودت أن أحملك، يجتاحني شعور قوي أن أحدثك- أنا شايفك ازاي دلوقتي - ؟

سؤال نطقتِ به بدافع أنوثة تربيتي عليها وتقاليد وعادات كنت أشاركك احترامها ولكن قبل أن اراك، وأعلم أنك قولتيها بعفوية أو بخوف ووجل ولكن كم نزلت على قلبي قاسية ككل كلماتك الرقيقة، سؤالك هذا خلعني من الدنيا والقى بي إلى كل عزول... حبيبتي تدري كم أخشى أن تهتز صورتي في عينك ؟؟؟

تدري كم أخشى أن تتولي إنتِ حماية نفسك في وجودي ؟؟؟

سأكون واقعي كما أردتِ ... نعم من حقك أن تسألي وأن تخافي على نفسك وأعلم أني لا حقوق لي عليك، وأعلم أنني وإن كنتِ تحبينني فأنا مجرد متطفلًا دخل إلى حياتك عنوة وراح ككل متطفل ينظر إلى ما تسمحي ولا تسمحي وأعلم أنك معي لأنك تريدي أن تكوني معي أعلم أني أخطأت وأستحق منك أكثر من أن تغضبي نعم أعلم كل هذا أعلم هذا الواقع هل استرحتِ ؟؟؟

دعيني آخذك من يديك.... لا لن ألمس يديك ادخلي أنتِ تعالي معي، كوني أمامي أريد أن أريكي وحيد من داخله وحيد الذي جاهدت ألا تنظريه أو يظهر أمامك وحيد ذلك الرجل الذي أرته الدنيا كل المنغصات ولم ترتضي أن تقتله دفعة واحدة بل تلذذت بقتله، أنا أكره واقعك هذا وأنقم عليه ولا أستطيع محاربته بل مطالب أن أتركك وحدك تبدأي وتنهي المعركة ومتى شئتِ .... وأنا أشاهد فقط.

أكره واقعك هذا الذي يسمح فيه رجل أخر لي بان أكلمك... أهاتفك... ألقاكي عبر الأسلاك وينهي هذا اللقاء وقتما شاء... بل ويأتي إلى نفس الطاولة ويقذف بكل هذه المشاعر إلى أي مزبلة أراد.. واقعك يجبرني أن أتضائل لرجل لا أستطيع أن أكون موجود بحضرته... لا أجدك إلا إذا أذن لي وللمدة التي يسمح بها ويقطع اللقاء وقتما شاء في أي جزء من اللقاء وأيًا كانت حرارته ...

واقعك هذا نال مني ومن كرامتي وشموخي لذلك أكرهه... أهينه... أعبث به... أكره أي شيء يذكرني به أو يواجهني به واقعك هذا يتلذذ بي يهين كبريائي بغير شفقة، يكسرني يشوه ملامح الرجل داخلي لذلك أكرهه، هل لازلت بداخلي أم أنك فضلت الهرب ؟؟؟

تعالى أريكي وحيد أكثر، وحيد من داخله.... متمرد على كل شيء... تقتله الوحدة والغربة.. ملَّ الحياة.. اجتاحه الواقع.

لماذا معك رقيقًا دافئًا ؟؟ لأنك أخرجت مني الإنسان الذي أهرب منه من سنين، الإنسان الذي أدوس عليه بكل قوة وعنف، رأيت لما أحبك بعنف ؟

اسألي عني يا فاتنتي كل من قابلتهم وعايشتهم وقتلتهم اسأليهم لتري وحيد كما لم تريه من قبل إن أردتي، اسأليهم لتعرفي أنا شايفك ازاي دلوقتي !!!

بئس كلماتي ومشاعري إن لم تستطع أن توصل لك كيف أراكي وما هي صورتك أمامي، أخشيتي أن تسقطي؟ لماذا سألت ؟؟ رفضك كان أهون على قلبي من سؤالك، أنا أشعر الآن بالفشل...

تعالي لا تهربي تعالي انظري إلى هذا الجانب من قلبي المترهل، أنا أحبك بمشاعر كهل عجوز انظري إلى هذه المشاعر المسجونة... انظري إليها.... انظري كيف تستجديني وتستعطفني منذ سنين لتخرج ولكني لم أخرجها لأحد غيرك، كيف رأيتيني أطلبك كرجل يطلب أنثى لليلة حمراء ؟؟ كيف قارنتي نفسك بغيرك ؟؟

تدري الآن أخشى أن أسمع صوتك بل وأخشى أن أراكي، فقدت الثقة في كل كلماتي وفي القلم وفي المعاني حتى في نظرات عيوني... لا ألومك يا حبيبتي ولكني أصف لك حالي أفسر لك ما سيأتي فلا تستغربيني، تقولي أني مصدر قوتك؟؟!! كم أنت ضعيفة إذ يكون هذا الضعيف مصدر قوتك.

تدري؟ أنا معك أعيش على أطلال ماضي أريكي إياه لا استطيع أن أستحضر منه قوتي معك، أريدك أن تري كم كنت قوي قبلك وكنت أمنح تلك القوة لكل من حولي لكن الآن صدقيني أنا أضعف من ذلك الشخص الذي كان يسكنني، أنت انتقام الأيام مني وتأديبها لي على كل عبثي وتمردي.

كنت أظن أني لا أعبر لك إلا عن الأمان.... الأمان الذي تري أنه أهم من الحب أو إنه هو عمود الحب...

واقعك يشعرني بالعجز يُلجأني إلى حيلة العاجز، ومطية الفاشل، ومهرب الجبان واقعك يمسخني، كابوس يطاردني أنا أمقت واقعك أكرهه أكره نفسي معه وأحبك... أحبك وحدك.. أحبك بلا واقع..

لأن واقعك دائمًا ينتصر... هم واقعك أما أنا، فأنا خيالك ودائمًا ما ينتصر الواقع ويتشتت الخيال نعم يا حنين الواقع دائمًا ينتصر الواقع دائمًا يسحقني، مهما عاتبت فاليوم أنا أحتقر كل من جعلني أتي متأخرًا.... كل من أفشلني.. كل من هزمني وكسرني وبعد ذلك أبقاني.... كل شيء أبعدنِ عنك يا حنين....

دمعت عيون حنين كانت تعرف جيدًا أي سكين حاد سوف تغرسه في قلب ذلك المهزوم، مشى وحيد إليها :

- امسحي دموعك يا حبيبتي وأرجوكِ بلاش دموعك تنزل وأنا موجود.

تناولت منديل وراحت تمسح دموعها

- بطلتِ تسأليني على الرواية يعني ؟

- أنا عارفة إن إنت لو كتبت حاجة جديدة هتديهالي.

- لو حسيت إنك مهتمة أكيد هتلاقيني جايبهالك.

- مجنون، إنت إنسان مجنون كل لحظة بحالة.

- أه اتعلمت من واحدة مجنونة.

- أنا مش زعلانة من مكالمتنا امبارح.

- أتمنى إنك تفهميني.

- أنا عاوزه أقولك إن كمال دلوقتي بقى أغلب الوقت في البيت مش عوزاك تزعل إني مبكلمكش.

- أنا واثق إن لو في فرصة مش هتتأخري بس افتكري دايمًا إن الإنسان هو اللي بيصنع الفرصة.

*****

ولكن حنين كانت قد بدأت رحلة الفراق، أصبحت تتصنع الانشغال أغلب الوقت في المكتبة، وفي البيت قلة الاتصالات بينهم بشكل كبير حتى عندما كان يذهب وحيد إلى المكتبة كان يشعر بها تنشغل عنه، أصبحت لا

تهتم بفتح موضوعات طويلة معه حتى صارت أغلب أحداث حياتهم مجهولة لكل طرف، وخفتت لهفة حنين في السؤال عن رواية رائعة العذاب التي أتمها وحيد من فترة كبيرة ولكن مما زاد إصراره على عدم إخبارها هو ذلك الفتور الذي أصبحت تقابل به كلماته، كان كل فترة يعطيها جزء جديد من الرواية ولكنهم على غير عادتهم لا يتحدثون عنه إلا قليلا مما دفعه لعدم مشاركتها في أحداث النهاية التي كان يفترض أن يفرد لها مقابله معها.

لم يكن يفهم وحيد معنى هذا الانسحاب المفاجيء كان يظن أنه مجرد كبرياء ينتاب العلاقة في فترة حرجة، ولن يلبث حتى تنقشع سحبه لتعود الحياة بينهم كما كانت ولكن حنين كانت تتعامل بشيء من الوضوح فكانت تحكي له عن خروجها للتنزه مع زوجها، وكانت تتعمد أن تتصل على زوجها في الأوقات التي اعتاد وحيد أن يأتي فيها إلى المكتبة، كانت حنين قد قررت بشكل حاسم أن تنهي هذه العلاقة ولكنها كانت تحتاج لأن تخرج منها محتفظة بمكانتها في قلب وحيد كان يزعجها إهماله لها على كثرة إهمالها له.

كان يخيفها مجرد التفكير في أنه قد يأتي يومًا وينساها أو يعتبرها ذكرى سعيدة كانت أو أليمه، كانت ترى أن حبه يستحق أن يكون كالقلادة التي يحتفظ بها في الخزينة بعد انتهاء المعركة أو بروش جميل يزين صدر فستان عاري تلبسه، ورغم ذلك البعد الصامت كان وحيد يستعمل الغيرة عليها كلما رأى ما يستوجب ذلك وكان لا يزال يرسل لها المغازلات بعينه كلما جلس في ركن القراءة، فقد هجر المكان الذى اعتاد أن يجلس فيه ليشعرها بغيابه ولكنه لم يجد ما كان ينتظر.

كانت تحاول أن تفهمه أن القطار قد وصل إلى غايته ولن يتحرك مرة أخرى فنظرة الأمل والعتاب التي تراها في عينه تخبرها بأنه لا يزال يظن أن أصابعهم مشتبكة كما طلب منها في أول علاقتهم، حتى صارت بينهم مشكلة بسبب ملابسها التي تعمدت أن تجعلها أكثر سخونة فثارت ثائرته وبدأ في انفجار تبعه عدة انفجارات.

- ازاي واحدة محترمة ممكن تلبس حاجة زي دي!!

- وحيد أنا محترمة.

- مش بالعافية، أنا ممكن اتغير وأبقى اسبور زي ما أنتِ عاوزة، وممكن أبطل أغير عليكِ خالص بس ساعتها مش هعجبك مش هبقى وحيد اللي حبتيه هبقى أي واحد تاني ميهموش إن جسمك تنهشه ألف عين..

- المفروض إن اللي بيوجه حد بيكون أكتر رحمة مش يفضل يهزىء فيه.

- أنا مش بوجهك أنا وجهتك كتير مش هنفضل طول عمرنا واقفين في نفس النقطة، المفروض إن إنتِ ست كبيرة وعاقلة وأم تقدري تميزي أيه اللي ممكن تنزلي بيه الشارع وأيه اللي تلبسيه لجوزك في غرفة النوم...

- على فكرة اللبس مفيهوش حاجة.

- خلاص يبقى متغيريهوش.

- حاضر مش هغيره.

- إوعي تغيريه ده لبس في منتهى الشياكة، إوعي تسمعي كلام واحد رجعي وجاهل زيي.

- على فكرة أنا حرة أغير لبسي أو لأ أنا اللي هتحاسب قدام ربنا.

- عندك حق وبعدين طالما إنتِ راضية و جوزك راضي أنا زعلان ليه؟!

- هو في حد بينصح بالطريقة دي؟؟

- أنا قلتلك إني مش بنصحك هو المفروض إن الواحد بينصح أد أيه ؟!

- وحيد أنا غلطت وهغلط أنا إنسانة وإنت لازم تعدي وتسامح وتغفر لو إنت مش هتسامح مين اللي هيسامح، وكيف لا تغفر وأنت مليء بما لا يغتفر.

- لو كان حقي كنت سامحتك فيه لكن متعلمتش من يوم ما عرفتك إني أسامح فيكِ أو في أي حاجة منك، مش هقعد اتفرج على الناس وهي بتبصلك، النظرات اللي أنا شوفتها دي وتقوليلي سامح...

- طيب أنا اللي عندي خلاص قولته.

- واللي إنتِ قولتيه معجبنيش المفروض أعمل أيه اشرب من البحر ؟!!

- المفروض إن أنا أعمل أيه ؟ الطقم معجبكش اعتذرت وقلت مش هلبسه تاني المفروض أعمل أيه تاني؟

- متعمليش أنا اللي هعمل..

غادر وحيد المكتبة ومن ذلك اليوم انقطعت الاتصالات بينهم تمامًا، ولم يعد يذهب إليها كل يوم كما اعتاد ولكن أصبح يذهب يومان في كل أسبوع يختلس النظر ويتشاركون الأحاديث مع ريهام وأسماء وياسر والحاج أشرف، فلم يعد بينهم حوار خاص إلا لدقائق معدودة يختلسونها ليلقي أحدهم على الأخر نوع من العتاب المغلف، ولكن القدر قد صرف كل من حولهم ليجد وحيد وحنين أنفسهم في مواجهة تحتم عليهم أن يتحدثوا عن غيابهم المصطنع :

- يعني أيه نختلف تنسى كل حاجة في لحظة؟؟

- أنا عمري ما نسيتك لحظة لكن أنا اتاكدت إنك تقدري تعيشي من غيري.

- إنت هنتني وجرحتني وأنا اعتذرتلك بمجرد ما لقيتك زعلان..

- أنا عمري ما أهينك، أنا كنت بهين نفسي، لازم تفهمي إن أي تصرف بتعمليه مبيعجبنيش بحس إن أنا السبب، إني كان لازم أكون في حياتك من بدري...

- لأ إنت هنتني لما تقولي إني مش محترمة تبقى هنتني، وحيد احنا قناعاتنا مختلفة ولما نختلف في القناعات يبقى احنا فعلًا اختلفنا، أنا عمري ما كنت أظن إن احنا ممكن يكون في بينا خلاف اتفاجئت إننا مبنعرفش نكلم بعض لما نختلف أو أنا مبعرفش اتعامل معاك وإنت زعلان.

- إنتِ بعدتِ يا حنين أكيد أي تصرف كان ممكن يبقى صح إلا إنك تبعدي عني.

- كل ما كنت بقرب كنت بسمع منك كلام بيوجعني بيخليني أهرب.

- طيب وفرقتي أيه عنها ؟

- أنا فعلًا كنت بفكر فيها، إنت صعب جدًا لما بتغضب يا وحيد مبيبقاش في أي حاجة ممكن ترضيك.

- يعني إنتِ وصلتِ من خلال تفكيرك إنها كانت معذورة ؟

- وحيد أنا حاولت كتير أصالحك بس معرفتش.

- حاولتِ إمتى ؟ لما عاتبتيني في التليفون مرة؟! حنين إنتِ مصدقة إنك حاولتِ؟!!

- أنا تعبانه يا وحيد حاسه إن كل حاجة في حياتي متلغبطة...

- بيتهيألي إني لو خرجت من حياتك كل حاجة هتتعدل ومش هتبقي تعبانة... مش كده؟؟

- أنا أقل حد إنت حبيته، لو كنت حبتني عمرك ما كنت استغليت إني غرقانة وقربت مني كان لازم تخاف عليّ.

اتسعت عينا وحيد مندهشًا...

- كنت خُفت عليكِ ؟! خُفت عليكِ ازاي ؟

- إنت قربتني ليك وإنت عارف إن ده مش من حقي، إنت مخفتش عليّ يا وحيد اللي بيحب حد بيحافظ عليه.

- حفاظ عليكِ كان معناه إني أضيعك؟ إني أعيش من غيرك مش كده؟ لأ يا حنين أنا معرفش الحب الأفلاطوني ده، لو كنت استعملت معاك العقل والحكمة اللي إنتِ النهارده بتدوري عليهم كنا عمرنا ما هنتقابل، ولو كنت أقدر أخطفك كنت خطفتك، أنا كرهت كل حاجة في الدنيا وحبيتك، والنهاردة بتحاسبيني.. النهارده ..... إنتِ اتغيرتِ قوي يا حنين.

- وإنت كمان اتغيرت.

- أيه اكتشفتِ إني مبحبكيش .. إني كنت بتسلى بيك؟؟

- وحيد احنا مش هينفع نكمل مع بعض.

- فين البداية اللي مش عوزانا نكملها ؟ اكتشفتِ إني مبحبكيش يا حنين؟!

- لأ بتحبني بس مش للدرجة اللي تخليك تخاف عليّ.

- أخاف عليكِ من مين ؟ من كل الناس حتى نفسي والا من كل الناس إلا نفسي ؟

- خُفت عليّ من كل الناس إلا نفسك.

- طيب ده يرضيني جدًا، معنديش مشكلة إني أكون استمتعت بكل حاجة حلوة معاك.

- أنا كنت عاوزه حبك يحميني حتى منك، إنت لما قابلتني كنت تايهة وبغرق.

- وأنا كنت غرقان فعلًا.

- مش عارفة، كان لازم تخاف عليّ أكتر من كده...

- إنتِ ازاي كده ؟!! ازاي بتقدري تكوني إنسانة تانية في لحظة، حنين إنتِ خلاص مش عاوزانا نكمل؟

- مش هينفع يا وحيد.

- ليه يا حنين؟ ليه بتسبيني النهارده؟ علشان مش هعرف أجيبلك شقة في مصر الجديدة ؟ والا علشان أنا موظف فقير؟ ليه يا حنين ؟

- عشان كل حاجة.

- كل حاجة !! إنتِ صح .... يا ريتني كنت زيك..

*****

- عارف يا فهد حبي لحنين أكدلي أد أيه أنا إنسان تافه لا بيعرف يحب ولا بيعرف يختار.. عمري ما اخترت صح يا أخي.

- إنت اخترت اللي يناسبك مش شرط إن اللي تختاره يختارك أو تكون مناسب ليه، الإنسان بيختار الحاجة اللي تناسبه هو وأحيانًا اللي يناسبنا بنكون احنا مناسبهوش..

- يعني أيه يا فهد ؟

- يعني طبيعي واحدة ساكنة في مصر الجديدة ومعاها عربية أحدث موديل ومتجوزة رجل أعمال إنها متبصلكش ياوحيد، إنت كنت نزوة في حياتها وكل ما كنت بحاول أنبهك كنت بتتخانق.

- معقول تكونوا كلكم فهمتوها إلا أنا ؟!

- هي كانت واضحة جدًا بس إنت اللي مفهمتش.

- كانت واضحة إنها مبتحبنيش ؟!

- أنا مش عاوزك تفكر في الموضوع ده خلاص هو كده انتهى وانتبه بقى لحياتنا ومستقبلنا أنا الشغل الجديد اللي استلمته ده حاسس إنه هو نقطة انطلاقنا بإذن الله.

- محبتنيش يا فهد ؟

- والله الموضوع ده أكيد محدش يقدر يحسمه غيرك لكن على أي حال مش هتتجوزوا..

- عمرنا ما هنكون مع بعض..

- عملت أيه في الرواية ؟

- إنت ليه مش عاوز ترد عليّ؟؟

- مش عاوز اتكلم في الموضوع ده خلاص لأنه خد أكتر من حقه.

- وأموت أنا يعني؟؟

- سلامتك وسلامة قلبك، الجواز ده نصيب يا وحيد وبعدين إنت فعلًا ظروفك متسمحش بأي ارتباط دلوقتي، ممكن تستنى لما الحالة تتعدل معايا وأنا معنديش مشكلة أجوزك واصرف عليك.

- فلوس ... فلوس ... إنتوا مبتعرفوش تتكلموا إلا عن الفلوس ؟ وحبنا راح فين؟؟؟

- حب من غير فلوس يعني عربية من غير بنزين هتفضل واقفة مكانها ويفوت عليها الزمن والقطط والكلاب تسكنها...

- أنا بكره الفلوس وبكرهك وبكرهها هي كمان... سلام دلوقتي سبني لوحدي..

- طمني عليك يا وحيد.

- مع السلامة.

اختلى وحيد بنفسه وروايته أخذ يقرأها ويتذكر مشاعره مع كل سطر فيها كأنه يرى أحداثها تتراقص أمامه بذكرياتها الرقيقة وأنفاس حنين التي تملىء كل صفحاتها، طرأ عليه أن يغير بعض أحداثها لتلائم إحساسه اليوم.

*****

- الطبعة الأولى ألف نسخة ده المعتاد وبعدين هنوزعها في أكتر من مكان داخل القاهرة، وبإذن الله ربنا يكرم وتحقق اللي احنا منتظرينه منها.

- اللي تشوفه يا حاج أنا معنديش أي فكرة أو خبرة بموضوع النشر.

- مضيت العقد خلاص ؟

- اتفضل.

- بإذن الله هعملك حفلة محترمة لتوقيع كتابك.

- أنا واثق في كل اختياراتك يا حاج أشرف وبإذن الله أكون عند ثقتك فيا.

- مالك يا وحيد مش فرحان ليه ؟

- اعذره يا ياسر هو دلوقتي زي التلميذ اللي دخل الامتحان، وروايته في إيد الناس بتحكم عليها وتصححها وبتديله الدرجات، ومادمت خايف يبقى هتنجح، دايمًا البداية كده ليها رهبة..

- بإذن الله خير..

-قال ياسر : أنا هروح أتابع بنفسي حركة الرواية في المكتبات اللي نزلناها فيها أنا متفائل خير.

- أنا جهزتلك النسخ اللي هتاخدها تهديها لأصحابك متنساش تاخدها وإنت ماشي..

- حاضر.

*****

- كل سنة وإنت طيب يا حبيبي وعقبال ما تبقى عجوز واحنا مع بعض وتحقق كل اللي نفسك فيه.

- ده أحلى عيد جواز لينا مع بعض يا حبيبتي.

- يلا نقطع التورتة علشان طارق وتسنيم هيتجننوا ويلغوصوا فيها.

*****

- مبروك يا حبيبي وبإذن الله هباركلك تاني مع الطبعة الخمسين للكتاب.

- أنا فرحان قوي يا بابا.

- ربنا يفرحك دايمًا، إنت حققت حلمي وحلمك.

- كان نفسي حنين تبقى معايا.

- بكرة تعرف إنك نشرت الرواية وتشتريها وتكلمك.

- من ساعة ما سابت الشغل وهي متصلتش بيا ولا مرة.

- اعتبرها مرحلة في حياتك ومتقفش عندها إنت خلاص انطلقت إوعى تسيب حاجة ترجعك ورا.

- أنا كتبت الرواية دي علشانها، إحساسي في أولها اختلف تمامًا عن اللي بحس بيه النهارده، فرق كبير بين القلب وهو بيتفتح زي الوردة ولما يكون بيلملم دموعه وبيتقفل للأبد.

- متحكمش بسرعة على أي حاجة إنت لسه سكتك طويلة وكلها فرح ونجاح وأكيد هتقابل في الطريق اللي تقدر تفتح قلبك..

*****

بعد مرور تسعة أشهر

- مش عاوزك تعتمد على نجاحك عاوزك تكتب بنفس الخوف والقلق اللي كتبت بيه - رائعة العذاب - في مواقف قلبي كان هيقف وأنا بقرأها قدرت تصورها كأنها حقيقة.

- الإلهام يا ياسر هو سر النجاح.

- إنت إلهامك في الوجع، لما فارقت مراتك وجعك هو اللي حركك وقدر يطلع منك أجمل ما فيك.

- إنت مش عارف حاجة يا ياسر أنا إلهامى كان في عينيها اللي خدتهم ومشيت وسبتني أدور على إلهام.

- هي مين يا وحيد ؟!

- الست اللي كانت سر من أسرار كتابتي واللي عمري ما حكتلك عليها واللي هتفضل توجعني كل ما أفتكرها وأفتكر ضحكتها وهي في حضني.

- أنا مش فاهم.

- أنا نفسي مش فاهم، مش فاهم ومش مصدق، ازاي ممكن إنسانة تكون زي الشمس أول ما تطلع تنور عمرك كله وازاي يبقى ليها لحظة غروب متشرقش بعدها أبدًا، كان نفسي احكيلك عنها.. احكيلك قصة أغرب من الخيال، قصة اتنين كان كل واحد فيهم بيحلم يلاقي نفسه.. كان واحد منهم قرب يوصل لليأس وبقى يقول لنفسه إنه واهم وفي اللحظة الأخيرة لقى الظروف بتترتب وبتأمر الشمس إنها تطلع بقى وتبطل غياب.

- وبعدين ؟

- قال مبتسمًا كمن يصف شيئًا يراه : وبعدين حبها وحب معاها الحياة كلها حب قلبها وحب ضعفها، شقاوتها كمان كانت حكاية، وزي الشمس متقدرش تلم ضوئها كله بعيونك متقدرش تشوفها براحتك.

- كل ده وأنا كنت فين ؟ إنت محكتليش أي حاجة عنها !

- ما الشمس دي غربت زي أي شمس يا ياسر لو عنيك مقدرتش تشوف النور بتاعها لما سطعت وكانت في وسط السما مش هتحس بيها لما تغرب، أنا بس اللي أحس أنا اللي افهم أنا اللي أرجع أعيش في الضلمة معاكوا.

- بس احنا عايشين في النور.

- إنت اتخيلت إن الرواية تحقق المبيعات دي كلها ؟

- أنا كنت واثق إنك هتنجح لكن فعلًا المبيعات فاقت توقعاتي، إذا كانت فاقت توقعات الحاج أشرف نفسه !

- لكن أنا كنت عارف إنها هتنجح، أصل ده نجاح كنت مأجله كنت عارف إنه جاي لكن كنت كتير بهرب منه.

- وليه تهرب من النجاح في حد يكره يبقى ناجح ؟!

- أنا أكره ابقى لوحدي، بكره إني مشوفهاش، لما عرفتها بقيت أخاف أضحك وأنا لوحدي لا الضحكة تعديها.

- حتى الليل فيه قمر يا وحيد عمر الأرض ما بتخلى من النور.

- والقمر بياخد نوره من الشمس اللي غابت.

- أنا مستغرب جدًا ازاي أنا محستش بكل ده؟!!

- لأ متستغربش هي كمان محستش..

- مش ممكن!!

- أصل أنا مقولتلهاش حاجة حبتها بصمت وسكون، عشت معاها في خيالي بس وعمرها ما خرجت للواقع، أصل أنا دايمًا بوصل متأخر.

- وحيد أنا مش فاهم حاجة.

- صدقني وأنا كمان، أصلها مشيت فجأة وأنا نايم صحيت ملقتهاش دورت عليها في كل حته، حاجتها كانت زي ما هي..

- !!

- مسبتليش ورقة تقولي رايحه فين ولا مع مين ولا ليه!!

سابتني اسأل وبس من غير إجابة، اتعلم مني وإوعى تحب شمس...

رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

*****

- ابنك دلوقتي مشغول على طول ولو احنا مستحملناش مين اللي هيستحمل ؟

- أنا مبقتش أشوفه، وحتى لما بيكلمني مبيكملش دقيقتين.

- سبيه يا ألفت يشوف طريقه اللي اتأخر عنه كتير وادعيله ربنا يوفقه.

- طيب وبعد ما ربنا فتحها عليه كده مش ناوي يرجع مراته بقى ويتلم.

- وهو طلقها علشان مش لاقي ياكل ؟

- الفلوس بتقلل المشاكل وأنا بصراحة زعلانة إن ولاده ميبقوش معاه وإنه يبقى عايش لوحده كده.

- هو مش لوحده أنا عايش معاه.

- المفروض إنه يعيش مع مراته وإنت كمان تعيش مع مراتك.. مش أنا عند بنتي وإنت عند ابنك، خلاص يا سامي احنا كبرنا المفروض نخرجهم من مشاكلنا ونعيش اليومين اللي فاضلين مع بعض.

- أنا مش ممانع بس إنتِ بتضييعي أي حاجة حلوة، مبتعرفيش تسيطري على نفسك.

- ابعت واحدة تنضف الشقة وتروح إنت ووحيد وأنا أحصلكم بعد كام يوم ؟

- إنتِ خلاص قررتِ.

- إنت لسه قايل معندكش مانع.

- أيه وحشتك والا أيه ؟

- طبعًا وحشتني هو ده سؤال، اسأل بنتك ووحيد أنا كل يوم اسأله عليك.

- ما أنا لسه شايفك الأسبوع اللي فات أيه خلاص مبقتيش تعرفي تعيشي من غيري والا أيه ؟

- هو أنا ليا حد في الدنيا غيرك، حتى بنتك أنا قاعدة عندها ضيفة هو الإنسان بيرتاح إلا في بيته.

- وإنتِ كمان وحشاني يا ألفت بس لسانك ده اللي عاوز قطعه هو اللي بيخليني ابقى مش عاوز أشوفك..

- مش بتكلم علشان مصلحتك أنا بنصحك علشان خايفة عليك.

- لأ متنصحنيش.

- حاضر يا سيدي ارجع ومش هنصحك.

- طيب ابعتي حد ينضف الشقة وأما يرجع وحيد أقوله إننا هنتلم في بيتنا تاني .

*****

- كل وعودك فشنك.

- ليه بس ؟

- مش إنت قلتلي إنها لما تشتريها وتقرأها هتتصل بيا وتكلمني أهي متصلتش.

- يمكن معرفتش إنها اتنشرت أصلًا..

- ممكن، وممكن كمان معرفتش إني طلعت في التليفزيون مرتين !

- ممكن.

- ممكن أيه إنت هتجنني؟ هي أيه عمرها ما حبتني والا أيه ؟

- هي تفرق معاك في أيه يا أخي ؟

- أبدًا عاوز إلهام للرواية الجديدة.

- إنت اللي بتوهم نفسك، لو طلعت على النيل مع فنجان قهوة والا مزة حلوة وشوية خضرة هتلاقي الإلهام نازل عليك زي المطره.

- بس يا تافه.

- تافه علشان بقولك الحقيقة ؟

- لأ علشان فاكر إن الطريقة دي هتخليني ادخل أخد دش وانساها وابقى كويس.

- لأ يا فالح الطريقة دي هي اللي إنت لازم تعالج بيها نفسك، إن الدنيا مبتقفش على حد ولو كانت بتقف كانت وقفت لما أنا سافرت، بالعكس إنت نجحت لما أنا بعدت وبقيت في بلد تانية، الدنيا مبتقفش على حد يا وحيد.

- مبتقفش لكن بتمشي تعرج.

- يا أعرج افهم إن إنت ابتديت، المفروض إن إنت النهارده تكون قربت تخلص روايتك الثانية، إنت بقالك معجبين والناس هتستناك ولو طولت الغيبة هيشوفوا غيرك، القارىء ندل متفكرش إنه قاعد سايب حاله وماله ومستنيك.

- أنا بحاول فعلًا بس الكلام خلاص بقى ممل.

- اكتب ونتناقش زي ما عملنا في الرواية الأولى.

- حاضر.

- اشتريت العربية والا لسه ؟

- بإذن الله يوم الخميس هستلمها.

- أيوه كده الوجاهة مهمة.

- هبعتلك الغلاف بتاع الطبعة الجديدة وقولي رأيك.

*****

- اتفقت أنا وماما إننا هنرجع نعيش كلنا في شقة ألماظة.

- اتصالحتوا يعني خلاص ؟

- أه الحمد لله هي صالحتني واتفقت معاها على كام حاجة وربنا يسهل، إنت عارف هى متقدرش تعيش من غيري على أي حال.

- ما تقولها تيجي هي تعيش معانا هنا.

- وهتفرق في أيه هنا هناك المهم إننا كلنا نبقى مع بعض.

- أنا هكون مرتاح هنا أكتر اعرض عليها الموضوع وبعد ما ارجع قولي اتفقوا على أيه؟

- هتروح للأولاد النهارده ؟

- وعدتهم إننا نتفسح مش مستنيين لما استلم العربية.

- استنى أغير هدومي أنا كمان عاوز أشوفهم مشفتهمش من يوم الإتنين اللي فات.

- زياد سأل عليك وزعلان منك علشان قلتله هتشتريله طيارة كان فاكر إنك هتنزل تجيبها وترجع.

- نشتريها في سكتنا.

- ضاحكًا : لأ ده عاوز طيارة حقيقية.

- أبوه بقى يشتريهاله..

*****

- احنا مبقناش نقعد مع بعض خالص!!

- كل شغلي ما يكبر الانشغال بيزيد غصب عني إنتِ لازم تبقي فاهمه كده.

- طارق بيقولي بابا مبيقعدش معانا ومش بيفسحنا خالص.

- ممكن أمه محرضاه.

- أنا عمري ما حرضته لكن فعلًا احنا مبنقعدش معاك.

- أنا مشغول بالشغل والا بتفسح ؟

- خلينا من ضمن الشغل.

- لما ارجع من السفر أوعدك نتفسح ونخرج ونعمل كل اللي إنتوا عاوزينه.

- قلتلي كده المرة اللي فاتت وبرضه اعتذرت بسبب الشغل.

- نكمل كلامنا لما ارجع.

*****

ذهب وحيد في الموعد لاستلام السيارة التي كانت تنتظره في المعرض وفضل أن ينطلق بها إلى الإسكندرية في مكانه المفضل على شط جليم لم يخبر أحد بسفره وعزم على العودة ليلا، كان ينطلق بسيارته فاتحا صدره للهواء المنعش يفكر في موضوع رواية جديد بعد أن أخذ عهدًا على نفسه ألا يتجه للروايات الرومانسية مرة أخرى، عندما كان بالقرب من البحر خيل إليه إنه رأى وجهًا يعرفه، فهديء كثيراً من سرعته حتى توقف تمامًا وراح ينظر في المرآة الجانبية ليجد ذلك الرجل الستيني العجوز - الذى قابله على النيل - بآثار الزمن التي خطت بأقدامها على وجهه الباسم، فنزل وحيد إليه مسرعًا

- ازيك يا جدو فاكرني والا لأ؟؟

- بلهجته الريفية: لا والله يا ابني مش واخد بالي.

- أنا وحيد اللي قابلتك على كورنيش النيل من فترة طويلة لما كنت محتار في هدية.

- اعذرني يا ابني مش قادر افتكر.

- إنت هنا بتعمل إيه ؟

- بزور ابني.

- أنا مش شايف حد معاك.

- أنا بقالي عنده هنا عشر أيام نزلت أتمشى شوية أنا بحب اتفرج على البحر.

- تضايق لو قعدت معاك.

- أنا افرح لما تقعد معايا وزعلان إني مش عارف افتكرك بس أكيد إنت مش هتزعل من جدك.

- لأ أنا مش زعلان، أنا اشتريت عربية اللي واقفة هناك دي، تعالى شوفها أصل أنا بقيت بكتب روايات والحمد لله الحالة المادية اتحسنت جدًا عن الأول.

- بإذن الله تحقق كل اللي تتمناه.

- بدور على موضوع جديد اكتب عنه قلت أكيد ريحة البحر هتلهمني.

- وإيه العقد اللي لفه على أيدك ده ؟

- ده ذكرى كان ليها في يوم من الأيام مفعول السحر بس مش عارف مبقاش يلهمني ليه أديني جبته للبحر يرويه.

- أنا ممكن أقولك على موضوع تكتب عنه وممكن يوصلك للعالمية كمان.

- يا ريت اقترح عليّ.

- اكتب عن انتصار.

- انتصار مين ؟

- حبيبتي.

- بس أنا معرفهاش.

- ما أنا هحكيلك عنها، وهبدأ معاك بصورتها اتفضل.

ناوله صورة بالأبيض والأسود.

- ما شاء الله ده إنت كنت روميو وإنت صغير، حبيبتك زي القمر.

- هات بقى ورقة وقلم واكتب اللي هقولك عليه، اكتب إن الحب مش ممكن يموت مهما حاولنا ننكره ونخبيه بيفضل موجود وبنرجعله لما بنبقي لوحدنا، أول ما نشوف البحر اللي قدامك ده نعرف إن احنا بنكدب وإن الحب مش ممكن يموت.

- أنا أخدت عهد على نفسي إني مش هكتب روايات رومانسية تاني.

- دي مش رواية رومانسية، دي حكاية واحد معرفش يبقى دكتور، حكاية راجل فضل يقاوم.

- مش عاوز اكتب عن الحب.

- انتصار كانت بتحبني، حبها ليا خهي أكمل دراستي اللي سبتها، واتخرجت من الجامعة وانتصرت على كل ظروفي الفاشلة اللي اتولدت فيها، أنا كنت خلاص هبقى وكيل نيابة، قوم يا وحيد اسمع الكلام وهات ورقة وقلم وأكتب ورايا.

قام وحيد وتوجه إلى سيارته وأحضر دفتر وقلم وأخذ يسمع بانتباه إلى الرجل الستيني الذي ظل يروي له حكايته على مدار ساعتين بين فرح وحزن وما أشبه حكايات العشاق بعضها ببعض، أنهى الرجل قصته وانتبه وحيد إلى أن الوقت قد داهمه فانطلق بسيارته إلى القاهرة وفي طريق العودة إلى منزله دخل إلى مول لشراء بعض الملابس لأطفاله، وفي أثناء تجوله في الدور الثاني وجد امرأة تحمل طفلًا وبعض الأكياس التي تخبر بانتهاء تسوقها فاقترب منها بحذر، كانت حنين مع ابنتها لشراء ملابس جديدة كادت أن تسقط أرضًا عندما وقع نظرها على وحيد الذي أخذ مكان قريب منها، كان يخشى أن يقترب لها فبادرته هي بالاقتراب :

- ازيك يا وحيد.

- دي بنتك ؟

- دي تسنيم إنت أول مرة تشوفها؟؟

- كبرت تسنيم..

- أخبارك إيه ؟

- مش كويس.

- ليه خير.

- بدور على هدية.

هربت حنين بعينيها من نظراته.

- في هنا محلات كتير أكيد هتلاقي اللي بتدور عليه.

- لأ خلاص بطلت أدور.

- أنا خلصت وهمشي.

- ممكن أنزل معاك أوصلك للعربية امسكي إنتِ تسنيم كويس وهاتي الشنط دي.. امسكيها كويس يا حنين إوعي تضيع منك... المول زحمة.

حاول وحيد أن يلمس يدها وهو يتناول منها الأكياس ولكنها قد جذبت يديها بحركه عفوية.

- العربية بتتصلح أنا هركب أي تاكسي ارجع إنت شوف كنت هتشتري إيه ومتشغلش بالك.

- لأ أنا ممكن ابقي ارجع أي وقت، عندك مانع إني أوصلك؟؟

- !!!

- هي اللي هناك دي الرمادي.

- مبروك اشتريت عربية.

- أه اتفضلي.

ركزت نظرها على ذلك العقد الذي أهدته له كان معلق على المرآة الداخلية للسيارة، فتح وحيد تابلوه السيارة وأخرج نسخة من روايته وناولها لها.

- الرواية اطبعت.

- عارفة وقرأتها.

- معقول، يا رب تكون عجبتك.

لم ترد.

- إيه وحشة؟! معجبتكيش ؟

- لأ.

- أكيد مش هتعجب كل الناس.

- إنت بوظتها بالتعديلات اللي عملتها.

- دي وجهة نظرك.

- أكيد.

- المرة الجاية أوعدك أخلي بالي.

- اتغيرت كتير يا وحيد.

- الرواية ؟

- لأ إنت.

- أكيد التجارب بتغير.. إنتِ النهارده مش إنتِ من سنة ولا هتفضلي إنتِ بعد سنة.

- بقى عندك كمية طاقات سلبية رهيبة!!!

- اشمعنى.

- كتاباتك، أفكارك....

- لأ بصي أنا مش عاوز أكون غشاش اتعودت أخسر بس أفضل صادق أو مكسبش بالكذب، الناس مش مستحمله عذاب مينفعش أنا أجي أقدمه على طبق من ذهب وأقولهم روحوا اتعذبوا وفي الأخر أكيد مش كل الرواية هتعجبك.

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

- أكيد.

- ممكن تفصلي نفسك عنها وبعدين تقرأيها بتجرد، مشكلتك إنك بتقرأي بين السطور وده يخصك لوحدك لكن أي حد غيرك مش هيشوف أي حاجة بين السطور.

- متستهونيش بقوة القارىء، الكلام طالع من واحد فاقد الأمل في كل حاجة حد يأس، واحد بيكره مشاعر الحب وبيحتقرها.

- أنا بكتب اللي أنا حاسه مش اللي الناس حساه أو عاوزه تحسه.

- اللي إنت حاسه دلوقتي مش صح إحساس محبط، إحساس منتقم من مشاعر الحب محتقر ليها، كأنك بتقول منحبش أحسن...

- علشان كده مكلمتنيش ولا اتصلتي تقوليلي مبروك حتى ؟

- عندي مشاكل كتير مع كمال الفترة اللي فاتت..

- ضاحكًا ومعاتبًا : ده أدعى إنك تكلميني.

- احنا وصلنا، نزلنا هنا.

نزلت حنين وعاد وحيد إلى بيته وهو يتذكر نظراتها التي كثيراً ما حرم منها تحدثه نفسه كم تبدو شاحبة كما التقيتها أول مرة وكم تغيرت إلى امرأة أطفئت داخلها بواعث المشاعر، كانت أقوى مما يتخيل مثل إمبراطورة شرسة لا تبحث إلا عن مكانتها في قلوب رعاياها، لم تترك له فرصة لأن ينفذ إلى روحها ولو لثواني، لم تنظر في عينيه طيلة الطريق انشغالها بتسنيم كان يبدو حقيقيًا وغير مصطنع.

*****

- إنت قولت أسبوع وهترجع، النهارده بقالك عشرين يوم وكل يوم تقول يومين وراجع.

- ظروف الشغل بتتغير، أكيد راجع مش هنقل محل إقامتي هنا.

- ابعتلي أجيلك أنا والأولاد ونبقى غيرنا جو.

- أنا في شغل ومش فاضي لما ارجع يا حنين.

- مع السلامة.

- أنا مشغول ياريت متتصليش إلا لما تبقي محتاجه حاجة مع السلامة.

أغلقت حنين الهاتف واتصلت على وحيد.

- أنا مش مصدق نفسي.

- أخبارك أيه؟؟

- الحمد لله في أحسن حال..

- أنا بطمن عليك..

- أنا مبسوط إني سمعت صوتك.

- احكيلى إيه الجديد في حياتك.

- الجديد كتير، اشتريت عربية... نشرت الرواية... طلعت في التليفزيون كذا مرة... صفحة الفيس بوك الخاصة بالرواية وصلت مليون معجب.

- فاكر لما قلتلك هتنجح وهتوصل إنك تحقق كل اللي حلمت بيه.

- وإيه رأيك شايفاني حققت كل اللي كنت بحلم بيه ؟

- حققت كتير منه..

- لأ لسه كتير ... تاج من غير جوهرة.

- أنا كنت بتجنب إني اتصل بيك علشان مش عاوزة نتكلم في اللي فات.

- أكيد بقى يضايقك، دايمًا بعد ما تعدي فترة ونشبع ونقيم اللي فات نلاقي حاجات كتير تضايقنا.

- نشبع؟! وأنا شبعت؟

- كنت قلقان عليك لكن لما شوفتك أخر مرة في المول اطمنت خالص، وعرفت إنك بخير.

- أنا اتغيرت يا وحيد، مبقتش عاوزة أحب أو أتحب أو أحس بأي مشاعر.

- بيعجبني سيطرتك على نفسك يا ريتني كنت زيك.

- أنا قلت هلاقيك اتجوزت.

- أنا اللي زيي ملهوش جواز، الحياة من غير ستات أحسن بكتير.

- ومن غير رجالة كمان..

- بس أنتِ ممكن تموتي من غير حب

- مفيش حد بيموت ناقص حب..

- هتفضلي تكلميني والا دي مرة وراحت لحالها ؟

- احنا أصدقاء قبل أي حاجة.

- عمري ما شوفتك صديقة، لكن اتعلم.

- كده أحسن لينا احنا الاتنين.

- اتكلمي عن نفسك لوحدك، متجمعيناش في جملة واحدة يا صديقتي.

- شوفت تسنيم كبرت ازاي.

- أه.

- هما الحاجة الوحيدة اللي بتخليني اقدر أكمل، لما ببص في عنيهم بضحي بسعادتي وقلبي وكل حاجة علشان مشفش في عنيهم يوم إني كسرتهم.

- ربنا يخليكم لبعض.

- أمين.

كانت الأيام تمر لا جديد فيها سوى نجاح وحيد ومشاكل حنين التي تزداد يومًا بعد يوم مع زوجها، لم تحمل الاتصالات بينهم مجرد الصداقة كما اتفقا ولكن كان لابد أن يختلسوا جملة من المشاعر كلما سنحت لهم الفرصة.

*****

بعد مرور سنتين

كانت تنساب كلمات وحيد على أوراقه لتخرج كل فترة رواية جديدة حتى نُشر له أربع روايات حققوا له من الشهرة والمال ما لم يكن يدور بباله، ووجد أن غياب فهد عنه لا داع له خصوصًا بعد أن صار منشغل أغلب الوقت مما أدي لقلة الاتصالات بينهم، احضر وحيد الورقة التي كان قد دون له فيها فهد كل ديونه وأرسل من قام بالسداد عنه، ثم حول له مبلغ مالي عبر إحدى شركات تحويل الأموال وبعدها هاتفه :

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ازيك يا وحيد عامل إيه ؟

- بخير يا حبيبي عاوز أقولك إن كل ديونك خلاص ادفعت وحولتلك مبلغ على حسابك حالًا، عاوزك تاخد كل الإجراءات وتنزل مصر بسرعة رواية الطريد اترشحت للقائمة القصيرة في البوكر، يا فهد لازم تبقى جنبي.

- ألف مبروك يا حبيبي طبعًا طبعًا هنزل مصر الأسبوع اللي جاي.

- لسه أسبوع ليه يا فهد ؟

- في حاجات هنا أخلصها وأسافر على طول .. خلاص يا حبيبي هنكون مع بعض وبإذن الله مش هنبعد تاني.

- حاول تنزل في أقرب وقت أنا مستنيك.

- حاضر.

- قولي يا فهد هو أنا ممكن فعلًا أفوز بالبوكر ؟

- ممكن جدًا، الرواية تحفة وعلى فكرة مسمعه هنا فوق ما تتخيل.

- إوعى تكون بتضحك عليّ.

- أنا مرايتك عمري ما هخدعك.

- طيب خد إجراءات السفر ومتتأخرش عليّ ... وحشني يا أخي.

- حاضر.

لم تمر عشرة أيام على هذه المكالمة حتى وصل فهد إلى أرض الوطن مودعًا كل أيام الغربة إلى غير رجعة يملأه الأمل وينبئه بمستقبل جديد مليء بالنجاح والسعادة، كان وحيد وسامي ينتظرانه في المطار وعلى بوابة الاستقبال خرج فهد وقد تغيرت ملامحه صار أنحف من ذي قبل، دقائق قليلة حتى دخل وحيد وفهد في عناق طويل تحدثوا فيه:

- كنت فاكر إن خلاص عمرنا ما هنتقابل تاني.

- كان لازم واحد فينا يحقق الحلم يا صاحبي.

- يااااه يا فهد إنت هنا في مصر ... أخيراً يا أخي!!

- أخيراً يا وحيد...

- هو أنا مش هسلم عليه أنا كمان؟ أنا ليا نصيب فيكوا إنتوا الاتنين.

التزم فهد عمه سامي وعانقه..

- مشتاق ليكوا قوي الاتصالات دي طلعت ملهاش أي لازمة فعلًا الحقيقة مختلفة.

- خسيت قوي يا فهد.

- كنت بعمل رجيم قاسي.

- وقف الرجيم بتاعك بقى عاوزك تاكل وتتغذى..

- بس إنت ما شاء الله عليك تخنت وربربت أهو.

- أه نزلت جيم وماشي على برنامج - ثم مازحًا - أنا مهم يا ابني دلوقتي والا علشان جيت استقبلك بنفسي !!

- أنا الوحيد اللي مهما كبرت هتفضل تستقبلني بنفسك.

- يا سلام على الثقة.

- بمناسبة رجوعي العظيم ده ناويين تغدونا إيه؟؟؟

- كل اللي نفسك فيه يلا تعالى نروح وبعدين نتكلم عن الأكل.

وصلوا جميعا إلى السيارة الحديثة زرقاء اللون التي كانت تركن بجراج المطار.

- إنت غيرت العربية والا إيه مقولتليش يعني ؟

- دي عربيتك إنت اركب والا نسيت السواقة ؟

تهلل وجه فهد وهو يتناول مفاتيح سيارته.

- اتفضلوا يا جماعة يعني كأنها عربيتكوا خدوا راحتكم على الآخر.

- دي أول مفاجئة.

- أموت أنا في المفاجأت، وجاهز للمفاجأة التانية.

- المفاجئة التانية إن مفيش أي مفاجأة تاني.

- طالما كده يبقى معلش يا وحيد يا اخويا متريحش قوي علشان العربية لسه جديدة.

- حاضر يا سيدي.

*****

أقام فهد مع وحيد في بيته بعد أن عاد سامي إلى بيت ألماظة مع زوجته ألفت، وعادت جلسات الصديقين الطويلة للحياة مرة أخرى بعد غياب طال حتى أوجعهم، كانوا يتدارسون فكرة إنشاء مشاريع يتولى إدارتها فهد، فبرغم أن الروايات قد أتت بثمار جيدة إلا أن وحيد كان يبحث عن نوع معين من الثراء، اقترح فهد إنشاء شركة للمقاولات وبعد أيام قليلة استخرجوا الأوراق اللازمة لإنشاء الشركة وبدأوا أولى خطواتهم في دنيا المال والأعمال.

- المسلم اسم مفهوم شركة المسلم للمقاولات الحديثة، ليه معنى لكن حنين فهد وحيد تطلع إيه دي ؟!

- تطلع حدوته مش عاوزها تموت

- الشركة عملناها علشان نكبر مش علشان نحكي حواديت، يعني يرضيك أبقى رئيس مجلس إدارة شركة - حنين فهد وحيد - إنت عاوز تضحك علينا الناس ؟

- خلاص مش إنت سمتها زي ما كنت عاوز اطلع من دماغي بقى....

- نظر إليه بابتسامه مشفقة : رغم إني مليش في الجو ده إلا إني بشفق عليك.

- أنا أستوردتك من الخارج مخصوص علشان كده.

- علشان أعطف عليك ؟

- أيوه يا فهد علشان أنا مش محتاج غير العطف أرجوك إوعى تعمل اي حاجة غير كده.

- ماهو إنت ابني يا وحيد برضه.

- عارف مجرد إني شايفك وأقدر ألاقيك وأقعد معاك أي وقت رجعلي جزء كبير من الأمان، أصل أنا فعلًا وأنا بودعك في المطار أول مرة كنت متأكد إني مش هشوفك تاني.

- بس أنا كنت عارف إننا هنتقابل وفي ظروف أحسن زي ما قولتلك، النهارده احنا معانا شركة بكرة هتبقى مجموعة شركات وهلما جر احنا قدامنا على المليون أد إيه ؟

- مش كتير، ابقى عدي بكرة أعمل كشف حساب، وعاوزك تظبط كل دفاتر الشركة دي يا فهد وانسى شغل زمان.

- مفيش زمان أنا هخلي المسلم مجموعة استثمارية كبيرة زي ما كنت بحلم سبني إنت وخليك في كتاباتك، أنا عاوز سنة واحدة وبعدين نتحاسب وأنا هبهرك.

- متنساش تفتح الحساب المشترك بكرة.

- طيب نجهز بقى علشان حفلة بالليل ؟

- ماشي.

- إنت عازم الواد اللي اسمه ياسر ده ؟

- أكيد هو ومراته هيشرفونا علشان أعرفك عليه، فهد خليك كويس معاه كفاية إنه كان بيصبرني وإنت في الغربة كنت بشكيله همي.

- حبيبك حبيبي حتى وأنا مش قادر أبلعه.

- إبلعه .. إبلعه.

- بلعته وهضمته كمان..

وفي المساء كان مقر الشركة يضج بأصدقائهم الذين جاءوا مهنئين وكان فهد قد أعد فيلم قصير عن أولى مشروعات الشركة.

- رائع ياض يا فهد عملته إمتى ده ؟

- مش قولتلك هبهرك أنا عطشان نجاح سبني بقى.

- ازيك يا ياسر أعرفك على صديق عمري اللي ياما حكتلك عنه.

- فهد ؟

- ازيك يا ياسر وحيد حكالي عنك كتير.

- أنا بقى حكالي تقريباً من أول ما عرفك لحد ما نزلت من السفر.

- الأول أعرفك على منى والعسولة رحمة.

- شبهك جدًا يا ياسر، تعالي يا حبيبتي.

- على فكرة ياسر مهندس شاطر وتقدر تستعين بيه.

- أكيد لو احتجته هكلمه.

- أنا تحت أمركم في أي وقت.

كان ياسر يكن أيضًا مشاعر سيئة تجاه فهد فلم يكن يدري أنه سيرجع يومًا ليحتل مكان قد هجره من زمن، وأكثر ما أثار حفيظته هو عدم اعتماد وحيد عليه في إدارة أي مشروع أو مشاركته كما فعل مع ذلك الفهد الذي يبدو من نظرات عينه أنه لن يترك مجال لأحد في حضوره، فقد كان فهد يستولي على كل أوقات وحيد وانتباهه بحيث لا يترك لأحد مساحة ولو ضيقة ليكون له حضور في حضرته.

شعور ياسر ببعد وحيد كان كثيراً ما يؤرقه فقد كان يسعده أن تستمر علاقتهما إلى نهاية العمر، وكثيراً ما كان يحاول أن يزرع نفسه بين هاتين النبتتين ولكن فهد كان أصلب من أن يترك هذا الزرع لينمو ويثمر، ووحيد في المنتصف يحمل في نفسه لياسر جميل لم يفعله ويحمل في قلبه لفهد حباً لم يفارقه فلم يكن ياسر أيقونة النجاح ولا نقطة التحول في حياة وحيد ولكن فهد وحده كان صانع المعجزات، وكأن الأقدار دائمًا تكافأنا بأسوء مما نتوقع .

*****

دخل وحيد بيته على عجل وملامح السعادة تملىء وجهه كان يبحث عن فهد الذي لم يزل نائمًا.

- قوم يا فهد اصحى قوم.

- في حد يصحي حد كده يا أخي ؟!!

- أيوه قوم - تناول وحيد كوب من الماء وألقاه في وجهه -

- يا أخي قلتلك متصحنيش بالطريقة دي.

- وحيد فاز بجائزة البووووكر.

- قام مفزوعًا : احلف!!

- يلا يا ابني معنديش وقت أنا مسافر أبو ظبي علشان اتكرم - في حركة استعراضية - والآن مع الكاتب العالمي صاحب الرواية الرائعة الطريد...

- الله أكبر.

قام فهد من السرير يلتزم صديق عمره.

- من نجاح لنجاح وعلى الإمارات رايحيين.

- مش عاوز مقابلات كله بمواعيد بعد كده وسامي كمان قوله ميزورناش إلا بميعاد سابق خلاص كان زمان.

- آه يا ابن سامي حتى الراجل الغلبان.

- هتنفذ والا أطردك.

- هنفذ طبعًا يا أفندم وهقوله كمان إن الخمس شهور الجايين مفيهمش ميعاد فاضي.

- يضحك وحيد : تصدق إني لسه مقولتلهوش حاجة، هات التليفون اتصل بيه.

جرس قصير...

- ازيك يا أبو وحيد ينفع اللي ابنك عامله ده ياخد البوكر كده؟

- فعلًا يا وحيد الحمد لله أنا كنت بدعيلك أنا وأمك ليل ونهار الحمد لله، تعالوا يلا نحتفل هنا ونفرح مع بعض.

- والله يا سامي مش عارف إذا كان في مواعيد فاضيه والا لأ اتفضل معاك مدير أعمالي اتفاهم معاه - وألقي السماعة لفهد -

- أيوه يا عم سامي مش هتقدر تقابله قبل خمس شهور.

- اقفل وتعالى حالًا بدل ما أجي اضربكوا إنتو الاتنين وأجيبكم من قفاكم.

- حاضر يا عم سامي اعتبرنا في السكة.

تناول فهد آلة حاسبة وراح يجمع ويطرح.

- هو الدولار بكام يا وحيد دلوقتي؟؟

- دولار أيه يا ابنى، سيبك من الفلوس بص للقيمة الأدبية بص إن الرواية هتترجم لأكتر من لغة.

- آه ما أنا باصص، قلتلي الدولار بقى بكام دلوقتي علشان أعرف أشوف القيمة الأدبية كويس- يحملق في الآلة الحاسبة ثم يلقيها خلفه - احنا عدينا المليون مستريح.

- اااااااااااايوه.

- فهد ساخرًا : وهنعمل إيه بالفلوس دي كلها ؟! أنا من بكرة هنزل أتبرع بنصهم لأبناء الشوارع.

- أنا طاير فمش هقدر أسمعك سامحني.

- يلا البس نروح لسامي..

- يلا، فهد أنا فرحان فرحان قوي.

- أنا من زمان مشفتكش فرحان كده، حتى يوم افتتاح الشركة محستش فرحتك زي النهارده.

- عاوز نشتري أفخم بدلتين علشان حفلة التكريم.

- أنا هشيكك سبلي إنت نفسك بس.

- كان نفسي أبويا يسافر معايا.

وفي الطريق إلى ألماظة.

- قلت لحنين والا لسه ؟

- لسه..

- مش ناوي تقولها ؟

- لما هي تتصل بيا أكيد هقولها..

- عاوز أقولك على حاجة من غير زعل..

- قول.

- شقة في مصر الجديدة هتكلفنا كتير قوي وبنفس الثمن ممكن نشتري شقة أكبر وفي مكان راقي برضه.

- بس حنين ساكنة في مصر الجديدة.

- ربنا يهنيها هي وجوزها وعيالها .... تلاقيهم هايصيين..

- مليش مزاج اتخانق معاك.

- على فكرة الجائزة دي رسالة سماوية مفادها (يا وحيد احترم نفسك ربنا بيساعدك بلاش إنت تخيب نفسك)

- حاضر هدوس على الزرار اللي في قلبي وأقوله بلاش تخيب نفسك وهنساها.

- إنت بتحاول تقرب منها وده غلط، عمرك ما هتنسى، لازم تبعد عن أي حاجة تفكرك بيها، أي شارع مشيتوا فيه أي مكان ممكن تقابلها فيه حتى ولو صدفة.

- يبقى هعيش مسجون في البيت، أنا بفتكرها أول ما افتح عنيا، أصلها علمتني عادة زمان إني أصحى من النوم علشان أشوفها وسابتني هي وفضلت معايا العادة دي، وبعدين أبعد عن أي حاجة تفكرني بيها يبقى مسافرش وأبطل كتابة.

- هو إنت فاكر إن صورتها اللي على مكتبك دي هي اللي بتلهمك؟ لأ أبدًا إنت اللي مهيأ لنفسك كده، أنا مستني الشركة تستقر وهاخدك ونسافر كام سفرية كده وهعرفك إن الإلهام عمره ما كان منحصر في واحدة ست.

- علاقتي بيها معقدة وصعبة إوعى تفتكر إن سهل على أي راجل إنه يحب حنين، حنين دي برق ورعد وخوف، إنت فاكر إني معرفش كل العيوب اللي إنت شايفها ؟! أو إني قابل بيها حتى؟ يا فهد هو إنت فاكر إن في حاجة في الدنيا دي بتعدي كده من غير عقاب.

- أكيد لأ.

- يبقى سبني أتعاقب، سيب الأيام تاخد حقها مني، هات الدوا اللي أشربه وانساها، وبعدين مش إنت مدير أعمالي اسأل على عملية تمحي الذكريات من القلب، خليهم يفرجونا على الشاشة المشاعر ونقولهم احذفوا دي وسيبوا دي.

- وأخرتها؟؟!!

- هاخدها يا فهد..

- هي مش عاوزه..

- بس أنا عايز...

- اعقل بقى الله يكرمك..

- أنا بقى لازم أفرقع قلبها الصغير ده، أنا واثق في قلبها يمكن أكتر ما أنا بثق فيك، هحبها أكتر من أي وقت فات وهفضل أحبها لحد ما قلبها يفرقع غير كده معنديش.

- اللي بيحب بيضحي وهي خلاص اختارت حياتها وعاوزه تعيش في سلام مع جوزها وعيالها وإنت تفضل صديق حنون تسأل عليك كل فترة، إنت كمان ممكن تحتفظ بيها كصديقة وتحول مشاعرك للصداقة وبس.

- المشاعر مبتتحولش الحب مش ممكن يبقى صداقة، الحب يا إما يوصل القمة يا إما تنكسر رقبته.

- قال متخابثًا : ما هي قدرت تحول مشاعر الحب لصداقة.

- نظر إليه بتأمل : هي محبتنيش أصلًا يا فهد.

- أنا شايف إننا نتكلم في الشغل أحسن، شركاتنا خدت مناقصة بالشراكة مع شركة الطوق الذهبي للإنشاءات والناس دي هنعمل معاهم أحلى شغل..

- واثق إنك هتوصلنا للسحاب يا صديقي..

*****

- من أول لحظة شوفته فيها على الكافيه اتشديت ناحيته مكنتش أعرف إننا هنبقى قريبين كده.

- مش أنا قلتلك إن وحيد بيحبك.

- أنا عمري ما هنسى مساعدته ليا، لما طلع الشيك من جيبه قلبي كان هيقف.

- يا حبيبي قلتلك إن كل أحلامنا هتتحقق ومكتب الاستشارات الهندسية نقدر نفتحه من بكرة.

- تعالي يا رحمة حبيبة بابا.

- هو هيسافر إمتى الإمارات ؟

- بعد يومين، على فكرة أنا مش زعلان إنه هيروح هو وفهد.

- كنت عاوز إنت اللي تبقى معاه في اللحظة دي ؟

- وحيد مش بتاع حد يا منى، وحيد طول عمره وحيد، الجزء المظلم اللي في حياته واللي بيفتح جزء منه لفهد هيفضل فيه حتة بتاعة وحيد بس محدش هيوصلها وكل الناس في حياته عبارة عن محطات بيوقف في كل محطة شوية.

- بس علاقته بفهد مختلفة.

- على أي حال احنا عاوزين أيه غير إن ربنا يوفقه ويوفقنا احنا كمان في مشروعنا.

- شركة المقاولات دي هتنفعنا في شغلنا، قرب لفهد متبعدش عنه.

- هو مش عاوز.

*****

- كان المفروض إنك تبقي معايا وأنا بستلم الجائزة يا حنين.

- ياريت كان ينفع أسافر، نفسي أشوفك وإنت واقف وكل الناس حواليك.

- هو احنا متجوزناش ليه يا حنين؟؟!!

- أكيد نصيب..

- كنت دايمًا بشوف اللحظة دي بس وإنتِ في حضني ، واحنا مسافرين مع بعض.

- ما أنت معاك حبيبك برضه والا مش كفاية ؟

- إنتِ أيه رأيك ؟

- لسه بتحبني يا وحيد زي الأول ؟

- يهمك في أيه ؟ المهم إننا بنتكلم وبتعرفي أخباري.

- ليه مش عاوز تجاوب.

- زي ما أنتِ مش عاوزانا نتقابل، إنتِ ازاي قاسية كده، ازاي مبصعبش عليكِ، أنا أقل واحد استمتع بيكِ.

- أنا قاسية يا وحيد ؟

- لأ إنتِ قاسية معايا أنا بس أو يمكن أنا اللي ضعيف معاكِ زيادة عن اللزوم.

- إنت عمرك ما كنت ضعيف بالعكس إنت أقوى راجل شوفته في حياتي وكفاية بقى جلد الذات اللي بتحب تعمله ده....

- بالعكس أنا أضعف راجل قابلتيه في حياتك، حنين إنتِ حبتيني فعلًا ؟

- لو احساسي موصلش يبقى الكلام مش هيوصل.

- أوقات كتير بتمنى لو مكنتش قابلتك، كنت عايش وساكت ومتنيل الله يسامحك.

- أنا بحمد ربنا إني قابلتك.

- إنتِ كنتِ محتاجه ترضي غرورك لكن أنا وضعي مختلف، أنا كنت غرقان وعلى وشك الموت وإنتِ كنتِ قبلة الحياة، علشان تموتيني بعدها بطريقتك، أد أيه إنتِ أنانية.

- أنا عارفة إني كنت أنانية معاك لكن صدقني غصب عني، لما بحلم بقول يا ريتني قابلتك قبل ما أتجوز وأخلف.

- وأنا لما بحلم بقول يا ريتني ما قابلتك أبدًا.

- للدرجة دي مبقتش عاوزني في حياتك ؟!

- من يوم ما عرفتك وأنا مش عاوزك في حياتي بالطريقة دي، لكن إنتِ قفلتِ كل الطرق إلا الطريق ده، شخصية ذئبية بتعيش على ألامي.

- بقيت بشعة قوي كده في نظرك.

- أنا النهارده أقدر أشتري شقة في مصر الجديدة أيه رأيك أنفع ؟

- وحيد ال..

- وأقدر كمان أعملك فرح كبير وأشتريلك فستان من باريس، أصل أنا بقيت غني.

- مش الفلوس افهم.

- كل حاجة يا حنين .... صح ... فاكرة؟

- لما قلتلك كل حاجة كنت أقصد ..

- مش مهم كنتِ تقصدي أيه المهم إن إنتِ دلوقتي مش معايا، المهم إني مش فرحان والأهم إني خلاص نسيت كل الحاجات دي.

- نسيتني ؟

- نسيت إني لما عرضت نفسي عليك بقرش محاولتيش تشتري، كان عندك حق ساعتها مكنتش استحق لكن النهارده بعد العربية والبدلة بيتهيألي أساوي، بس مش عارف ليه مش عاوز أبيع.

- أكيد في يوم هتفهم و هتزعل من نفسك على الكلام اللي إنت بتقولهولي ده.

- مش قادر أزعل تاني يا حنين خلاص كفاية، أنا بجهز اللي هقوله في حفلة التكريم لما تبقي فاضية ابقي ابحثي عنها واقرأيها هقولك فيها كلام مهم.

- لما ابقى فاضية!! على فكرة مفيش كلمة إنت كتبتها في رواية أو جريدة أو قلتها في برنامج إلا لما سمعتها.

- فيك الخير والله يا حنين.

*****

ولأن مأساتنا تكمن في السطور الأخيرة

تقرر حفل التكريم في السابع من يونيو، وعلى متن الطائرة المسافرة إلى أبو ظبي كان الصديقان - بملابسهم الفخمة- يتمازحان قبل أن تغادر الطائرة أرض المطار أخرج وحيد هاتفه ليجري أخر اتصال مسموح به.

- حنين سامحيني كان لازم أكلمك.

- صوتها نائم: حبيبي أنا كنت هكلمك دلوقتي حالًا.

- كان لازم اسمع صوتك قبل ما أسافر كنت محتاج أحس إن روحك حواليا.

- اتصل بيا في أي وقت كمال سافر امبارح إسكندرية وهيرجع بعد خمس أيام، إنت طيارتك إمتى؟؟

- أنا في الطيارة ودقايق وهبقى في السما، ولأول مرة هشوفك فوق السحاب بعيد عن الأرض، خيالك مفارقنيش لحظة من امبارح، حنين أنا بحبك وعمري ما شوفتك بشعة، الفرخة لما بتدبح بتفرفر... سبيني أفرفر يا حنين.

- هتكلمني وإنت بتستلم الجائزة.

- بس يا رب تكوني صاحية.

- أنا مش نايمة أنا فايقة.

- مع السلامة يا ملهمتي الوحيدة ... لازم أقفل.

- خلي بالك من نفسك.

- مع السلامة يا حبيبة وحيد.

أغلق وحيد الهاتف وانطلقت بهم طائرة الأمل وظلت ترتفع حتى بلغت السماء العالية تحمل على ظهرها قليلًا من الركاب وكثير جدًا من الأمنيات والأحلام، استرخى برأسه وأخذ يقلب ذكريات حياته منذ اللقاء الأول له مع حنين وحتى اللحظة التي أغلق فيها الهاتف، كان يرى مشاهد من الذاكرة لم يعشها قط كان يراها تتباطىء، ذراعه وهم يتجولون في مول لشراء حاجيات المنزل ومعهم طفل صغير كان نتاج زيجة لم تحدث، يرى نفسه وهو يداعبها في مطبخها حين كانت تعد له العشاء الذي لم يتناوله، يراها وهي تتأمله حين يجلس ليكتب رواياته، تزاحمت في رأسه الذكريات التي أرادها بحيث لم تترك مكان لتلك الذكريات الحقيقية إلا حوار مختصر دار بينهم يومًا :

- ليه يا حنين؟ ليه بتسبيني النهارده؟ علشان مش هعرف أجيبلك شقة في مصر الجديدة ؟ والا علشان أنا موظف فقير؟ ليه يا حنين ؟

- علشان كل حاجة.

انتبه من غفلته على صوت فهد.

- كده احنا فوق السحاب، نفسي افتح الشباك ده وامسك السحابة الي هناك دي..

- لو مسكتها مش هتعجبك، زي أي حاجة بنقرب منها ونشوف حقيقتها، شايف السحابة الجميلة دي لو اتفتح الجزء الشفاف الفاصل بينا وبينها هتلاقيها شوية أبخرة وممكن كمان يكونوا طالعين من مطبخ.

- بعد كده لازم كل شهرين تلاتة نسافر نتفسح في بلد شكل.

- همتك إنت في الشركة وهنسافر كل شهر.

- الحمد لله والشكر لله شركتنا بدأت في تنفيذ أول مناقصة وبإذن الله مش هنلاحق على الشغل، أنا ماشي بحكمة في الموضوع ده (ابدأ مع الناس الكبيرة تكبر بسرعة).

- شكلك مبسوط من شركة الطوق الذهبي دي.

- جدًا أنا روحت واتعرفت على ممدوح رئيس مجلس الإدارة هناك و هيبقى في تعاون كبير بينا، هما عندهم شوية مشاكل في الضرايب، وده اللي هيوصلنا بسرعة الصاروخ.

- ازاي بقى؟؟؟

- هيساعدونا وهناخد منهم شغل من الباطن ونفع واستنفع...

- إنت اتخلقت علشان تبقى رجل أعمال يا ابنى، بس أيه النشاط والهمة دي؟؟

- احنا هننجح وهكسر الشباك اللي جنبي ده وهمسك شوية الأبخرة بتاعة المطبخ دي وهحبسها في إزازة نحطها على المكتب جنب صورة حنين لحد ما ربنا يأذن بقى ونشيل صورة حنين ونسيب الإزازة لوحدها.

- حنين تكسب.

- بس الكرافتة هتاكل منك حتة، مين العبقري اللي نقهالك؟!!

- لقيتها في الشارع كانت مرمية كده قولت البسها... من تواضع لله رفعه.

- معذور ما أنت متعرفش تمنها.

- يلا نام وأشوفك في أبو ظبي.

- مفيش نوم دي أول مرة نركب السحابة مع بعض، استمتع.... استمتع...

- بعت فلوس لمراتك ؟

- اسمها اللي كانت مراتك إنت لسه مش مقتنع إني طلقتها ؟!!

- يا أخي بنسى المهم بعتلها يعني؟؟

- أكيد.

- ظلمناهم احنا معانا من غير ذنب.

- ما احنا اتظلمنا كمان معاهم.

- سبحان الله أنانيتك نسخة من أنانية حنين يمكن علشان كده بحبكوا إنتوا الاتنين؟

- أه ما أنت غاوي مرمطة، أنانية أيه يا عم، اتجوزنا محصلش توفيق نموت يعني؟ طلقنا وأدينا كل واحدة حقها وزيادة فين المشكلة ؟!

- المشكلة في القلوب اللي دوسنا عليها في السكة، أم طاهر عمرها ما أساءت ليا أبدًا كانت مشكلتها في الدنيا إنها طيبة وغلبانة.

- بسيطة ممكن أول ما نرجع أجيبهالك تردها.

- إنت عارف إن فهد ده اسم حيوان ؟

- أه عارف ملك الغابة.

- هو بقى ملك الغابة خلاص؟!

- لأ هو طول عمره ملك الغابة...

- يا ملك الغابة مش لازم أردها علشان أقول إني جنيت عليها، أنا كسرت قلبها وبرده يبقى الوضع على ما هو عليه هي في حالها وأنا في حالي.

- ضاحكًا: يعني الوجه التاني للعملة يعني إنت ليك مزاج تأنب نفسك... طيب أنب يا حبيبي، بس زي ما أنت جوزتنا أول مرة أنا الدور عليّ المرة دي بس في الوقت الصح.

- اتجوز لوحدك أنا خلاص مش هتجوز تاني..

- سمعت أنا الكلام ده قبل ما تطلق مراتك وبعدين جت حنين وحلت العقدة وبقيت عاوز تتجوز وهكذا يا عزيزي احنا منعرفش نعيش من غير المزز.

- ضاحكًا : طيب شايف المزه اللي هناك دي قوم كلمها واطلبلي إيديها.

- أنا قلت في الوقت المناسب يا بصباص.

وصلت الطائرة إلى مطار أبو ظبي الدولي وانتقلوا سريعًا إلى الفندق حتى يوم إقامة الحفلة كان الجو مليء بالبهجة، وفهد يتابع عن كثب كل يوم أخبار المشروع ووحيد منشغل بكتابة كلمته التي سيلقيها حين يتسلم الجائزة، لم تنقطع مكالماته مع حنين وسامي ينقل لهم كل ما يراه في هذه المدينة الرائعة التي يزورها للمرة الأولى، وصلت لهم باقة من الزهور مهداه من أحد الأمراء الذى طلب مقابلة وحيد لتناول العشاء سويًا.

في جناح الأمير الملكي...

- اتفضل يا أستاذ وحيد والله شرفتني بالزيارة أنا أتابعك من روايتك الثانية ولكني اقتنيت بعد ذلك كل رواياتك.

- ده شرف ليا إن حضرتك تهتم برواياتي.

- إنت تكتب شيء أنا بدي أقوله كأنك تنطق بلساني.

- النفس البشرية متشابهة في أغلب حالاتها، وأنا بكتب عن حالات كلنا مرينا بيها الحب والفراق، الطموح وأحاسيس الفشل والنجاح وأنا بحترم عقلية القارىء جدًا لذلك باخد وقت كبير في الكتابة.

- لكن أشعر إن إنتاجك إلى حد ما كبير إنت نُشر لك يمكن أربع روايات حتى الآن...

- الحمد لله، ده هي متفرغ للكتابة استقلت بعد الرواية الأولى واتفرغت للكتابة.

- أنا أحب أعمل بيزنس معك..

عندها انتبه فهد أكثر إلى الحوار.

- يشرفني إني أتعامل مع سموك، لكن أنا مرتبط بدار نشر مقدرش أنشر مع أي مكان تاني هو ارتباط أدبي أكتر منه مادي.

- أنا أريدك في شيء أخر يا أخي ما أقصد أنشر لك، لكن الأول اتركني أعطيك هذا الشيك تعبيراً عن تقديري لموهبتك، وهذا الشيك الأخر مقدمة للعمل اللي يكون بينا.

تناول وحيد الشيكات ونظر فيها بطرف عينه كان المبلغ المدون أصفاره كثيرة بحيث لم يستطع وحيد أن يقرأه بعناية فناوله لفهد الذي راح يحملق فيه بذهول.

- أنا عاوزك تكتب قصة حياتي وتنشرها باسمك كالمعتاد وتنوه في أولها إنها قصه حقيقية وإن كتب الله لها النجاح سوف أرتب لك لقاء في محطة تليفزيونية كبيرة وهناك تعلن إنها قصة حياتي، أما إن لم يقدر الله لها النجاح فيظل الأمر سرًا بيني وبينك وبين أخوك هذا.

نظر وحيد إلى فهد كأنه يستشيره فحسم فهد نظراته بالموافقة.

- قال فهد: طبعًا يا سمو الأمير ده شرف كبير لينا إننا نتعاون مع جلالتك، لكن لازم تكون عارف إن في جزء بيكون من خيال الكاتب علشان يقدر يرتب الرواية بشكل روائي معين.

- أنا ماعندي مانع لأي شيء تطلبه أجهزلك جناح هنا تقيم فيه حتى تنهي عملك إذا تحب.

- لأ أنا أحب أكون زي العصفورة كل لحظة على شجرة، أنا طبعًا هحتاج نقعد مع بعض وقت كبير وإنت هتحكيلي القصة على مرحلتين الأول بشكل عناوين مختصرة والمرحلة التانية هتكون التفاصيل فيها أكتر وأنا انتخب منها الأفضل.

- ما بدي أكأب الناس لكن في الوقت نفسه أنا بدي أعرض حياتي أنا مو حياة والسلام.

- طبعًا.

- إذن اتفقنا ليك ثلاث شيكات أخرى بنفس المبلغ تحصلهم على دفعات وهذا يرتبط بموافقتي فقط على نشر العمل وغير مرتبط بنجاحه.

- يبقى اتفقنا.

- متى بإذن الله الحفل ؟

- بعد يومين إن شاء الله، سموك هتكون هناك ؟

- طبعًا أنا أعشق الفن والفنانين.

- يشرفنا إننا نشوفك هناك، أنا هسافر بعد الحفلة بيومين نقدر نرتب موعد ونحدد المواعيد بإذن الله ونبدأ.

- أنا متفائل بيك وأتنبىء لك بمستقبل باهر.

- اللهم أمين.

وبعد تناول العشاء الذي لم يخلو من المناقشات الأدبية والحديث عن المال والأعمال قام الصديقان وغادرا جناح الأمير، وفى غرفتهما...

- طبعًا إنت متعرفش الشيك بكام؟؟

- أنا شوفت شوية أصفار كتير كده فقلت أديك إنت تترجم..

- اتفضل بص...

حملق وحيد في الشيكات مندهشًا من ضخامة المبلغ.

- سبحان الله يا أخي فعلًا الدنيا مبتديش محتاج، ربع مبلغ الشيك ده من خمس سنين يا فهد مكنتش إنت سافرت وكنت اتجوزت حنين وكانت حياتنا اتغيرت..

- أنا قلتلك إن المعضلة في أول مليون وبعد كده غمض عينيك واستمتع، فالسماء الآن تمطر الذهب والفضة.

- وناوي تعمل إيه بالمبلغ ده يا أستاذ فهد.

- طبعًا هصرفه وهنكبر الشركة فورًا.

- طيب الشيك التاني بتاع الرواية متصرفهوش سيبه لحد ما نسلمها إنت عارف أنا مبحبش المفاجأت.

- حاضر دي حاجة منطقية جدًا، بس خد بالك إنك هتحتاج تلازم الأمير ده شوية.

- أكيد بس يعنى أيه ؟ هو إنت مش هتبقى معايا ؟

- ممكن مبقاش معاك هو هيحتاج تبقى جنبه، يبقى أنا هسافر أشوف مشروعنا وارجعلك كل فترة.

- إوعى تقول كده، إوعى تقولي إن احنا معانا فلوس أو معناش مبتعرفش الدنيا تجمعنا، احنا كنا بنشتغل ليه مش علشان نستقر و نفضل مع بعض والا علشان إنت تروح تشوف المشاريع وأنا أشوف الروايات في حتة تانية ؟

- احنا لسه بنكون نفسنا فلازم..

- لأ مش لازم وبعدين فتح عنيك- خطف منه الشيك الذي كان لا يزال في يده- بص اقرأ شايف الرقم؟؟؟ أيه عاوز أيه تاني؟؟

- اهدى..

- أنا هرفض الرواية وهروح أرجع الشيكات دي.

- يا أخي استنى بقى وسبنا نفكر تفكير سليم ، مفيش شيكات هترجع ومش هنفترق أبدًا، من مطار القاهرة لأبو ظبي تقريباً ثلاث ساعات طيران يبقى أنا أفضل هنا أربع أيام وأسافر الباقي.

- ولا لحظة يا فهد خلاص انسى.

- على فكرة أنا اللي مدير الأعمال مش إنت يعني أنا اللي أقول وأنا اللي أخد القرار.

- لكن أنا تعبت خلاص مش كل ما أقرب من حاجة ابعد تاني، عاوز اتمتع بالدنيا بقى وإنت عارف إني مبعرفش أعيش لوحدي.

- يبقى أول خطوة أنقلك سامي وألفت هنا.

- هو إنت فاهم إني هسيبهم هناك لو استقريت هنا فترة، أكيد هنقلهم هنا الفترة دي.

- مش هتحس إني بعيد عنك تليفونات وكل شوية طيارة وأجيلك المسألة سهلة على الأخر مادام في فلوس يبقى متقلقش أنا هحل أي مشكلة.

- اللي تشوفه إنت أصلًا مش متحمس.

- متحمس إن احنا نكبر، لو إنت حسبتها هتلاقي إن احنا الدنيا جتلنا على غفلة لازم نتعب شوية كمان علشان بعدها منتعبش تاني نستريح وبس.

- طيب تعالى أسمعك بقى هقول أيه في الحفلة.

*****

في الهاتف

- عندي شوية مشاكل في الشغل المحاسبين تعبني جدًا.

- علشان أنا مش راضية عنك وزعلانة منك علشان مش بتهتم بيا، جرب كده تدلعني وإنت تلاقي كل أمورك بقت كويسة.

- أنا فعلًا محتاج أجازة الفترة الجاية لأن أعصابي خلاص مش مستحمله وبزعق كتير وده في شغلنا مش مطلوب.

- يعني احلم بسفرية قريب ؟

- مش حلم احنا هنسافر فعلًا أول ما ارجع نقضي عشر أيام على البحر وأفضالك.

- ربنا يخليك لينا يا حبيبي.

- ويخليكم ليا، كل ده علشان تعيشوا مستريحين.

- إنت خلاص وعدتني.

- وعد، سبيني بقى أخلص شغلي علشان ارجعلك بسرعة.

- مع السلامة يا حبيبي.

أغلقت الهاتف وبعد دقائق قليلة جاءها اتصال من وحيد.

- حبيبتي وحشتيني.

- إنت وحشتني أكتر يا حبيبي.

- تليفونك كان مشغول مع مين ؟

- كمال كان بيقولي إنه هيرجع ياخدنا ونسافر تاني عنده شغل الفترة الجاية.

- لما تسافري معاه حاولي تستمتعي بوقتك.

- أنا خلاص مبقتش زي الأول بقى عندي حالة كده من الزهد يعني كل حاجة زي بعضها مبقتش تفرق.

- محتاجه أجي أخطفك في مركب على النيل بس المرة دي أبقى أنا وإنتِ لوحدينا نوزع المراكبي وأسوق أنا.

- يا ريت يا حبيبي أنا كنت لسه بفتكر اليوم ده من قريب كل أيامنا كانت حلوة قوي يا وحيد.

- عارفة لما بفتكرها بشوف لون وطعم وريحة.

- ازاي احكيلي وحشني كلامك عننا.

- دايمًا بشوفك باللون الروز وطعم الشيكولاتة وريحة الياسمين.

- الشيكولاتة من إيديك طعمها مختلف شيكولاتة بطعم الاهتمام.

- إنتِ أصلًا حتة شيكولاتة بيضا.

- إنت بتحبني ليه قوي كده ؟

- صالحت نفسي بيكِ كنت نسيتها ورجعت عرفتها، أنا كنت خلاص بصالح الدنيا كلها بيكِ كان ناقص خطوة واحدة وارضى عنها.

- بس إنت الحزن والآلام هي الي صنعتك فعلًا.

- أمّال حبك عمل أيه ؟

- إنت الراجل الوحيد اللي بحس معاه أد أيه أنا ست حلوة.

- علشان أنا الراجل الوحيد اللي بيعرف يدوق كل تفاصيلك.

- جسمي اقشعر.

- عاوزاني أجيبلك أيه معايا من الإمارات.

- هات وحيد حبيبي وتعالى.

- لأ أنا هشتريلك هدية شوفتها امبارح وحسيت إنها مناسبة جدًا.

- أيه هي ؟

- مفاجأة.

- حتى لما ببقى عارفة هتجيب أيه وهتعمل أيه برضه بتفاجىء.

- مش هقول برده متحاوليش.

- هو أنت ليه باباك سماك وحيد ؟

- فراسة يُحسد عليها، لكن إنتِ ليه اسمك حنين ؟

- علشان حنينة.

- اسمك وجع، في فرق بين الحنين والحنية، الحنين ده اللي بيخلينا نهرب من الناس ونقعد لوحدنا علشان نراضي ناس فارقونا من سنين ويمكن مبقوش فاكرنا كمان، عارفة.. أنا تقريباً بتأسفلك كل يوم.

- ليه يا حبيبي.

- مرة علشان اتأخرت عليكِ ومرة علشان قابلتك.

- بزعل لما بحس إن لقانا بقى حاجة بتوجعك.

- اللقا اللي مرتبط بالفراق لازم يوجع يا حنين، أصلي بحبك.

- هو إنت ناوي تتجوز يعني وتعيش حياتك وكده.

- متخافيش يا أنانية مش ناوي.

- بطل بقى كلمة أنانية دي.

- ضاحكًا: بتزعلك صح، بتحسسك أد أيه إنتِ مجرمة، أنا بقى هجيب هدية تليق بحبيبتي المجرمة.

- مش عاوزة.

- مش بمزاجك أنا أهاديكي زي ما أنا عاوز.

- بس أنا فعلًا مش هعرف أقابلك خالص.

- بس أنا بثق في الصدفة جدًا من يوم ما عرفتك صدفة، هقابلك تاني صدفة وهتكون معايا الهدية وهتشوفيها، خيالي أنا قوي صح ؟

- وأنا بموت في خيالك.

- وأنا بموت فيكِ.

في المساء ذهب وحيد ومعه صديقة لشراء الهدية التي وعد بها حبيبته وكم استغرب فهد حين تناول وحيد خنجراً ذهبي ذو مقبض مرصع بفصوص كريستالية وأخرج فيزا بنكية.

- يلا علشان نحاسب ونمشي.

- نحاسب أيه إنت هتشتريلها خنجر بجد؟!!

- وهي حنين ينفع أهاديها بحاجة غير خنجر، المفروض إني مكنتش اشتريه كان يكفي إني أطلب منك تشيله من قلبي وأحطه في علبه شيك وأديهولها، لكن الخنجر مزروع في قلبي من كام سنة محبش أشوف على إيديها دمي وأحب الخنجر يفضل جوايا بغرسة إيديها، أخر الذكريات بقى.

- سيب يا ابني الخنجر ده ربنا يهديك بعدين السلاح يطول، أنا بتشائم جدًا من أي نوع سلاح، بص الخاتم ده حاجة شياكة وروعة وواضح إنه غالي وأنا واثق إنه هيعجبها قوي أكتر من الخنجر.

- أنا مش عاوز الهدية تعجبها، أنا عاوز مراية تتفرج فيها على هديتها الأخيرة اللي غرستها في قلبي أمانة من كام سنة.

فتح فهد الخنجر الذهبي من جرابه وكان للمعة نصله رهبة.

- ده مسنون كمان، فعلًا خنجر يليق بسفاحة.

- الخنجر الذهب لا يُقتل بيه إلا عظيم.

- ليه دايمًا العظماء لازم يموتوا.

- علشان يتولد للدنيا عظيم جديد الدنيا متستحملش إلا عدد محدود من العظماء على أرضها، خلاص بعد زمن الصحابة الأرض مبقتش تعرف يكون على ضهرها إلا عدد محدود من العظماء.

- بس إنت مش عظيم يا وحيد.

- لكن إنت عظيم يا فهد.

- ليه ؟!

- علشان إنت اللي هتروح تحاسب على الخنجر ده يلا اتوكل على الله.

- انفجر ضاحكًا: أدينا بنحوش معاها بس عرفها إننا ممكن نميل عليها في يوم ونقولها مزنوقين في الخنجر بتاعنا ونجبلها واحد مكانه خشب، ومتقلقش أكيد هي هتعرف تتعامل بيه..

- مش قلقان خالص أنا واثق إن حبيبتي سفاحة...

*****

القاعة تضج بالمدعوين والكاميرات، المكان كله يبدو كقطعة ساحرة من الأضواء الباهرة والكريستالات كل شيء يبدو جديدًا، دخل وحيد وصاحبه وجلسوا في المقاعد الأولى على مقربة من سمو الأمير، وعبر السماعة اللاسلكية اتصل وحيد على سامي :

- حبيبي أنا دقايق وهستلم الجائزة، دي أقل هدية أقدمها ليك يا صاحبي الوفي وأخويا الكبير وأبويا وحبيبي.

- باكيًا: ربنا يوفقك يا حبيب عمري، أنا استاهل كل ده؟!

- يا ريت ألاقي هدية توفيك حقك، لكن أنا بديك اللي أقدر عليه.

- ربنا يخليك ويحفظك لأبوك وأهلك وكل حبايبك، يلا اقفل وركز عاوزك واثق من نفسك.

- حاضر.

أنهى المكالمة ثم أعاد الاتصال بحبيبته.

- حبيبتي أنا خايف.

- دي اللحظة اللي حلمنا بيها في المركب يا وحيد فاكر... صدقت كلامي... إنت بتمسك السحاب دلوقتي يا وحيد.

- كان نفسي إيدك تبقى في إيدي، وأبص لعنيكِ وأنا بتكلم، وانسى كل الناس الكتير دول وأكلمك لوحدك قدام كل الدنيا، أنا أصلي بحبك قوي.

- أنا معاك في كل لحظة أرواحنا عمرها ما افترقت أبدًا، أنا معاك حس بروحي حواليك.

- أنا شايف المركب يا حنين... شايفك... شايف عيونك.

- هتفضل معايا على التليفون لحد ما ينادوا على اسمك، وحيد أنا شايفاك الكاميرا عليك دلوقتي.

- فعلًا؟ إوعي تتكلمي وأنا بستلم الجائزة لحسن اتلغبط.

- لأ متخافش وبعدين أيه الشياكة دي يا عم إوعى البنات تعاكسك.

يسرني باسم زملائي في لجنة التحكيم أن أعلن عن القرار الذي توصلت إليه اللجنة بالتوافق عن الرواية الفائزة بجائزة الرواية العربية العالمية لهذا العام الرواية هي - الطريد - للكاتب الروائي والمبدع المصري وحيد سامي فليتفضل، قام وحيد على عجل ليحيي الحاضرين، ثم اعتلى مسرح التكريم ليستلم الجائزة ثم اتجه ليلقي كلمة.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أولًا أشكر لجنة التحكيم وأشكر الهيئة المنظمة للجائزة وأشكر السادة الحضور وأقول أن هذه الجائزة وسام شرف يتشوق إليه قلم كل روائي و ....

بدأ وحيد متلعثمًا يضع يده على وجهه بشكل لا يخبر بالخير.

- صوت حنين مفزوعًا : حبيبي مالك؟؟

عمت القاعة ضجة قبل أن يصعد فهد لينزل صديقه الذي استند عليه واتخذوا طريقهم إلى خارج القاعة لِينقل بعد ذلك عبر سيارة الإسعاف إلى المستشفى التي قررت حجزه عدة أيام، وكأن الجراح لا تنكء إلا في أوج العزة والنجاح، فقد داهم وحيد مرضه النادر في هذه اللحظة النادرة ليثور عليه ثورة استطاع وحيد تأجيلها وكبت جماحها لسنوات حتى مل جسده الآلام، أخبر الطبيب صديقه فهد بأن حالة وحيد ستحتاج إلى ملاحظة دائمة فهو الآن في غيبوبة إن أسعده القدر وقام منها سيمر بعدة فحوصات وسيخضع لبرنامج طبي متكامل لكبح هذه الثورات التي تأبى أن تبقيه حيًا.

بعد يومين من وجود وحيد في المستشفى صرح الطبيب له بالمغادرة بناءً على طلبه المستمر رغم عدم تحسن حالته مع إمضاء فهد على تعهد بالمغادرة بناء على طلبه وتحمله المسئولية مع إخلاء طرف المستشفى، كانت الصورة أمام عينيه ضبابية بحيث لا تسمح له بفتحها والتحديق بأي شيء، وآثر هو غلقها ليبعد عنه هذه الدوخة التي تنتابه كلما حاول أن يلقي نظرة على الدنيا.

في الفندق بعد أن أراحه فهد على سريره.

- على فكرة مش هينفع كده اللي ملوش كبير بيشتري كبير يا أخي يعني أيه تخرج بالحالة دي، ما أنت هتنام على سرير برضه، هناك في ألف واحد يخدمك.

- عاوز أنام.

- طيب استريح وبعدين نتكلم، أنا قاعد جنبك..

- متصحنيش لأي سبب..

- حاضر استريح إنت وبلاش تفتح عينيك خالص أنا هطفي النور وهفضل جنبك لو احتجت أي حاجة.

ظل وحيد في فراشه نائمًا مغمض العينين لا يقوم ثلاثة أيام متواصلة إلا ليتناول بعض الطعام الذي أوصى فهد مطعم الفندق بتجهيزه على هيئة مشروب، فحالته لا تسمح أن يقاوم فمه الطعام، اعتاد الطبيب أن يحضر له كل يوم مرتين بناء على طلب صديقه ليطمئن على نبضات القلب والضغط وتقديم كل ما يمكن أن يقدمه طبيب حائر لمريض قد استسلم كل جزء منه للمرض، وفي اليوم الثالث بدأ يشعر فهد أن روح صديقه تتسلل منه إلى حيث العالم الأخر جلس يتخيل للحظات فقدان صديقه بالموت الذى لا يهرب منه أحد وما لبث لحظات حتى قام مفزوعًا...

- وحيد اصحى قوم يلا احنا هننزل...

- وحيد يهمهم بكلمات غير مفهومة...

- باكيًا: يلا قوم يا وحيد احنا هننزل نتفسح ونلف الدنيا قوم يا صاحب عمري، إنت عمرك ما كنت ضعيف كده، قوم يا عالمي افتح عينيك للدنيا علشان هنخطف أحلى ما فيها.

- أنا تعبان.

- وأنا تعبان أكتر طول ما أنت نايم كده، قوم علشان خاطري يا وحيد أبوك كل يوم يكلمني أقوله نايم، قوم سمعه صوتك علشان يطمن هو والحاجة وحنين كل دقيقة تكلمك وكانت عاوزة تسافر وتيجي تشوفك وأنا قلتلها إنك ممنوع عنك الزيارة.

- فهد قطعًا يكذب.

- يلا قوم يا بطل طمن الدنيا عليك.

- حنين... فين حنين؟؟؟

- قوم علشان نتصل بيها يلا...

- افتح النور وتعالى..

- أنا فاتح النور افتح إنت عينيك.

- ما أنا فاتح عنيا.

اقترب فهد منه وراح يحرك يديه أمام عين وحيد التي تغير شكلها كثيراً عن ذي قبل.

- فهد أنا مش شايف.

- مش شايف أيه ؟ إنت كده مش شايف إيدي؟!

- لأ مش شايف حاجة خالص، شايف ضلمة.

- ثم يضحك بهستريا..

- يا أخي أنا على أعصابي وإنت بتهزر...

- فهد أنا اتعميت، أنا مش شايف حاجة.

- قوم يا وحيد من السرير الملعون ده.... يلا قوم اتعدل.

أسرع فهد نحو الهاتف يطلب الطبيب الذي حضر مسرعًا إلى الغرفة.

- ألف سلامة عليك يا أستاذ وحيد، اسند ضهرك وقولي حاسس بأيه؟

- مش شايف حاجة، إنت مين ؟

- أنا الدكتور يوسف ومتابع حالتك من ثلاث أيام.

- أنا مش شايف غير الضلمة، هو أنا كده مفتح عينيا؟ أنا حاسس إني مغمض.

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

نظر الطبيب إلى فهد.

- لازم يتنقل المستشفى فورًا...

وفي المستشفى بدأت الفحوصات والأشعة والتحاليل الكاملة التي أكدت تضرر العصب البصري بشكل بالغ وأن العمى ليس مؤقتًا بل هو الصديق الجديد الذى سيلازمه ما بقى له من حياة.

- وحيد كويس يا عم سامي لسه في الفحوصات، هيخلص وهحجز وننزل مصر.

- فهمني يا فهد في إيه ؟

- أنا مش عارف، الدكتور قالي إن المرض في حالة ثورة، ازاي منتبهناش إنه بطل ياخد العلاج.

- والله يا ابني كنت بسأله كل فترة ويقولي إنه بياخده، مبيسمعش غير كلام نفسه.

- بإذن الله أول ما الفحوصات تخلص هنرجع على مصر.

- ربنا يرجعكم بالسلامة.

أغلق فهد الهاتف ودخل في نوبة بكاء جديدة، كان يريد أن يفرغ ولو جزء من صدره حتى يتمكن من مسايرة وحيد وبث الأمل فيه ذلك الأمل الذى يفقده هو نفسه، والذي أكد الأطباء أنه لا يعدو أن يكون وهم أن يرى وحيد مرة أخرى...

- ألف سلامة عليك يا صاحبي، احنا اتحسدنا حد ضربنا عين..

- عين .. أهم راحوا الاتنين، الدكتور قالك هرجع أشوف إمتى.

- متلعثمًا : قريب بس بعد ما نتابع العلاج.

- قريب إمتى ؟

- قريب يا وحيد إنت مستهتر بالي حصل أكيد لازم ياخد وقت وهيبدأ يرجع تدريجي.

- يا أخي حتى الكلمتين ملحقتش أقولهم، حنين عاملة أيه ؟ اتصلي بيها.

- طيب لما نروح ونوصل للفندق نكلمها، مفيش حاجة في نفسك نعملها ناكلها نشربها.

- مازحًا: أيه هما قالولك إني هموت والا أيه ؟

- تموت أيه يا أخي بدلعك أنا عارفك تموت في الدلع.

- تدلعني وأنا أعمى، طيب الأعمى ده يدلع بنظارة شيك كده، بص في عينيا كده شكلها اتغير قوي؟

نظر فيها والدموع تنساب على خده.

- مفيهاش حاجة، عادية أنا مش عارف إنت ازاي مش شايف، شكلك بتعمل مقلب والا بتتقمص قصة رواية جديدة ناوي تألفها، عمومًا أنا بقولك مقدمًا أهو إنى فاقس الحركات دي..

- لو بتقول كده علشان تهرب ومتقعدش تأكلني وتشربني تبقى بتحلم...

- حبيبي أنا جنبك وحتى لو مقلب أنا موافق اشربه، احكيلي من الأول حسيت بأيه ؟

- ولا حاجة أنا قلت السلام عليكم ولقيت الستاير الرمادي والسوده نزلت، حسيت إني بحلم وإني قاعد فوق السرير في مصر وعمال اتخيل بقى إني مؤلف وبستلم جايزة، وبعدين قلت أكمل لكن أنا مكنتش شايف حاجة وأنا مش حافظ إلا أول الكلام فمبقتش عارف أكمل أقول أيه!!

- أنا بقى مت من ساعتها يجي أربع خمس مرات وإنت زي القرد أهو...

- امشي بهدوء علشان ميبنش إنك ساحبني..

- حاضر، بقولك أيه احنا هنسافر مصر بكرة.

- طيب أيه اللي حصل في الجايزة والأمير والدنيا دي كلها..

- كل ده أنا خلصته خلاص والشيك الجديد دخل حسابنا، احنا ننزل مصر وهناك نفكر براحتنا.

- طيب ما ترجع الشيك للراجل قبل ما نمشي يا فهد.

- قلتلك خلاص كل ده أنا مرتبه، فضي دماغك خالص، الدكاترة قالوا إنك هتاكل وتشرب وأدوية وراحة غير كده هنتأخر في العلاج.

- حاضر.

*****

وعلى ظهر نفس طائرة الأمل استقل الصديقان يحملون هذه المرة بدل الأمل كثيراً من الآلام، كان يحدث نفسه متعجباً من تصاريف القدر: هي دي الجايزة اللي جبتني استلمها وركبتيني الطيارة عشانها؟!!

واشمعنى الضلمة بالذات هي اللي بتكافئيني بيها في عز النجاح، وأيه الارتباط الوثيق ده اللي بيني وبين اللون الأسود!! كان ممكن أتعمي وأنا في مكاني عادي، ليه جبتني هنا علشان استلم جرح جديد والا هناك خلاص مبقاش قادر يعذبني أكتر من كده؟!

يضحك: عذاب مستورد.

انتبه له فهد:

- عذاب أيه اللي مستورد.

-اللي أنا جيت مخصوص علشان استلمه، يا سلام يا أخي على المفاجأت مين كان يصدق نرجع كده، قولي لسه شايف السحابة ؟

- أه أهي زي ما هي، زي ما سبناها في مكانها.

- طيب ما تعتذرلها أو سبني أنا اعتذرلها يمكن واخده على خاطرها من المرة اللي فاتت لما قلتلك عليها شوية أبخرة، اعتذر لها بالنيابة عني.

- ماهي أبخرة فعلًا.

- مازحًا: اخرس بقى بدل ما تتعمي إنت كمان.

وفي المطار كان سامي وألفت قد حضروا لاستقبالهم، سبقتهم الدموع في اللقاء فمنظر وحيد بالنظارة السوداء وفهد يقوده كان كافي ليشعل كل الأحزان دفعة واحدة، بل ويسترجع من الماضي السحيق أوجاع قد فات أوانها، فلم يكن يتنبىء أحد أن تُخطف فرحته هكذا لتفاجئه الدنيا حين اقترب وضع التاج على رأسه بضربة سيف بديل عنه.

- وحشتنا يا وحيد كأنك مسافر من سنين.

- ازيك يا بابا وإنتِ كمان يا ماما تعبتي نفسك وجيتي سامحيني أنا دايمًا أخضك عليّ.

- سامي هامسًا لفهد: في إيه هو وحيد ماله ؟

- بعدين يا عمي هفهمك كل حاجة.

- كان نفسي ابقى شايفكم بس أنا شايفكم بقلبي.

نظر سامي لألفت ثم نظر الإثنان إلى فهد الذى أشار لهم بالصمت وعدم التعليق، وفي طريق المنزل علموا أن وحيد قد فقد بصره ولكنهم ظنوا أن الأمر لن يتعدي عدة أيام، وفي منزل والده قال لهم فهد إن وحيد قد أصيب بالعمى الكامل وأن أمل رجوع بصره مرة أخرى صار أشبه بالحلم، اشتعل الحزن في البيت وصار الصمت أكثر عادات أبويه.

*****

بعد فترة عاد فهد لمباشرة العمل والتقى بصديقه الجديد ممدوح رجل الأعمال ورئيس مجلس إدارة شركة الطوق الذهبي ، فلقاءات العمل استطاعت أن تقرب بينهم بشكل ملحوظ استغل كل واحدًا فيهم صديقه وفق ما تقتضيه مصلحة الشركتين وتشعبت العلاقة ووجدوا ارتياح في أن تكون كل المناقصات بشكل مشترك بينهم بما يحقق أقصى فائدة لكلا الطرفين، لمس ممدوح حب فهد للعمل وصدق كلمته ووفائه بأي التزام يقطعه على نفسه مما أثار إعجابه وصار يدعوه إلى أغلب اجتماعاته التي يعقد فيها صفقات شركته ليكون فهد بمثابة المفوض أحيانًا والمتحدث الرسمي باسم شركة الطوق الذهبي.

مرت عدة شهور على هذه الحالة حتى أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، فشركة الطوق الذهبي بدأت تحاصرها الشروط الجزائية الناتجة عن عقود لم تستطع الشركة الوفاء بها وتسليمها في الأوقات المنصوص عليها وصارت هذه الشروط الجزائية ديون واجبة السداد كانت هذه أعنف هزة تعرضت لها الشركة منذ بداية عملها في سوق المقاولات .

- أخبارك أيه يا وحيد النهارده ؟

- الحمد لله بخير، كلمت حنين وفهمتها إني كان عندي مشكلة في الضغط هي اللي خلتني وقعت وأنا بستلم الجائزة وإني اتعالجت، طبعا مفهمتهاش حاجة أكتر من كده.

- كويس وهي صدقت إن الموضوع شوية ضغط واطي ؟

- أه صوتي طمنها كانت قلقانه علشان معرفتش توصلي الفترة اللي فاتت كلها، فهمتها إني كنت مكتئب.

- سيبك من حنين عاوز أخد رأيك في موضوع مهم بخصوص الشغل.

- اتفضل.

- طبعًا إنت عارف شركة الطوق الذهبي اللي احنا شغالين معاها.

- أه عارفها.

- الشركة دي دلوقتي عندها مشكلة كبيرة، اتعاقدوا على مشروع ومقدروش ينفذوه في ميعاده.

- أه تمام واحنا مالنا ؟

- طبعًا كان في شروط جزائية، دلوقتي خلاص لازم تتسدد في موعد أقصاه شهرين وعلى أي حال هما مش هيقدروا يكملوا المشروع ده.

- كويس وإنت عاوز ناخده احنا ؟

- لأ، الناس دي هتقع يا وحيد ومش هتقوملهم قومة تاني وكل مشاريعهم معانا احنا واخدين النسبة الأكبر في الربح، العقود بتقول مناصفة لكن الحقيقة إننا بناخد أكتر من تسعين في المائة من الربح باعتبار إنهم مجرد سماسرة ليهم سكة يرسوا العطاءات على الشركتين واحنا اللي بنفذ.

- برضه مش فاهم فين المشكلة !!

- المشكلة إن الناس دي لو وقعت وإسمهم اتلوث في السوق هنبقى خسرنا أكبر مصدر بنعتمد عليه في شغلنا وده هيأثر علينا جدًا ومش بعيد باقي الشركات تبدأ تراجع العقود وندخل في مشاكل احنا في غنى عنها.

- بس احنا شغلنا سليم.

- أكيد لكن من مصلحتنا إنهم يفضلوا شغالين في السوق، وعشان كده أنا فكرت إننا نساعدهم وندفع معاهم جزء من الشرط الجزائي ونطلب مهلة جديدة ونساعدهم في التنفيذ.

- وكل ده مقابل أيه ؟

- المقابل حاجات كتير، هنظهر في الصورة أكتر وهنوسع مشاريعنا وطبعًا هيكون معروف للدنيا كلها إن احنا اللي كملنا المشروع مش شركة الطوق الذهبي وده يخلينا مرشحين ناخد بقية مشاريع الشركات دي، حاجات كتير يا وحيد.

- فهد إنت أكيد ملم بالموضوع أكتر مني اتصرف بناء على معلوماتك، هي الشروط الجزائية دي بكام ؟

- بكتير احنا هندفع منها حوالي نص مليون جنيه.

- نص مليون؟!!! ليه المشروع بكام وأيه اللي يفيدنا إننا نتحمل خسارة نص مليون جنيه في حاجة ملناش أي دعوة بيها.

- اللي هندفعه هيبقى دين عليهم وهنجدوله معاهم مفيش مشكلة لكن هنضمن إن مشاريعنا التانية اللي معاهم متقفش والشركات التانية متنتبهش وتقلق.

- طيب خلي بالك وادرس الموضوع كويس.

- أكيد.

- طيب هنعمل أيه في الأمير؟

- ده الموضوع التاني اللي عاوز أكلمك فيه، الراجل أنا شرحتله حالتك واحنا هناك وهو كان مهتم جدًا واتفقنا إن إنت بعد ما تستقر حالتك نتصل بيه ونتفق هنسافر تاني ازاي وفين، هو كان كلامه واضح لما حاولت أرجعله الشيك كان محرج وقالي أنا خلاص مضيته وعلى أي حال المبلغ بقى بتاع وحيد سواء عمل الرواية أو لأ الراجل بيحبك.

- وهو اللي يحبني لازم ازعله يعني؟؟

- أنا أصلًا متحمس إنك تسافر وترجع تاني للكتابة إنت تقريباً ممسكتش ورقة وقلم من يوم ما رجعنا مصر، أنا عاوزك تشتغل في رواية الراجل ده أولًا علشان تخرج من جو الملل ده، وثانياً علشان تحافظ على مكانك ووضعك إنك كنت متعود كل فترة قصيرة تنزل حاجة مش هينفع بعد ما عودت الناس على كده تختفي فجأة..

- طبعًا إنت مش هتسافر معايا.

- هسافر معاك وأقعد كام يوم وارجع وعلى اتفاقنا الأول هروح وأجي عليك علشان شغلنا ميقفش احنا دلوقتي في فترة حرجة.

- طيب سبني أفكر وأقولك هنعمل أيه....

- موافق بس متتأخرش عليّ.

*****

- مصيبة يا حنين كل تعبي هيضيع في لحظة.

- اهدى يا حبيبي ومتقلقش كل شيء هيتحل.

- اهدى ازاي بس يا حنين ؟!! عمري ما تخيلت إن ممكن في لحظة يتهد كل اللي بنيته.

- متخوفنيش عليك بقى، وبعدين هي مش مشكلتك لوحدك لازم تجتمعوا كلكم وتوصلوا لحل..

- لكنها غلطتي أنا، حاسس إني بنهار شايف قدامي كوابيس بحاول اهرب منها.

- حبيبي القلق هيزود المشكلة مش هيحلها.

- أنا هنزل نصف ساعة وهرجع جهزي نفسك هنسافر دلوقتي أنا مش قادر أفكر هنا كل حاجة بتحسسني إني في مصيبة ملهاش حل.

تهلل وجه حنين المشتاق للفسحة حتى في أحلك الظروف.

- حاضر يا حبيبي زي ما تحب أنا هدخل أجهز بسرعة.

- أنا نازل.

- احنا هنروح فين ؟

- الغردقة...

*****

- وكم تشقى المرأة إذا تزوجها شاعر فأنا كأغلب الشعراء ألفظ النعمة ثم أبكيها.

- ودي مين المقصودة بالكلام ده ؟

- مفيش حد دي هلوسة.

- هنخرج فين النهارده ؟

- أنا بالنسبالى كله واحد، أيه رأيك ندخل سينما ؟ أكيد بهزر.

- لأ عادي، ناوي تصالح الورقة والقلم إمتى ؟

- اتوسط إنت بينا وصالحنا.

- حاضر، أنا فعلًا فكرت إن إنت تقول وأنا اكتب وأهو يبقى عمل مشترك.

- ليه إنت فاكر إني نسيت الكتابة ومستنيك تكتبلي... اتفضل.

تحسس وحيد المكتب المتواجد في أقصى يمين الغرفة وأخرج من درج المكتب أوراق كان دون بها بعض خواطره، لم يكن يعلم أن يده قد خانته فجاءت الكلمات متراكبة لا تُفهم والأسطر فوق بعضها، ما جعل عيون فهد تدمع بغزارة.

- جميل يا وحيد الحمد لله إنك بتكتب، طيب وإنت بتكتب في السر ليه ؟

- علشان الحسد ... اقرأ يا ابني وسمعني.

جاهد فهد أن يقرأ ولكن الكلمات متشابكة وغير مرتبة لدرجة يصعب معها القراءة.

- إيه هو مين فينا الأعمى؟ إنت بتهته كده ليه هات اقرأ لك لو مش شايف.

- لما نرجع.. أنا محتاج نخرج دلوقتي حاسس إني مكتوم.

- طيب خلي الورق في جيبك ونقرأه واحنا بره، هنروح فين ؟

- واحنا في السكة نفكر.

- لأ أنا خلاص فكرت، هنروح المكتبة.

وصلا إلى المكتبة كان الحاج أشرف جالس مع الحاج مرسي وابنته وسام التي جاءت لزيارة عاجلة من أمريكا.

- السلام عليكم.

- أهلًا أهلًا اتفضلوا، ده وحيد يا وسام اللي كنت بحكيلك عليه.

- ازيك يا حاج أشرف.

- ازيك يا وحيد ازيك يا فهد.

- أيه ده الحاج مرسي هنا كمان ده الحبايب كلهم هنا، ده فهد صاحبي يا حاج أشرف.

- اتفضلوا استريحوا، أنا عارف فهد كويس كلمني في التليفون كتير واتقابلنا كذا مرة، بس أنا عاتب عليك يا وحيد وزعلان منك وواخد على خاطري كمان.

- ليك حق وأنا مش هجادل في أي حاجة مش هقولك غير حقك عليا واعذرني.

كانت وسام تتأمل وجه ذلك الرجل الذي كثيراً ما كانت تسهر مع رواياته وكلماته الدافئة.

- اتصل بيا يا وحيد مش كل شهر مرة.

- حاضر أنا الفترة الجاية بإذن الله هاجي اقعد هنا في المكتبة كتير بس لما تقولي إنك وفرتلي حد يقعد معايا يقرألي الكتب.

- اعتبر إني وفرتهولك من دلوقتي، أي وقت أسماء تبقى معاك وإنت اختارلها الكتاب اللي يعجبك وهي تقرألك.

- هي فين أسماء وريهام علشان أسلم عليهم.

- موجودين.

- بابا حكالي عنك كتير يا أستاذ وحيد وأنا كمان متابعة لكل الروايات اللي بتنشرها الدار وخصوصًا رواياتك، ورواية الطريد نزلت دموعي في كل سطر فيها.

- أنا أسف لدموعك.

- إنت كل رواياتك حقيقية ؟

- أنا ربنا اداني ظروف خلتني قابلت ناس كتير في حياتي ودخلت حياتهم واتعمقت فيها كل واحد فيهم كان ليه قصة أنا عشتها معاه أو عشت تفاصيلها من خلال كلامه، ممكن أجمع قصة أكتر من شخص في رواية واحدة، في مواقف كتير أنا جمعت فيها مشاعر أكتر من إنسان في موقف واحد.

- ازيك يا أستاذ وحيد.

- الحمد لله يا أسماء معلش بقى هتقل عليكِ.

- أنا سعيدة جدًا إن أنا اللي اقرألك.

- بس مش هتستلمي الشغل من النهارده علشان أنا معايا فهد وهو هيقوم بالمهمة دي النهارده.

- والله لو عاوزني أقوم بيها كل يوم أنا معنديش أي مانع.

- فعلًا أنا كنت محتاج اللمة الحلوة دي، وإنتِ يا وسام خلاص هتستقري هنا في مصر؟

- لأ أنا جاية زيارة سريعة كده وهسافر تاني على نهاية الأسبوع.

- عاوزين ننزل شوية كتب عندهم في أمريكا يا عم أشرف والا الناس دي ملهاش نفس تقرأ.

- لما أنت تسلمنا الرواية الجديدة بقى نطبع وننزل أمريكا وفرنسا كمان، أنا بعتلك نسخة من كتابك بعد الترجمة.

- أه وصلتني.

همس وحيد لصديقه.

- إيه عاوز نقوم نقعد لوحدنا هناك في ركن القراءة ؟

- زي ما تحب.

- طيب يا جماعة نسيبكم ونروح نقعد في الركن بتاعنا.

قام وحيد ومعه صديقه إلى المكان المفضل الذى جلس فيه كثيراً مع حبيبته والذي شاهد كثيراً من المناقشات الحادة مع حنين حول روايته الأولى.

- المكان ده أول ما المسه أحس بقشعريرة في جسمي كله.

- المكتبة زي ما أنت وصفتهالي بالظبط يعني أنا كنت متخيلها كده مفرقتش كتير.

- أيه رأيك فيها الأول؟؟

- رائعة.

- اللي عرفني على المكان ده ياسر اللي أنا مكلمتهوش من فترة كبيرة وإنت محاولتش تفكرني أكلمه، إنت غاوي تقطع علاقتي بالناس.

تناول فهد هاتفه.

- الو ازيك يا ياسر أخبارك أيه، خد وحيد عاوز يكلمك.

- بسرعة كده هات، ازيك يا ياسر مقصر معاك أنا عارف...

جاءه صوت ياسر عبر الهاتف يبدو أنه كان نائمًا.

- ازيك يا وحيد مش ناوي تيجي تتغدى معايا.

- بإذن الله قريب، إنت شكلك نايم، أنا في المكتبة كنت هقولك تعالى لكن خلاص كمل نومك وهكلمك وقت تاني.

أغلقا الهاتف..

- مبقطعش علاقتك بالناس أهو ولا حاجة.

*****

كانت الأيام أسرع من أن ينتبه لها وحيد، مكالماته مع حنين لم تنقطع بل تطورت للتصريح له بالاتصال في أي وقت شاء فزوجها أصبح مشغول ومهموم لدرجة تجعله يفقد الشعور بكل من حوله، ومشاكل عمله استولت على البقية الباقية من تركيزه، وأصبحت حنين لا ترجو شيء من الدنيا وليس من زوجها وحده، حتى أولادها

أهملتهم وأهملت الروايات ولم تعد تقرأ إلا ما اقتنته من روايات و كلمات وحيد التي باتت تحيرها وتجعلها تتخبط بين الأسطر باحثة عن نفسها.

كانت تمقت كلماته التي تشعرها بمدي وعيه المتخفي بها فكثيراً ما يغضب الإنسان حين يشعر بأن عقله بلا أبواب أو حراس، كانت تعي كل رسائله التي يبعثها لها على مرأى من الآلاف إن لم يكن ملايين البشر، كان يفزعها شفاءه من حبها ذلك الشفاء الذي لم يصرح به قط في وجهها وأحست به في هدوء لقائه على الهاتف، فلم تعد تشعر بتلك العواصف والأمواج المتلاطمة في صوته المشتاق، وكبريائها كان أكبر من أن يجعلها تدعوه لجلسة مصارحة تعرف فيها بالظبط موقعها على خريطة قلبه.

كثيراً ما كانت تلقي برواياته وتضرب بها الحائط وتسبها مع نهايتها، كمن قطع عليه كابوس أجمل أحلامه، لم تختفي حنين من قلب وحيد لحظة واحدة طوال مدة فراقها ولكن كأي مشاعر مهملة مجروحة تصرفت مشاعره وتقوقعت داخله، في المساء وكلما غلبه الحنين كان يخرج خنجرها الذهبي الذى لم يتمكن من أن يسلمه لها فيتأمله كأنه يراها، ويتحدث معه كأنه يسمعه... بل كأنه حنين بشحمها ولحمها.

وطوال الفترة السابقة لم تحاول حنين أن تسأله عن الهدية التي وعدها بها والتي أخبرها أنها تليق بها كمجرمة، كانت تخشى كثيراً من هذه الهدية برغم أنها لم تعرفها، وكان يفسر هو ذلك بعدم الاهتمام، وفي التاسع عشر من شهر أكتوبر وأثناء حديثه مع خنجرها الذهبي طرأ عليه أن يكتب رواية يجمع فيها قصة حياته من أولها حتى اللحظة الحاضرة مروراً بحبه الأول وحبه الأخير فقام وأيقظ فهد الذي كان يغط في نوم عميق.

- في أيه يا وحيد مالك عاوز حاجة ؟

- عاوزك تصحى تقعد معايا.

انتفض سريعًا من فراشه وتوجه إلى الحمام وأخذ يخبط الماء البارد في وجهه وعاد لوحيد.

- علشان كده كنت عاوز نفضل في شقة ألماظة مع أبوك وأمك علشان يرحموني من جنانك ده.

- أنا عاوز أكتب قصة حياتي يا فهد.

- فكرة كويسة.

- أنا هقول وإنت تكتب.

- إنت ناوي تبدأ دلوقتي ؟!

- أه هات ورق وتعالى.

- الورق جاهز في غرفة المكتب.

ذهبا إلى الغرفة المجاورة وجلس فهد على المكتب بينما نام وحيد على كرسي الشيزلونج كأنه رجل أسلم نفسه للإعتراف.

- في نص السطر وبخط كبير وواضح اكتب اسم الرواية.

- "رجل فقد كل شيء".

- أيه البداية دي يا عم وحيد.

- أنا النهارده هكتب تاريخ مش هألف قصة.

- وأيه المانع لما نضيف للتاريخ ده شوية نكهة، خلي تاريخك بطعم التفاح.

- طعم التفاح ولون الدم اكتب "رجل فقد كل شيء".

- بس أنا لسه معاك، وسامي وألفت، وعيالك يا وحيد، كلنا معاك يبقى ازاي فقدت كل شيء والا احنا كلنا منساويش كفة حنين.

- حنين دي بندقة اتحطت في وسط التورتة لكن أنا اللي خسرت كل حاجة بقيت عايش لوحدي لما إنت جيت أنا اتعميت علشان أفضل لوحدي، أنا خسرت نفسي وخسرت كل حاجة ليها معنى أو قيمة في حياتي، أنا لما فكرت في اللي حصلي لقيت إن العمى ده مكافأة مش عقاب، أصل أنا لو كنت بشوف دلوقتي ووقفت قدام مراية مش هلاقي أي حاجة عملتها في حياتي تستحق إني أبصلها، عارف أنا اللي باع في الأوهام عمره.

- وحيد إنت كده بتزور التاريخ مش بتكتبه، إنت واحد كان بيتكرم من كام شهر، أي حفلة توقيع ليك الناس بتبقى فوق بعض، إنت النهارده كمان صاحب شركة المسلم للعقارات وأبو طاهر وأحمد وزياد، إنت بتظلم نفسك وبتظلم التاريخ وبتظلمنا كمان معاك، على فكرة أنا عمري ما حسيت حتى وإنت في عز محنتك بأي شفقة عليك لأنك دايمًا أقوى مني أقوى من الظروف أقوى من الحزن يا وحيد.

- عارف إنت فرحان ليه يا فهد النهارده بالنجاح لأنك حققت اللي إنت عاوزه وحلمت بيه لكن أنا لأ، أنا عمري ما كنت عاوز أبقى مشهور والناس تبقى عرفاني واتكرم، أنا مش أنا يا فهد، أنا بعيش حياة واحد تاني بكل تفاصيلها.

- إنت بترفض يكون في مكان في حياتك للسعادة.

- أنا عاوز نوع معين من السعادة عمري ما اتهنيت بيه ونوع معين من الناس مش عارف أقبلهم وأكمل معاهم ونوع معين من الظروف، أنا اللي اتعمى في عز الناس ما كانت بتسقفله!!!

- أنا دوري معاك في الرواية دي إني اكتب بس والا أكتب وأعلق وأراجعك ؟

- إنت دورك تبقى أنا، ما دام أنا مش عارف أبقى أنا.

- طيب اديني مهلة أربع شهور وبعدين نبدأ في كتابة قصة حياتك، بيتهيألي إن الأمير ده أثر عليك.

- الأمير ده مظلوم أكيد كان في حاجة مش عاوزها تموت فحب يخلدها في كتاب.

- طيب يلا ننام ؟

- اشمعنى أربع شهور ؟

- هي أنا اللي هكتب قصة حياتك الأول وبعدين إنت تعدلها زي ما تحب.

- إنت عارف كل تفاصيلها إياك تزورها وإياك تحذف حنين.

- متخافش يا صاحبي أنا صاحبك الأمين.

*****

اجتهد فهد في العمل وإدارة الشركة وكان يختلس كل يوم بضع ساعات يجلسها في مكتب الشركة مسترخي يكتب فيها كل ما تجود به ذاكرته بما يعرفه عن صديقه، فمهلة الأربع شهور لم تكن كافية لسرد تفاصيل كثيرة في حياة وحيد ولكنه رأى أن يضع أهم ما مر به معتمدًا على أن القصة لن تظهر للنور قبل أن يراجع وحيد كلماتها وحروفها فهو يعلم طريقة صاحبه في التثبت والمراجعة.

مضى في خطته مع شركة الطوق الذهبي و سداد كثيراً من مديونياتها وتوطدت علاقة فهد بممدوح رئيس مجلس إدارة شركة الطوق الذهبي وأحد ملاكها إلى حد شعر معه ممدوح بأن فهد قد وضع اسم الشركة في عنقه - الطوق الذهبي - ولم يعد يعرف طريقة تمكنه من رد جميل هذا الرجل الذى انتشله من سقوط مروع وساعده في أن يقف مرة أخرى ويسترد اسم شركته في فترة بسيطة، يلتقون كل يوم وتوسع الحوار بينهم ليشمل ما هو أكثر من العمل فقد حكى ممدوح عن مشاكله مع زوجته وكذلك حكى فهد عن مشاكله القديمة وما مر به مع طليقته، صارت علاقتهم أقوى من مجرد علاقة عمل.

- إنت عملت اللي أقرب أصدقائي معملهوش، مفيش حد النهارده بيقف مع حد وأنا بحكي لمراتي على وقفتك معايا كانت مستغربة.

- إنت كمان وقفت معايا في بداية الشركة ولولا مساعدتك يمكن مكنش ده بقى وضعنا النهارده احنا بقالنا فترة قليلة شغالين لكن بنافس شركات كبيرة.

- بس أنا محرج منك ومش عارف ازاي ممكن أرد لك الخدمات الكتير دي.

- متشغلش بالك بالكلام ده المهم هنسافر إمتى علشان نخلص العقود بتاعة مرسى علم ؟

- الناس مستنيين إننا نحدد ميعاد نمضي معاهم العقد ونستلم الشيكات.

- قرب السفر خليه الأسبوع اللي جاى وبعدين ناخد أجازة طويلة نستجم فيها.

- الثلاثاء كويس ؟

- مفيش مانع أنا مش مرتبط بأي مواعيد الأسبوع كله.

- يبقى جهز نفسك على يوم الثلاثاء نسافر.

- على بركة الله.

*****

فهد في رحلة كتابته.

* تمر اللحظات بطيئة كئيبة بين الروح الواحدة المتفرقة بين جسدين تُنازع أحدهم الهواجس وتُنازع الأخر الأمنيات.

ما أجمل أن يكون لديك صديقًا يشعر بك... يتقمصك... يلبس أحاسيسك ويلمس جراحك بيد شافية... ناعمة ... رقيقة .

- وإيه الجديد يعني في مرسى علم علشان أسافرله، روح لوحدك أنا عندي شوية زيارات عائلية كده هعملها في الكام يوم اللي إنت هتسافر فيهم.

- أنا حبيت نغير جو.

- مش هنلحق في وسط زحمة الشغل مش هتبقى فاضيلي يا عم.

- ما أنا قلت ممكن بعد ما نخلص نمد احنا بقى يومين تلاتة كده ونستجم مع البحر.

- البحر كان حلو لما كنت بشوفه، لكن مجرد أشم ريحته ومعرفش أشوف الموج وهو بيكلمني بشفايفه صعبه دي ياض.

- ما أنا هقرأ لك شفايفه تعالى بقى متبقاش رخم.

- لما ترجع نسافر... نروح بلد تانية فرنسا أسبانيا مش تقولي مرسى علم.

- إنت ناوي على تقيل بقى، إن كان كده ماشي، أنا تعبت يا وحيد يا أخويا عاوز أدلع بقى شوية.

- ضاحكًا: هتدلع على الأخر المهم جهز المصاري.

- المصارى كتير بس النفس اللي تصرف..

- أنا هفلسك متقلقش.

- طيب أقوم أنا أجهز حاجتي وأنام... السفر بكرة بدري.

- قوم نام.

- إنت كمان قوم علشان هتصحى معايا بدري علشان أوديك ألماظة قبل ما أمشي.

- أنا قاعد شوية على السرير لحد ما يغمى عليّ لوحدي متشغلش بالك.

.....

*****

** كان فهد كثير الاتصال بوحيد عبر شبكة الإنترنت حتى صاروا يلتقون كل يوم بعد العمل ليجلسوا فترات طويلة تشعرهم بأنهم لم يبتعدوا، ولم يكن حال فهد قد تحسن بل ظل يترك عمل ويبحث عن أخر وبدأت تتراكم عليه الديون وهو ما كان يغضب وحيد جدًا، لم يخبر وحيد صديقه بأنه كان سبب الحادثة بل حكي له قصة مختلقة خوفًا من أن يترك عنده عقدة الذنب، حاول كثيراً إقناعه بالعودة ولكن فهد قد أخذ قرار بعدم العودة حتى يصل لأحلامه أو جزء منها ولكن أن يعود بمجرد الديون والفشل كان هذا مرفوضًا عنده

كان الاتفاق بين فهد وصديقه ممدوح أن يلتقوا ليلا في مكتب شركة الطوق الذهبي بمرسى علم، فقد فضل فهد أن يسبق ممدوح الذي اصطحب معه أسرته لقضاء نزهة ممتعة بعد انتهائه من توقيع عقود الصفقة الأخيرة كاحتفال باستقرار حالة شركته بعد ما ألم بها في الفترة الأخيرة، وفي المساء :

- احنا بنحسدك يا ممدوح بيه على صديقك فهد رجل أعمال شاطر معرفناش نغلبه أبدًا.

- أنا بحسد نفسي عليه احنا أصدقاء وشركا في نفس الوقت.

- نتمنى قريب نسمع خبر عن دمج الشركتين مع بعض.

- فهد ضاحكًا: كده هنبلع السوق كله.

- طريقة شغلكوا جديدة وأفكاركم مميزة احنا جالنا عروض من أكتر من سبع شركات لكن حقيقي عروضكم كانت أكثر من رائعة سواء في السعر أو الرؤية.

- الموضوع ده كله الفضل فيه لشركة المسلم.

- بيحب يجاملني دايما الأستاذ ممدوح.

تبادلوا التحية وانصرف الجميع كلًا إلى وجهته وظل فهد وممدوح لم يغادرا المكتب إلا بعد ساعتين.

- كان لازم أتعلم من درس العقود اللي فاتت ، رغم إني مالي إيديا من التنفيذ لكن الأمان حلو برضه

- أنا متخيلتش إنهم هيوافقوا على كل البنود اللي إنت كتبتها دي، الحمد لله.

- خلاص فهمنا طريقة شغل الناس دي، هم في الأول والأخر عاوزينك تبهرهم علشان كده أنا مليت الشركة مهندسين أجانب، وزي ما إنت شايف جابوا همهم.

- أنا لما شوفت مرتبات المهندسين دول في الأول قلت إنك مجنون وإن الشركة هتقع في وقت بسيط ومش هتقدر على الأجور لكن أنا دلوقتي أول ما ارجع هعرض الموضوع على باقي الشركا وهنشتغل على نفس الخط، أنا عاوز أقولك إن موضوع الدمج ده فعلًا أنا كنت بفكر أطرحه عليك، الدمج موجود فعلًا مش فاضل غير إننا نوحد الإسم والدفاتر إنت إيه رأيك؟

- الموضوع ده سابق لأوانه وأنا أفضل الوضع القائم أحسن أنا أصلي واخد عهد على نفسي أنا وصديق عمري إننا ميبقلناش شريك، يعني الفلوس بتضيّع العلاقات الجميلة وأنا أحب احتفظ بعلاقتي بيك مش عاوز الفلوس تدخل تزعلنا من بعض.

- ربنا ما يجبش زعل بس أنا مصمم إنك تفكر في الموضوع وتعرضه على شريكك وأنا متأكد إن إنت لو وافقت هو مش هيمانع.

- على أي حال الكلام ده سابق وقته، مش يلا بينا نروح بقى أنا محتاج عشا محترم.

- نطلع الفندق نغير الرسميات دي ونتقابل في المطعم علشان أعرفك كمان على الأسرة.

- أه أنا محتاج أفك الكرافت هي خلاص حاسس إن دماغي صدعت.

- يلا بينا.

وصلا إلى الفندق وأخذ فهد دش ساخن وبدل ملابسه ونزل إلى مطعم الفندق ينتظر مجيء ممدوح وأسرته ليتناولوا جميعًا طعام العشاء، وبينما هو جالس في محاولة تهدئة هذه العصافير التي تزقزق في بطنه إذ بعيناه قد تجمدت في محجرهما مدققًا عينيه في ذهول في هذا الوجه الباسم الذي يقترب منه متأبطًا ذراع ممدوح

- ضاحكًا: مش قلتلك هننزل نلاقيه مستني، مبيقدرش على الجوع زيي، ثم أردف، فهد صديقي العزيز وشريكي المحتمل.

- أهلًا وسهلًا اتفضلوا أنا هستأذنكم ثانية واحدة وراجع.

جلس ممدوح وأجلس زوجته..

- هو ماله أول ما شافنا اتفزع كده... شكل صاحبك براوي شوية، مضايق أكيد إننا هنقعد معاكم ونطبق على نفسكم.

- لا خالص فهد جنتل جدًا ولما تتكلمي معاه هتشوفي كل اللي كنت بحكيهولك عنه، أنا مش عارف هو راح فين!!

توجه فهد إلى الحمام وراح يغسل وجهه وهو شارد الذهن يحاول أن يستجمع فكره الذي تشتت في لحظة ليعود إليهم مرة أخرى.

- أسف جدًا يا جماعة بس طبعًا السفر والاجتماعات إرهاق جامد، إنتوا طلبتوا حاجة والا لسه.

- مستنينك يا سيدي.

- جرسون..

كان فهد يختلس النظرات إلي زوجة ممدوح بشكل خاطف فقد تركه عقله وعاد منفردًا بأقصى سرعة إلى القاهرة إلى شقة وحيد يبحث عن شيء ما يعرفه جيدًا، لم تكن ملامحها قد تغيرت كثيراً عن تلك الصورة القابعة فوق مكتب صديقه لتلهمه بما يكتب عندما كان يبصر، يجري مقارنات سريعة كلها تخبره أن الجالسه أمامه هي..

- مالك يا فهد مش بتاكل ليه ؟

- لأ باكل.

- مش ناوي تمد سفرك معانا كام يوم حنين عاوزة تتفسح هي والأولاد.

وقع عليه الإسم كمطرقة هوت بشدتها من السماء السابعة واستقرت فوق قلبه، لم يبقى له شيء يكذب ما يدور برأسه، كم كان يشعر باحتياجه إلى الدموع وهو يرى هذه المشرقة تجلس أمامه بينما ينزوي صديقه في غرفته هربًا منها ومن أن تشاهد ما آل إليه حاله، كان كل شيء يطبق عليه ليخنقه، توقف الطعام في حلقه.

- لأ مش هقدر لازم أسافر الصبح.

- هفسحك فسحة محترمة طاوعني.

- اعفيني... مرة تانية بإذن الله.

- استأذن وقام مرة أخرى إلى الحمام.

تناول هاتفه واتصل على صديقه وحيد.

- ازيك يا حبيبي عامل إيه ؟ طمني عليك...

- الحمد لله بخير مال صوتك ؟

- مش عارف قلقت عليك فجأة إنت وحنين.

- ضاحكًا: وإنت من إمتى بتقلق على حنين؟؟

- اللي حصل، إنت كلمتها اطمنت عليها النهارده ؟

- أه كلمتها الصبح وهي الحمد لله كويسة وبخير.

- أنا مش عارف أنا ليه قلقت عليكوا إنتوا الاتنين فجأة طيب ما تتصل بيها وتطمن عليها تاني وترجع تطمني.

- إنت هتقلقني ليه، طيب اقفل هكلمها.

أغلق فهد هاتفه وعاد مسرعًا إلى كرسيه ليجد أي شيء يكذب نور الشمس حين تشرق ليلًا أو بالأحرى حين تنوي ألا تشرق نهارًا أو ليلًا.

هاتف حنين يدق.

- استأذنكم يا جماعة - تنظر لممدوح - دي ريهام بتاعة المكتبة.

انزوت جانبًا وبعد دقائق قليلة عادت إلى مقعدها.

- إيه خير في إيه ؟

- أبدًا بتطمن عليّ والله فيها الخير.

كان فهد يركز مع ملامحها التي تتحدث بأريحية وصدق.

هاتف فهد يدق.

- مش هناكل ... كل شوية واحد فيكوا تليفونه يرن اقفلوا التليفونات يا جماعة احنا جايين نقعد مع بعض.

وحيد عبر الهاتف.

- اطمن يا سيدي كويسة وبخير الحمد لله.

عين فهد لا تفارق وجه حنين.

- هي فين ؟

- في البيت نايمة.

- في البيت في القاهرة ؟!

- أمّال البيت في الهند يعني اطمن يا فهد مفيش حاجة يا حبيبي، ممكن أنا بس نقلتلك قلقي عليها لكن احنا بخير.

- بإذن الله هنبقى بخير.

- بقولك إيه بما إنك راضي علينا كده ما تنقيلي هدية حلوة من عندك ليها.

- مش لما تاخد الحاجة الأولى - يقصد الخنجر الذهبي - والا أيه ؟

- لأ نقي حاجة على ذوقك اعتبر إنك بتهاديني أنا.

- حاضر بإذن الله.

يغلق الهاتف.

وهو يداعب طارق.

- وإنتوا أيه اكتفيتوا بطارق وتسنيم مش ناويين تجبولكم عيل العزوة حلوة.

- قوله بتحايل عليه وهو مش راضي.

- ليه يا ممدوح ده العيال عزوة.

- اديني عقلك إنت إذا كان هي معاها طارق وتسنيم بس وتعبانه نروح نجيب واحد كمان.

- هي اللي طلبت إنت زعلان ليه؟؟

- أنا بقوله إننا نخلف بدري واحنا لسه صغيرين علشان نلحق نتمتع بيهم.

- واضح إن مراتك بتحبك جدًا.

نظر ممدوح لزوجته أن أجيبي أنتِ.

- ممدوح ده بالنسبالي أكتر من زوج، أنا بحمد ربنا إنه اداني زوج زيه، أصل ده الحب الأول، أول وأخر حب في حياتي.

- أنا مقصر مع حنين جدًا يا فهد لكن هي دايمًا بتستحمل وحتى لما بتشتكي وتزعل شوية بتروق لوحدها طيبة مراتي دي.

- لأ بروق علشان بحبك.

- ابسط يا عم ممدوح.

-قالت حنين : وإنت ليه متجوزتش يا فهد يعني ما شاء الله مركزك كويس ووضعك الاجتماعي هايل ليه مأخر الخطوة دي.

- أنا كنت متجوز فعلًا بس طلقت.

- أنا عارفة ممدوح حكالي أنا أقصد إنك تتجوز تاني.

- مش لاقي ست تستاهل حب راجل.

- بالعكس الدنيا مليانة ستات تستاهل إنها تتحب.

- ومليانة ستات كدابة، بيقدروا يسلخوا جلدهم بطريقة غريبة، بيقدروا يتقسموا على اتنين.

- ممدوح : ازاي يعني يتقسموا على اتنين ؟!

- يعني يكونوا خير وشر... أمل وألم... حياة وموت... حلم وكابوس... كل شيء ونقيضه، عارفة يا حنين الستات دلوقتي اتغيرت جدًا بقت أهم حاجة عندها المادة محترفين كدب.

- واضح إنك عندك عقدة.

- اسمحيلي اعترف إني فعلًا بقيت معقد وبشوف إن مفيش ست تستاهل، يمكن من فترة بسيطة... بسيطة جدًا، لو قلتلك بقيت معقد من إمتى مش هتصدقي.

- من إمتى ؟

- من ساعة ما اتحط قدامي طبق الأكل ده وأنا جالي عقدة.

- ضاحكة: لأ بجد عندك عقدة من الستات فعلًا.

- أنا عاوز أتجوز واحدة أحبها، والحب نفسه حاجة غامضة مش قادر أحط إيدي عليها وافهمها.

- الحب ده أعظم إحساس في الوجود احنا اتخلقنا أصلًا علشان نحب، بس الحب الحقيقي هو اللي بيكون بعد العشرة والجواز.

- والحب اللي بيبقى في الشوارع والطرقات ده بيبقى اسمه أيه ؟

- اسمه مرحلة لكن مش حب، مرحلة طيش وجنون زهق لكن الحب حاجة كبيرة أكبر من كلمتين، على رأي ممدوح الحب أفعال.

- طب أنا زمان حبيت واحدة، وشوفت فيها الدنيا كلها لدرجة إني حفظت كل تفاصيلها بقيت بحب نفسي علشانها أو علشان هي موجودة في حياتي، بس ساعتها مكنتش غني زي دلوقتي، فجأة سابتني .... سابتني علشان الفلوس لقت اللي يدفع أكتر.

- سامحني دي من الأول مكنتش بتحبك، لأن الست لما تحب تهد الدنيا وتستحمل أي ظروف.

- حنين عندها حق، أنا مريت مع حنين بمشاكل كتيرة لكن هي استحملت وقدرنا نعدي الظروف دي، علشان احنا بنحب بعض بجد، لكن حبيبتك دي أي كلام.

- أي ظروف مهما كانت ؟

- حنين: طبعًا مهما كانت.

- أصلها كان معاها أطفال وبعدين قالتلي إنها هترجع لطليقها علشان مش عاوزه عيالها يتربوا بعيد عن أبوهم.

- حنين: كدابة طبعًا وانفصلت عنه ليه من الأول.

- هو اللي طلقها.

- أيوه وأول ما شاور لها جريت عليه وسبتك رغم أي حاجة كان بيعملها فيها ورغم كل اللحظات الحلوة اللي حستها معاك، أنا شايفه إن إنت كنت مرحلة في حياتها متزعلش مني أنا ممكن أكون بقول كلام صعب لكن

إنت بتقولي إنك اتعقدت من الستات وده ظلم لنفسك، الست دي عمرها ما حبتك سوري يعني إنت كنت شوية هوا باردين يردوا الروح في بلكونة ساعة عصاري.

*****

عاد فهد إلى القاهرة يحمل في قلبه من الحزن ما لا يطيق كان يشعر أنه يحتاج لصرخة من فوق جبل عالي، لم يتوقف لحظة واحدة عن الكتابة.

*** يعني أنا فقير يا حنين لازم تعرفي إني فقير ممكن مقدرش أوفرلك حاجات كتير موجودة عندك دلوقتي، زي مكان سكنك مثلًا هتقدري تسكني معايا في أي مكان ؟

القلب قلب مهما اكتسب من خبرات له دقات معلومة مهما صادفته من عثرات، ومن منا يستطيع أن يتحكم في قلبه ليقول له متى يدق ومتى يتوقف عن الخفقان؟!

*****

- أنا صاحبك الوحيد صح ؟

- إنت مش صاحبي، إنت دلوقتي عيني اللي بشوف بيها حرفيًا.

- أنا تعبان.

- من أيه ؟

- منك، كل حاجة فيك مش عجباني.

- ليه يا فهد ؟

- كل حاجة.... كل حاجة، هو إنت خلاص بتتعامل على إنك بقيت أعمى ؟

- أمّال أنا أيه يا فالح أفندي ؟

- إنت وحيد اللي لما بيمسك ورقة ويشخبط فيها الناس بتجري تشتريها، إنت طاهر وأحمد وزياد، إنت ليه بتكلم حنين لحد دلوقتي ؟

- يا دي حنين اللي مش عاوزة تنزلك من زور، افهم يا حبيبي دي واحدة رجعتني لنفسي في يوم من الأيام، خلتني أحب الدنيا وأحس إن في أمل خلتني أرجع أحبك بعد ما كنت خلاص قربت أكرهك وأنا بكره الدنيا، خلتني انجح يا فهد بعد ما نسيت معنى النجاح، وبعدين حنين مش معايا علشان تضايقك كده.

- ولا عمرها هتبقى معاك، حنين عمرها ما حبتك يا فهد افهم، سوري يعني إنت كنت شوية هوا باردين يردوا الروح في بلكونة ساعة عصاري - يضرب المكتب بقوة بيده -

- ضاحكًا: هو الصوت ده أيه ؟ أنا لما وقعت من البلكونة ؟

- إنت بتتريق ؟

- اسمع حنين حبتني، أنا اللي شفت عنيها مش إنت، أنا اللي حسيت بلمستها مش إنت، كانت بتبقى في حضني أنا، روحها مفارقتنيش، يردف ضاحكًا : وبعد كل ده يجيلي واحد مجنون زيك ويقولي شوية هوا.

- هو إنت مصدق إن الستات مبيعرفوش يكذبوا ؟

- مصدق إن حنين اتخلقت علشاني، وإني أنا اللي جيت متأخر، مشوفتنيش وأنا جاي أجري وبنهج وبنادي عليها، تقوم تطلع متجوزة ومخلفة شوفت السخرية - يضحك -

- إنتوا كنتوا متفقين على الجواز صح ؟ أيه اللي اتغير.

- أبدًا خافت على طارق وتسنيم.

- والا خافت تسيب مصر الجديدة ؟

- هي قالتلي علشان كل حاجة.

- الست لما تحب تهد الدنيا وتستحمل أي ظروف مهما كانت، والحب اللي بيبقى في الشوارع والطرقات ده بيبقى اسمه مرحلة لكن مش حب، مرحلة طيش جنون زهق لكن الحب حاجة كبيرة أكبر من كلمتين ... يا أخي افهم.

- مكنش في الشوارع بس، كان في المراكب والمكاتب والعربيات والجناين والسوبر ماركت.

- كانت بتحبك إنت والا بتحب جوزها ؟

- أنا طبعًا يا حبيبي... كنا خلاص هنتجوز، حنين عمرها ما حبت كمال.

- كمال!! أه كمال ... وأول ما شاور لها جريت عليه وسبتك رغم أي حاجة كان بيعملها فيها ورغم كل اللحظات الحلوة اللي حسيتها معاك، أنا شايف إن إنت كنت مرحلة في حياتها متزعلش مني أنا ممكن أكون بقول كلام

صعب لكن إنت بتظلم نفسك، الست دي عمرها ما حبتك سوري يعني إنت كنت شوية هوا باردين يردوا الروح في بلكونة ساعة عصاري.

- يا ابني إنت عامل زي البغبغان ليه كده، إنت عاوز إيه من شوية الهوا اللي واقفين قدامك قولي وأنا أريحك، عاوزني أسيبها ؟

- أه طبعًا.

- طيب اطمن أنا عمري ما ملكتها علشان أسيبها، عمرها ما كانت بتاعتي وعمرها ما هتكون معايا، أيه رأيك مبسوط؟

- لأ عاوز اسمع إنك هترجع تقيم علاقتك بيها وتعرف حقيقتها علشان تبطل تفكر فيها تاني للأبد وتعرف إن الست دي محبتكش يمكن تكون حبت جوزها وممكن تكون محبتش غير نفسها.

- أيه الفايدة من ده كله، على الأقل هي دلوقتي بتلهمني حتى وهي بعيد.

استدار فهد يبحث عن صورتها وخطفها وألقى بها في الأرض وقذفها بقدمه.

- ولازم تبطل تلهمك في مليون طريقة تانية تلهمك.

- فهد أيه اللي اتكسر ده ؟

ذهب يتحسس المكتب ثم استدار له.

- دي صورة حنين صح ؟

- وحيد ا....

- صارخًا: مش هيحصل يا فهد مش هتخطفوها كمان من خيالي، أنا سبت الدنيا كلها يا أخي في أيه تاني حتى الكابوس مش من حقي ؟؟!! أنا هحبها أكتر من كرهك ليها هحب عنيها وابتسامتها وأنا حر، أنا معنديش حاجة أخسرها إوعى تنسى يا فهد إن أنا - رجل فقد كل شيء -

- باكيًا: نصفي كل حاجة هنا ونهرب نعيش في أي بلد تانية نقطع علاقتنا بالناس ناخد أهلك ونطفش وحيد علشان خاطري لازم تنسى.

- مش هنسى يا فهد أنا مش عاوز أنسى مش قادر يا أخي.

- وأنا بحبك، وأي حاجة بعملها أكيد علشان بحبك وكل طبيب بيداوي بطريقته.

- هاتلي الخنجر يا فهد وتعالى أحكيلك حكاية.

أحضر فهد الخنجر وجلس بجوار صديقه الذي بدأت عيناه تفيض بالدموع مع كلماته.

- إنت دلوقتي شايف لكن أنا حاسس، الخنجر ده مسنون لو حطيته في صدرك هيعدي من الناحية التانية، وهتموت في الحال وده من رحمة ربنا بيك، لكن لو اتكتبلك عمر وفضلت عايش بالخنجر ده جواك وجسمك قفل عليه تقوم وتاكل وتلبس وتقابل الناس وهو جواك هتعرف أنا اشتريته ليه وهتفهم أنا حاسس بأيه، إوعى تفتكر إن ده خنجر الغدر، لأ يا فهد حنين عمرها ما كانت غدارة، ده خنجر الفراق أو خنجر اللقاء، أنا كنت بحلم بيها قبل ما أقابلها، شوفت كل ملامحها، حتى نبرة صوتها كان ليها لحن كنت دايمًا بسمعه من قبل ما عيني حتى ما تشوفها.

- غبي.... إنت غبي...

- اسمع أنا معرفتهاش لحد النهارده إني بقيت أعمى، لكن ممكن أوريك حاجة تخليك تبطل تلومني تاني في حبي ليها، أنا هطلب أقابلها علشان أديها الهدية اللي هي نسيت تسألني عليها وإنت هتبقى معايا، هعرفها إني خلاص بقيت أعمى وعاوزك تبص في عينيها وأنا بقولها، وبعد ما تمشي ابقى قولي شوفت أيه، ولما نرجع هسألك أنا بالنسبالها أيه ؟ لسه شوية هوا باردين يردوا الروح في بلكونة ساعة عصاري ؟

- هترضى بحكمي واللي هقرأه في عينيها ؟

- هو إنت تقدر تغشني يا حمار.

- يبقى اتفقنا.

- هات التليفون أكلمها.

تناول الهاتف وعندما سمع صوتها الناعم الدافىء.

- ازيك يا حبيبتي وحشتيني، وحشتي عمري الضايع.

- وإنت كمان يا حبيب عمر حنين.

- كان ليكِ هدية وعدتك بيها لما كنت في الإمارات ليه مسألتيش عليها ؟!

- بصراحة خايفة يا وحيد، إنت بتعرف توجعني وأنا مش عاوزة اتوجع، ومنك إنت بالذات.

- هو أنا لما اتقتل مش من حقي أصرخ ؟

- من حقك لكن....

- مفيش لكن، حبيبك عاوز يصرخ، هقابلك إمتى علشان تاخدي الهدية ؟

- بلاش يا حبيبي علشان خاطري لو هتوجعني بلاش.

- علشان خاطري اتوجعي مرة واحدة علشاني، أنا مش عاوز أخوفك لكن إنتِ المرة دي هتتوجعي عليا مش مني.

- يعني أيه يا وحيد.

- يعني بحبك.

- وأنا كمان ... ممكن تطمني؟

- تعالي اطمني عليّ بنفسك، لو لسه أمري يهمك.

- إنت ازاي بتقدر تظلمني كده ؟! أمرك يهمني أكتر من نفسي.

- هشوفك إمتى ؟

- مش هينفع الأسبوع ده، لأن كمال فاجئني إننا هنسافر بكرة الصبح.

- هتروحوا فين ؟

- مرسى علم عنده شغل هناك إنت عارف مبنسافرش غير علشان الشغل.

- أنا هجيلك مرسى علم.

- ازاي بس يا وحيد هنتقابل ازاي.

- أنا مش محتاج أكون معاك أكتر من عشر دقايق أديك الهدية وأعرفك على صديق عمري وبس.

- عاوز تسافر المسافة دي كلها علشان تشوفني عشر دقايق يا وحيد ؟

- سافرت قبل كده في رحلة مدتها عمري علشان أشوفك لدقايق برضه يا حنين مش أول مرة، يالا هاتِ العنوان.

*****

**** بخير يا حبيبي عاوز أقولك إن كل ديونك خلاص ادفعت وحولتلك مبلغ على حسابك حالًا، عاوزك تاخد كل الإجراءات وتنزل مصر بسرعة رواية الطريد اترشحت للقائمة القصيرة في البوكر، يا فهد لازم تبقى جنبي.

كانت تنزل بأحد منتجعات بورتو غالب، وفي اليوم التالي - يوم الأحد - كان فهد ووحيد وطليقته وسامي على متن الطائرة متجهين إلى حنين وعند وصولهم المطار الدولي الذي يبعد عن المدينة ٦٠ كيلومترًا إلى الشمال استقلت زوجته وأبنائها وأبيه سيارة إلى الفندق، ثم اتصل بحنين ليخبرها بوصوله.

- حبيبتي أنا وصلت، وفي طريقي للفندق، إمتى هقابلك؟

- مش هينفع النهارده، بكرة كمال هينزل الساعة خمسة عنده شغل وممكن نتقابل ساعتها ومش هيبقى عشر دقايق هقعد معاك أكتر.

- هتوحشيني لحد بكرة.

- وإنت وحشني دلوقتي حالًا.

- اصبري لحد بكرة.

- ربنا يصبرني.

*****

لم يكن فهد يطيق أن يسمع اسم حنين يتردد أمامه، كان يشعر أنها كابوس لابد أن ينتهي من حياتهم إلى الأبد، اتصل على طليقة وحيد وذهب لمقابلتها بحضور سامي وأخبرها أن وحيد يمر بحالة صعبة يحتاج فيها أن يكون بجواره كل من يحملون في قلوبهم حب حقيقي له، ولما وجد عندها الرغبة في أن ترجع إلى زوجها حكى لها باختصار حكاية وحيد مع حنين وكيف أن وحيد كان يحتاج إلى أنثى تحمل همه وتذوب في ذاته وتفجر طاقاته، أخبرها أن قصة حنين ستنتهي ولكن لابد لامرأة أخرى أن تحل محلها على وجه السرعة وأنها أنسب امرأة لأنها تحمل شيك على بياض به الزهرات الثلاثة.

عقد فهد نيته على مصارحة وحيد بكل ما رآه من حنين وكيف علم أنها امرأة تلاعبت به ومشاعره ولم تنظر إليه إلا كما ينظر الغريق إلى طوق نجاته ثم لا يلبث أن يلقي به بمجرد أن تلمس أقدامه أول رمال الشاطىء، اتفق مع طليقة وحيد أن تكون على مقربة بأطفالها في اللقاء، وبمجرد أن ينتهي وحيد من كلامه مع حنين سوف يبدأ فهد في سرد كل ما رآه وعرفه وفي أثناء المشاداة تدفع هي بطاهر أولًا وتنتظر حتى يعطيها إشارة بالمجيء، كانت الأمور تسير كما أراد فهد حتى مساء ذلك اليوم، استلم ممدوح تفريغ التسجيلات الخاصة بزوجته والتي أوصى أن تقوم بها شركة من الشركات المتخصصة في هذا المجال فوجد ما صدق به شعوره الخفي الذى كان يدافعه من فترة كبيرة.

مكالماتها الكثيرة التي كان يحوطها الغموض، ارتباكها عند دخوله أثناء هذه المكالمات، محوها لسجل هاتفها بشكل دوري وأخيراً ما هرطقت به في نومها، كل هذه الأمور دفعته للبحث في حاجياتها حتى عثر على الأوراق والرسائل التي كان يرسلها لها وحيد وأخيراً تفريغ المكالمات التي حصل عليها صباح يوم الأحد والتي علم منها بموعد المقابلة، و في تمام الساعة الخامسة من يوم الإثنين خرج ممدوح مدعي الذهاب إلى العمل كما أخبر حنين ولكنه كان قد اتخذ مكان قريب من مكان المقابلة.

*****

***** - وحيد فاز بجائزة البووووكر. - قام مفزوعًا : احلف!!

- يلا يا ابني معنديش وقت أنا مسافر أبو ظبي علشان اتكرم - في حركة استعراضية - والآن مع الكاتب العالمي صاحب الرواية الرائعة الطريد...

في تمام الخامسة والنصف كانت طليقة وحيد وأبنائها الثلاثة على مقربة من مكان المقابلة وكان وحيد وفهد على الشاطىء وكان ممدوح يجلس في مكان يسمح له بمشاهدة فهد ووحيد، لم يكن يعلم بعد من هو الحبيب المزعوم، دهشتة بوجود فهد الذي سافر منذ عدة أيام ولكن ما يشغله كان أكبر من أن يركز مع فهد فقد كانت عينه تدور في المكان بسرعة تبحث عن هدف معين.

الجميع ينتظر حنين .....الكل يراقب، وعندما زفرت الشمس أخر أنفاسها وهمت بالمغيب ظهرت شمس حنين لتضيء الدنيا، ظهرت كأبهى امرأة في الوجود يسبقها عطرها، كم كانت جميلة ورائعة في هذا الغروب وكيف تركزت بؤرة الضوء على وجهها وحدها تاركة ظلام الغروب يلون كل شيء إلا تلك البقعة التي توجد فيها حنين، جاءت هذه المرة بقلبها الصغير وعيناها الساحرة يسبقها ضوئها ليشق الظلام حتى وصلت إلى وحيد جاءت من خلفه.

- في حركة استعراضية : أنا جيت...

استدار وحيد وفهد لها معًا، أربكها وجود فهد ملتصقًا بوحيد هكذا، ولكن فهد كان قد أشار لها على فمه- علامة الصمت - فهمت حنين أنه لن يتكلم ولم يخبر وحيد بأي شيء مما دار بينهم.

- ياااه بقالي أد أيه مسمعتش صوتك بالقرب ده وحشتيني، أعرفك ده بقى يا ستي فهد اللي طبعًا مش محتاج أقولك ولا كلمة عنه.

- طبعًا إنت حكتلي كل حاجة عنه.

- فهد دلوقتي رجل أعمال كبير وشغال في المقاولات ومكسر الدنيا، بقى صاحب شركة المسلم.

- ألف مبروك يا فهد.

- شكرًا.

- خليك إنت في دراعي اليمين وأنتِ تعالي اتشعبطي في دراعي الشمال.

أمسكت حنين بيده عن يساره وهم يمشون على الشاطىء تلامس بقايا أمواجه أطراف أقدامهم.

- الأول خدي الهدية بتاعتك وافتحيها.

- مازحة: أنا هغمض عنيا وأنا بفتحها، واو أيه ده ؟

- أيه مش شايفه، دي باينها اتعمت يا عم فهد.

- خنجر يا وحيد ؟!

- أيه يا حبيبتي أول مرة تشوفي خنجر ؟!

- أه يا حبيبي أول مرة أشوفه وأمسكه كمان!!

- طيب خليكِ ماسكاه في إيديك وإوعي تسيبه لحد ما امشي.

- والهدية دي معناها أيه بقى ؟

- الهدية دي دهب علشان ده معدن نفيس مبتأثرش فيه عوامل الزمن، وخنجر علشان يفكرك بحنين لما كانت بتقعد في المكتبة، واخترته مسنون علشان الخنجر ده لا يقتل به إلا عظيم زيي كده، يعني الهدية ملخصها يا حنين إنتِ قتلتيني إوعي تنسي ده في يوم من الأيام.

- قالت حنين: وحيد تتجوزني؟

توجه وحيد بوجهه إلى فهد متسائلًا:

- سمعت اللي أنا سمعته ؟

- وحيد تتجوزني ؟

خلع وحيد يده من يد فهد وأمسك بنظارته الشمسية وألقى بها ناحية البحر وأمسك حنين بكلتا يديه ونظر إليها.

- قوليلي يا حنين شايفه أيه في عنيا ؟ شايفه وحيد ؟

فزعت حنين من منظر عينيه مما أحوجها لوضع يدها على فمها تحاول حبس صرخة طائشة..

- إيه يا وحيد ده ؟

- دي الدنيا.

- وحيد إنت؟؟؟ ...

- أيوه يا حبيبة وحيد، أنا خلاص مبشوفش.

- وحيد احنا لازم نتجوز.

- حتى بعد ما عرفتي إني بقيت أعمى ؟

تبكي حنين بانهيار وتدخل في حضن وحيد الذي احتضنها فاعتصرها، كان هذا المشهد كافيًا لأن يغلق قلب طليقته تمامًا.

- فين فهد الأعمى يجي يقولي رأيه، بتاع شوية الهوا.

بدأ ممدوح في التحرك نحوهم.

- إنت فين يا بتاع شوية الهوا، متخديش في بالك ده موضوع أفهمهولك بعدين.

حملها وحيد ... وقال لها هامسًا:

- كان نفسي أشوفك جنبي بالفستان الأبيض.

- باكية : ازاي متقوليش يا حبيبي.

- مش مهم كل ده مش مهم ... معقول هنرجع نتقابل تاني، معقولة الفرحة هتم يا حنين ؟

شعر وحيد بدوار أجبره على إنزالها وبدأ يتأرجح بينها وبين صديقه فهد.

- ياه الدنيا دي حلوة قوي، مبتجيش على حد أبدًا، الدنيا طيبة قوي يا فهد رجعتلي حنين تاني، أنا عمري ما فقدت الأمل، الدنيا مظلمتنيش يا فهد... ابقى اكتب كده في قصتي اكتب إن أنا اللي كنت بوصل متأخر.

بدأ وحيد في السقوط أرضًا ناحية الخلف.

- فهد اسندني.

حنين وفهد بفزع:

- مالك يا وحيد؟؟؟

لاحظ طاهر وجود أبيه فغافل أمه وجرى نحوه مسرعًا.

- مفيش يا حبايب وحيد الدنيا عادلة أنا اللي جيت متأخر.

قفز طاهر إلى حضن أبيه الذي لم يضمه هذه المرة بل وقع أرضًا.

- ازاي الدنيا جمعتكم حواليا كده، بحبك يا طاهر إنت وأخواتك، خلي بالك منهم يا فهد، كان نفسي نتجوز يا حنين.

جرت زوجته وسامي إليه مسرعين على أثر وقوعه، هاتف وحيد يدق:

يسمعني حين يراقصني.. كلمات ليست كالكلمات.. يأخذني من تحت ذراعي .. يزرعني في إحدى الغيمات..
والمطر الأسود في عيني.. يتساقط زخَّات زخَّات .. يحملني معه يحملني .. لمساء وردي الشَّرفات .. وأنا كالطِّفلة

في يده .. كالرّيشة تحملها النسمات يهديني شمسًا .. يهديني صيفًا .. وقطيع السنونوات .. يخبرني بأنِّي تحفته .. وأساوي ألاف النجمات .. بأني كنز وبأني .. أجمل ما شاهد من لوحات.. يروي أشياء تدوّخني تنسيني المرقص والخطوات .. كلمات تقلب تاريخي تجعلني .. امرأة في لحظات.. يبني لي قصر من وهم.. لا أسكن فيه سوى لحظات.. وأعود لطاولتي لا شيء معي إلا ... كلمات ... كلمات ... كلمات ...

ممدوح موجه خطابه إلى حنين وهي في حضن وحيد.

- ده اللي فضلتيه على جوزك وعيالك أمّال لو كان مفتح، عندك حق يا فهد مفيش ست تستاهل، خليكِ في حضنه أنتِ طالق ... طالق ... طالق، وعيالك اللي رمياهم في الفندق ونازلة تقابلي حبيبك عمرك ما هتشوفيهم تاني - ثم ينصرف -

كان وحيد يسلم روحه، يبدو أن قلبه لم يتحمل السعادة، أغمض عينيه وهو يقول:

- لو كنت هكتب قصة حياتي من خيالي عمري ما كنت هعرف أجمعكم كلكم حواليا كده سامحيني يا أم .... وفاضت روحه.

- لأ متسبناش يا وحيد ولا دك محتاجينك، أنا بحبك يا وحيد أنا سامحتك رد عليّ رد يا وحيد حرام عليك.

سامي وفهد في حالة لا وعي، تنظر حنين إلى فهد وهي تظن أنه من أخبر زوجها ورتب لهذه المقابلة

- إنت الي قتلتنا... إيه الحقد الي جواك لينا ده حرام عليك.. أنا كنت عارفة إنك بتكرهني أنا ووحيد لكن متخيلتش إنك ممكن تكلم ممدوح وتجيبه في موقف زي ده، إنت مش ممكن تكون بني أدم... دفعت حنين بخنجرها الذهبي كاملًا في صدر فهد الذي وقع يلفظ أنفاسه على صدر صديقه بعد أن انهمرت الدماء لتغرق كل شيء وما هي إلا لحظات وغرست تلك المرأة نفس الخنجر في صدرها...

*****

بعد ثلاثة أسابيع...

عادت طليقة وحيد إلى بيت الزوجية وراحت تتفقد أشياءه تبحث عنه بين أرفف الكتب، تقلب كما تعودت أن تفعل في سنوات زواجهم الأولى، فتحت درج مكتبه لتجد رزمة من الأوراق تحمل عنوان- رجل فقد كل شيء - أمسكت بها وجلست على مقعد وحيد المفضل وأخذت تقرأها حتى وصلت للصفحة الأخيرة

****** ذهب وحيد وصديقه فهد إلى مقابلة حنين بعد أن استدعى طليقة وحيد وأبيه لمهمة عاجلة

فأمسكت بالقلم وراحت تكمل ما بدأه فهد.

* وفي اليوم التالي - يوم الأحد - كان فهد ووحيد وزوجته وسامي على متن الطائرة متجهين إلى حنين وعند وصولهم المطار الدولي الذي يبعد عن المدينة ٦٠ كيلومترا إلى الشمال استقلت زوجته وأبنائها وأبيه سيارة إلى الفندق، ثم اتصل بحنين ليخبرها بوصوله.

** وقع يلفظ أنفاسه على صدر صديقه بعد أن انهمرت الدماء لتغرق كل شيء وما هي إلا لحظات وغرست تلك المرأة نفس الخنجر في صدرها...

شطبت بعصبية على اسم الرواية وفي السطر الأخر كتبت- مشاعر قذرة - ثم أعادتها إلى الدرج وتنهدت قائلة :

أظن أنه قد حان الوقت لكل هذه الأرواح العاصية أن تهدىء.....

مشاعر غالية
رُبَّ كلمة أشعلت حُلماً

جميع الحقوق محفوظة @ دار مشاعر غالية للنشر الإليكتروني

http://rwayatmash33rghalia.blogspot.com

- اسم العمل الأدبي:رائعة العذاب
- نوع العمل الأدبي :رواية
- المؤلف: عمرو يس
- تصميم الغلاف :سفانه العبيدي
- تنسيق وتصميم داخلي: سفانة العبيدي
- تدقيق لغوي :نهى محمود السيد
- إصدار :يونيو ٢٠١٦
- إشراف عام : أسامة الوحش
- الناشر : دار مشاعر غالية للنشر الإليكتروني

لنشر أعمالكم إليكترونيا يمكنكم التواصل معنا عن طريق إرسال أعمالكم لحساب الفيسبوك الآتي : مشاعر غالية للنشر الإليكتروني

دار مشاعر غالية للنشر الإليكتروني تقدم خدمات النشر الإليكتروني مجانا وإلى الأبد بهدف نشر الثقافة والمعرفة ، وتشجيع المواهب الشابة عن طريق الإنتشار الواسع على صفحات الإنترنت .

ملكية العمل الأدبي الوارد بهذا الإصدار على مسئولية المؤلف بإقرارة أنه من نتاج فكره وبقلمه هو ، والدار غير مسئولة عن أي إقتباس أو نسخ أو تعديل قام به المؤلف على المادة المنشورة .

مشاعر غالية
رُبّ كلمة اشعلت حُلماً